



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للعلوم



عمر
عليه السلام

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

مِيقَاتُ الْحَجِّ

تعدادیست سكونية فتن والشؤون الفقهية

والشؤون الدينية والسياسية والاجتماعية وغيرها من المساج

١٨



« الرسول الرحمة والفتح لمراداً » « إيمان أجداد الرسول ﷺ »

« قراءة في مجلة الوداع... » « حجية الفعل النبوي »

« معجزة النبي في كونه قارئاً أو أمياً »

« سيرة المصطفى ﷺ »

« عمرة القضاء »

« مشاهد البعثة النبوية الشريفة من خلال نهج البلاغة »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

دو فصلنامه « میقات الحج »

کاتب:

محمدی ری شهری

نشرت فی الطباعة:

مشعر

رقمی الناشر:

مركز القائمیة باصفهان للتحریات الكمبيوتریة

الفهرس

٥	الفهرس
٦	ميقات الحج-المجلد الثامن عشر
٦	اشارة
٧	مراسلات علمية بين الشيخ محمدجواد البلاغى والسيد محسن الأمين
٢٣	مع أدعية الحج
٤٩	آراء وأفكار
٦٢	نبذة عن أحكام الهدى فى الحج
٧٩	من أخلاق الحج
٩٣	قاعدة التقية و فقه الحج و الزيارة
١٢٧	أبو طالب مأوى الرسول و الرسالة
١٧١	أدب الحج فى الحجاز و الجزيرة العربية
٢١٢	علل الحج فى كتب الصدوق أبواب علل الأحكام وغيرها (٤)
٢٤٣	تعريف بكتاب: الحرم المكى.... (٢)
٢٦٢	دور الحج فى الوحدة الإسلامية
٢٨٨	معجم ما كتب فى الحج و الزيارة (١٣)
٣٠٧	تعريف مركز

مِيقَاتُ الْحَجِّ - المجلد الثامن عشر

إشارة

نام كتاب: دو فصلنامه «مِيقَاتُ الْحَجِّ»

نويسنده: مركز تحقيقات حج

ص: ١

مراسلات علمية بين الشيخ محمدجواد البلاغى والسيد محسن الأمين

ص: ٢

الحجّ فى أحاديث الإمام الخامنئى مدّله

مرّة أخرى حلّ موسم الحجّ... مهوى قلوب المتديّنين، ونعيم الذاكرين، وفرصة الصالحين، وفى هذه الضيافة العامّة يشارك جمعٌ قدّموا من كلّ فجّ عميق...

... الأمتة الإسلاميّة اليوم هدف لأنواع التهديد والإهانة. الاستكبار الهائج بقيادة النظام الأمريكى وبمسمره واستثارة النظام الصهيونى، يستغلّ كلّ الاستغلال تفكّك العالم الإسلامى، وتفرّق الشعوب الإسلاميّة.

الثورة الدائمة، التى ينهض بها الشعب الفلسطينى، وراية الافتخار، التى يرفعها هذا الشعب بانتفاضه قد أثارت سخط الدوائر السياسيّة الاستكباريّة، وبعثت فيهم الهلع والفرع، ودفعتهم إلى أن تسوّل لهم أنفسهم ارتكاب أعمال وقحة، وإلى استعراض جنونى لقوّتهم. حوادث سبتمبر فى نيويورك، قد أصبحت ذريعةً لتزايد غطرسة البيت الأبيض، ولترتكب دولة الصهاينة جرائم فى فلسطين لم يسبق لها نظير.

بعد العمليات المأساويّة، التى ارتكبتها أمريكا فى أفغانستان، فإن الطبيعة العسكريّة الفظّة لحكومة أمريكا تعتمد باستمرار إلى رفع وتيرة دفع الساحة العالميّة إلى حالة من اللأمن، وإلى المجازر والحروب. مكافحة الإرهاب والدفاع عن السلام فى الشرق الأوسط تبدّل إلى ذريعة للبطش والعريضة الأمريكّية، وغطاء للتوسّع والهيمنة على المصالح والمصادر الحياتيّة للشعوب.

إنّها لشخريّة ما بعدها سخريّة أن يدعى مكافحة الإرهاب فى العالم مِرْن كان له السهم الأوفى فى ارتكاب الاغتيالات وتدمير المؤامرات، وانتاج أفتك أسلحة الدمار، وحماية أخطر الارهابيين. وإنّها لطنعنة فى قلب الحقيقة حين يُطلق اسم الدفاع عن السلام على قتل النساء والرجال والأطفال الفلسطينيين، وهدم بيوتهم على رؤوسهم، وإخراجهم من وطن آبائهم وأجدادهم.

ص: ٣

نداء الإمام

فقد قرّر الله سبحانه أن سرّ الحجّ وبواعثه والغاية من الكعبة والبيت الحرام هي نهوض المسلمين وقيامهم في سبيل مصالح الناس والجماهير المستضعفة في العالم.

في هذا التجمّع الإلهي العظيم، الذي لا تستطيع أية قدرة سوى قدرة الله تعالى على أن تعقده، يتوجب على المسلمين أن يباشروا في دراسة مشاكل المسلمين العامة، ويبدلوا جهودهم على طريق حلّها بالتشاور الشامل.

إحدى أكبر هذه المشاكل وأكثرها أهمية عدم الوحدة بين المسلمين. ولم يتخذ حتى الآن مع الأسف اجراء ملموس لتغلب عليها؛ بل أن الجناء الطامعين الذين يستغلون الخلافات بين الشعوب والحكومات لصالحهم، يشددون هذه الخلافات عن طريق عملائهم الضالين. وكلّما وضع أساس للوحدة بين المسلمين هبوا لمحاربتة بكلّ قواهم، وعملوا على نثر بذور الخلاف.

ص: ٥

إعداد: هادي القبيسي

قال السيد الأمين:

لما أطلع الشيخ على كتابنا مناسك الحج أرسل إلينا ينتقد فيه اموراً:

أقرب المواقيت في الإحرام

الأول:

قولنا: إن قرن المنازل أقرب المواقيت.

فقال: إن يللم مساو له في القرب.

فأجابه بتاريخ ٤ جمادى الثانية سنة ١٣٤١ هـ: بأن صاحب معجم البلدان حكى عن القاضي عياض أن قرن المنازل وهو قرن الثعالب

بسكون الراء، ميقات أهل نجد، تلقاء مكة على يوم وليلة، وهو قرن أيضاً غير مضاف.

وحكى عن الحسن بن محمد المهلبى أنه قال: (قرن) قرية بينها وبين مكة واحد وخمسون ميلاً، وهى ميقات أهل اليمن، بينها وبين

الطائف ذات اليمين ستة

ص: ٦

وثلاثون ميلاً (١).

وقال: إنَّ يلملم موضع على ليلتين من مكّة، وهو ميقات أهل اليمن. وقال المرزوقي: هو جبل من الطائف على ليلتين أو ثلاث «انتهى»

(٢).

فأجابنا بتاريخ ٢١ جمادى الثانية سنة ١٣٤١ هـ بقوله: إنَّ الذى كتبته لحضرتك فيما يتعلّق ببعض المسائل من منسكك الشريف، لا أسمح بأن تسميه - لطفاً منك - بالانتقاد، وإنّما كان ذلك حرصاً على الاستيضاح فى التحقيق من أمثالك، لا من يجعل المذاكرة فى العلم مجلسية تنقضى بما لا يحمد، ولأجل اطمئنانى بلطفك فى حسن الظنّ بالداعى المخلص، بادرت إلى تكرار المراجعة استيثاقاً من التحقيق بالاستفادة، فأذكر كلامك الشريف، ثمّ أعرض ما عندى راجياً من لطفك الإفادة ببيان ما فيه، وقد أقنعنى الزمان عن خطوة المكالمه بحضرتك بإطالة الكلام فى المكاتبه، وأسأل الله أن لا تكون مضايقه لوقتك الشريف، وأن يجعلها سبباً لاستفادتنا بها من فوائدك.

مولاي أمّا اعتمادك على معجم البلدان فى كون قرن المنازل أقرب المواقيت، فكان على مثل تحقيقك أن تصرّح فى المنسك بالبناء على قوله.

والمصرّح بالمساواة ليلملم فيما حضرني من الكتب فى ساعتى: المبسوط (٣) واللمعة (٤)، وكشف اللثام (٥)، والجواهر (٦). والمنقول من الاعتبار شاهد على ذلك، والتفاوت المذكور فى معجم البلدان غلط فاحش «انتهى».

١- معجم البلدان ٤: ٣٣٢.

٢- معجم البلدان ٥: ٤٤١.

٣- المبسوط ١: ٣١٣.

٤- اللمعة، كتاب الحج.

٥- كشف اللثام ١: ٣٠٦.

٦- الجواهر، وكذا العلامة فى المنتهى كما عنه فى مستند الشيعة ١١: ١٨٥.

ص: ٧

[قال السيّد] فلذلك أصلحناه، فقلنا: إنّ يلملم لأهل اليمن، وقرن المنازل لأهل الطائف على مسافة واحدة، أو متقاربان في المسافة، بينهما وبين مكّة ليلتان بالسير المتوسّط، وكذلك ذات عرق التي هي آخر العقيق، ميقات أهل العراق.

البريد

الثاني:

قولنا: في كتاب المناسك في تحديد الحرم: إنّ البريد نحو من مسير ستّ ساعات. فأورد علينا: إنّ البريد أقلّ من ذلك.

فأجابه بالتاريخ المتقدّم: بأنّ ذلك مبنى على ما ورد في تحديد المسافة إنّما بياض يوم، وهو تقريبي لا تحقيقي. فأجابنا بالتاريخ المتقدّم أيضاً بقوله: مولاي كان على مثل كتابتك وهي من مثلك أن تقول: مسير نصف بياض يوم للأثقال والقطار، فإنّ اليوم في الحجاز مختلف كغيره، فأطول الأيام بمكّة نحو ١٣ ساعة و ٢٠ دقيقة. وفي المدينة نحو ١٣ ساعة و ٣٣ دقيقة و ٢٨ ثانية، وأقصرها بمكّة نحو عشر ساعات و ٤٠ دقيقة. وفي المدينة نحو عشر ساعات و ٢٦ دقيقة. وتختلف أيضاً في سائر الفصول بحسبها وبحسب عرض البلد، مع أنّه لا بدّ في العادة في مسير بياض اليوم من النزول لقضاء المهمّات في ضياء النهار، وأنّ التحديد بالأربعة فراسخ أقرب إلى التحقيق والتقدير المأنوس للأذهان «انتهى».

فأجابه: بأنّ التحقيق هنا غير ممكن، وكفى برهاناً على عدم إمكانه ما ذكرتموه من اختلاف اليوم في الحجاز وغيره، ومنه يُعلم أنّ التقدير - بنحو مسير ستّ ساعات - أقرب إلى التحقيق. والتقدير المأنوس للأذهان، لأنّ الأذهان بالساعات أكثر من انسها بالفراسخ، التي لا يعرفها إلّا الخواص.

ص: ٨

محاذاة الميقات

الثالث:

قولنا: إن من يحج بطريق البحر من أهل الشام وغيرهم، فأحرامه من محاذاة الجحفة لا يخلو من إشكال؛ لأنه يحاذى مسجد الشجرة قبل محاذاة الجحفة، وكما أنه لا يجوز التعدي عن محاذاة ميقات قبل الإحرام منها إلى محاذاة ميقات آخر، نعم لو فعل أثم وصح حجه.

فقال: إن الأدلة (١) أطلقت أن الجحفة ميقات أهل مصر والشام، مع أن هؤلاء في مسيرهم إلى الجحفة يحاذون مسجد الشجرة قبل الوصول إلى الجحفة «انتهى».

فأجابه بالتاريخ المتقدم: بأنه قد فاتك أن مسألة المحاذاة في النص والفتوى خاصية بمن لم يمر على ميقات، ولا تناول من مر على أحد المواقيت، وقد اختلفت فيها الأنظار، هل يحرم من محاذاة أقرب المواقيت إلى مكة، أو من محاذاة أبعدا عنها، أو من محاذاة أقربها إليه؟ والذي استقر عليه رأى أكثر المحققين (٢)، ودلت عليه صحيحة ابن سنان (٣)، أنه يحرم من محاذاة أبعد المواقيت عن مكة «انتهى».

فأجابنا بالتاريخ المتقدم أيضاً يقول: قلت دام فضلك «وقد فاتك الخ».

فأعرض لحضرتك أن النص الملحوظ لهم في مسألة المحاذاة هي: الصحيحة المذكورة، وهي مختصة بمن يخرج من المدينة وبمحاذاة الشجرة، وإنما تسيروا إلى محاذاة سائر المواقيت من سائر الحجاج بالمناطق، وإلغاء خصوصية الشجرة، وها هي الصحيحة بحسب رواية الكافي: «من أقام بالمدينة شهراً وهو يريد الحج، ثم بدا له أن يخرج في غير طريق أهل المدينة الذي يأخذونه، فليكن إحرامه من

١- انظر الوسائل ١١: ٣٠٩ باب ١ من أبواب تعيين المواقيت حديث ٥.

٢- انظر مستند الشيعة ١١: ١٨٨.

٣- الوسائل ١١: ٣١٨ باب ٧ من أبواب المواقيت حديث ٣.

ص: ٩

مسيرة ستة أميال، فيكون حذاء الشجرة من البيداء» (١). وبحسب رواية الفقيه:

«ثم بدا له أن يخرج في غير طريق المدينة، فإذا كان حذاء الشجرة والبيداء مسيرة ستة أميال، فليحرم منها» (٢).

ويعلم من نحو عشر روايات في تلبية الإحرام وغيرها أن «مسجد الشجرة ليس من البيداء»، فيكون قوله في رواية الكافي: «من البيداء» بياناً للمحل الذي يحاذى الشجرة منه، فيكون «الخروج» المشار إليه في رواية الكافي على التياسر عن طريق المدينة إلى الشجرة ذهاباً إلى البيداء، وبمسيرة ستة أميال، يحاذى الشجرة منها.

ولا يخفى أنه يلزم عليه أن يكون التياسر قليلاً؛ لكي تحصل المحاذاة بمسيرة الستة الأميال.

وأما على رواية الفقيه: فيقتضى أن يكون الخروج من المدينة على التيامن، فيحاذى الشجرة والبيداء، ولا يتأتى على التياسر؛ لأن مسير الستة الأميال الذي لا يدخل البيداء، بل يفضى إلى شريقها، لا يبلغ محاذاة الشجرة والبيداء.

فاعتمادك على هذه الصحيحة في اختصاص مسألة المحاذاة بمن لم يمر أو لا يمر على ميقات، مبنى على دلالتها على أن المراد من غير طريق أهل المدينة هو ما يغير طرقها منها إلى مكة مغايرة كلياً، بحيث لا يفضى إلى طريق الجحفة أو طريق العقيق، ولو بعد ثلثي المسافة، وأن المنشأ في الإحرام من المحاذاة هو عدم المرور بالميقات فيما بعد، ولكن الاعتبار وظهور سوق الرواية يبين ذلك، بل وإطلاق المغايرة، لو أن الرواية ظاهرة بمغايرة الطريق إلى مكة، وإطلاق حكم المحاذاة من التقيد بالمنشأ المذكور.

١- الكافي ٤: ٣٢١ باب مواقيت الإحرام حديث ٩، الوسائل ١١: ٣١٨ باب ٧ من أبواب المواقيت حديث ٢.

٢- الفقيه ٢: ٩١٣/٢٠٠، الوسائل ١١: ٣١٨ باب ٧ من أبواب المواقيت حديث ٣.

ص: ١٠

أمّا الاعتبار: فإنّ الطرق المألوفة المأهولة المأمونة، والأبعد عن الوعورة، والتي يمكن التبليغ فيها من الماء وغيره بسبب المرور على المياه والقرى. ووضع الأميال والمسالح إنّما هو طريقا الجحفة والعقيق. وأمّا التقحم في غيرها فلا يتيسّر إلّا لنادر من البدور وفي نادر من الأيام، فيبعد حمل الرواية عليها لو اقتضاه لفظها.

وأمّا سوقها: فلأنّ الغير المذكور هو ما يخرج فيه من المدينة، ويؤخذ في السير فيه ممّا لا يفضى إلى الشجرة، فالمغايرة ظاهرة في كونها في الخروج، والأخذ في السير المعتاد المفضى إلى الشجرة، وأنه طريق واحد، ولا دلالة فيها على أنّ المراد من الطريق المدينة ما كان إلى مكّة، بل إفراد لفظه وتعدّد طرق المدينة المعتادة إلى مكّة ينافي ذلك، ويقتضى أيضاً الظهور في طريقها إلى الشجرة. وأمّا الإطلاق: فلأنّ الغريبة تصدق على وجه الحقيقة، لو سار نصف الطريق المألوفة إلى مكّة أو ثلثها على غير طريق الجحفة، أو طريق العقيق، ثم عدل على أحدهما.

سلمنا دلالة الصحيحة على أنّ الخارج من المدينة حكمه الإحرام من محاذاة الشجرة إذا لم يمرّ بالجحفة أو العقيق، ولكن من أين لها الدلالة على أنّ كلّ من لا يمرّ بميقات يحرم من محاذاة الشجرة، وإن كان على طريق الشام أو نجد؟ وأين دلالة الصحيحة على أنّهما يحرمان من أبعد المواقيت عن مكّة؟ وقصارى دلالتها على أنّ من كان ميقاته الشجرة يحرم من محاذاتها، لأنّها أبعد المواقيت، بل لأنّ الشجرة ميقات المدنى، وإن اتفق كونها من حيث الوضع أبعدا.

وغاية ما يستفاد من مناطقها، أنّ من لم يمرّ في طريقه على ميقاته الموظف لجهته، فإنّه يحرم من محاذاة ذلك الميقات. وقد دلّت الروايات (١) على أنّ ميقات أهل الشام ومصر والمغرب هي الجحفة، ولا أقلّ من اقتضائها أنّهم يسرون محلّين في طرقهم المعروفة إليها إلى أن يبلغوها. ومن أين يجيء تقييد إحلالهم بأن يكون إحرامهم منها؟

١- الوسائل ١١: ٣٠٧-٣١١، باب ١ من أبواب المواقيت حديث ١-١٢.

ص: ١١

وغاية المناط من الصحيحة، أنّ محاذاة الجحفة مثلها لا يجوز أن يتعدّوها محلّين. هذا، فضلاً عن أنّ محصّل تحديد المواقيت لأهل الأصقاع، واختلافها بحسب الطرق يفيد الجزم بأنّها حدّ لحلّهم وإحرامهم، وغاية مفاد الصحيحة ومناطها هو أنّ محاذاة الميقات مثله في كونها حدّاً لما هو له في صقعها. وأمّا اعتمادك فيما ذكرت على الفتوى، فلو كانت هنا شهرةً محقّقة، وأتى [دليل] على تقييد حكم المحاذاة بمن لا يمرّ بميقات أصلاً؛ لطالنا بالدليل ولم نكتف بالشهرة مقيداً. وكلمات الفقهاء فى المحاذاة على اختلافها، ليس فيها ظهور يُعتدّ به، فى أنّ الشامى والبحرى الذى لا يمرّ بالجحفة يُحرم من محاذاة الشجرة.

أمّا مثل كلام المبسوط (١) والسرائر والدروس (٢) فى المحاذاة، فالأقرب أنّه ناظر إلى محاذاة الميقات، الذى هو حدّ لصقع ذلك الطريق، فإنّ السرائر تقول: «إنّ ميقات أهل مصر ومن صعد البحر من جدّة» (٣). مع أنّ البحرى لا بدّ له من أن يحاذى الشجرة حتّى إذا كان مسيره فى الساحل الأفريقى، فإنّه يحاذيها فى مقابل رابع، وإذا كان فى الساحل الحجازى حاذها فى جنوبى ينبع مقابل بئر عباس، وفيما بين هذين الساحلين ما بين المكانين حسب سير الدائرة «انتهى».

فأجابه بأنّ صحیحته ابن سنان، التى هى المستند فى المحاذاة هى واحدة، سواء برواية الكافى أم برواية الفقيه، والاختلاف الجزئى فى رواية الفقيه عن الكافى بقوله: «والبيداء» بدل من «البيداء» لا يجعلها روايتين مختلفتى المفاد. فالظاهر أنّ صاحب الفقيه رواها بالمعنى؛ لأنّ ملحوظه حذف الأسانيد والاختصار، فوَقعت

١- المبسوط ١: ٣١٣.

٢- الدروس ١: ٣٤١.

٣- السرائر ١: ٥٢٩.

ص: ١٢

«الواو» بدل «من» سهواً من قلم الصدوق، أو من النسخ، وتصلح حينئذٍ رواية الكافي أن تكون مفسرة لها، على أنه يمكن أن يريد من محاذاة الشجرة والبيداء كونه بين الشجرة والبيداء، فإن ذا الحليفة، وإن كان ملاصقاً للبيداء، إلّا أنّ مسجد الشجرة الذي يجب الإحرام منه على الأقوى ليس متصلاً بالبيداء، فالمرور بين البيداء والشجرة ممكن بأن يمرّ بآخر ذى الحليفة والبيداء، والمرور شرقى البيداء. وزعم أنّ مسير ستّة أميال إذا كان شرقى البيداء لا يبلغ محاذاة الشجرة والبيداء، ممّا لم يعم عليه دليل، فإنّ البيداء أرض بعينها ملساء بين الحرمين معروفة، ولم يعلم أنّها واسعة كثيراً بحيث إذا سار السائر ستّة أميال من المدينة إلى شرقى البيداء لا يحاذى الشجرة. وكيف كان، فالخبر صريح على روايتي الكافي والفقيه في أنّه يحرم إذا بعُد عن المدينة ستّة أميال سائراً من ناحية البيداء، سواء أسار في نفس البيداء أم شرقها أم غربها، وأنّه إذا سار تلك المسافة يكون بحذاء الشجرة، وأنّ إحرامه من ذلك المكان؛ لكونه بحذاء الميقات الذي كان عليه أن يحرم منه لو مرّ به، فلمّا لم يمرّ به كان عليه أن يحرم منه من محاذاته، فتدلّ بمفهوم العلة أنّ كلّ من لم يمرّ بميقات عليه أن يحرم من محاذاته كما هو فتوى الأصحاب، ولا دلالة لها على التقييد بكون التياسر قليلاً؛ لصراحتها في أنّ من سار ستّة أميال من المدينة فوصل البيداء إلى أيّ موضع كان منها حاذى الشجرة، بدون تكلف تأويل ولا تقييد، وأنّ ذلك ليس مبتتاً على التدقيق، بل على المحاذاة العرفية التي أمرها أوسع من التدقيق، وبعد كون الروايتين رواية واحدة، لا مجال للقول بأنّه على رواية الفقيه يلزم أن يكون الخروج من المدينة على التيامن كما عرفت، ومرادنا من أنّ الفتوى في مسألة المحاذاة خاصّة بمن لم يمرّ على ميقات، هو قول الفقهاء جميعاً بعد ذكر المواقيت أنّ من لم يمرّ بميقات أحرم من المحاذاة. والحاصل أنّه لا يبعد أن يفهم من النصّ والفتوى أنّه يجب الإحرام من

ص: ١٣

الميقات عند المرور به، ومن محاذاته عند عدم المرور به. فالمحاذاة بمنزلة الميقات الاضطرارى. وكما أنه لا يجوز تجاوز الميقات بدون إحرام ولو إلى ميقات آخر، لا يجوز تجاوز محاذة ميقات إلى محاذة آخر، إعطاءً للمبدل حكم المبدل، وإن كان لو تعدى أثم وصح إحرامه. نعم يجوز بل يجب تجاوز محاذة ميقات إلى ميقات آخر، والإحرام منه؛ لكون المحاذة بمنزلة الميقات الاضطرارى، ومع إرادة المرور من الاختيارى يلزم ترك الاضطرارى. توضيح ذلك: أن الشارع جعل هذه المواقيت لأهل الأصقاع، فالعقيق لأهل العراق، والشجرة لأهل المدينة، والجحفة لأهل مصر والشام. ويللم لأهل اليمن. وقرن المنازل لأهل الطائف.

وجعلها مواقيت لمن مرّ عليها من غير أهل هذه الأصقاع أيضاً. بل ظاهر صحيحة ابن سنان المشار إليها أنفاً أنه يشترط لعدّ المارّ عليها من أهل ذلك الصقع إقامته فيه شهراً فأكثر. وإن لم نجد عاملاً بذلك فهي مواقيت لأهلها وللمن مرّ عليها من غير أهلها، كما دلّ عليه النصّ والفتوى، فمن مرّ عليها من أهل صقعها أو من جاء إلى صقعهم وإن لم يكن من أهلها، أحرم منها، ومن لم يمرّ عليها من أهلها ومن جاء إلى صقعهم، أحرم من محاذاتها، ومن لم يمرّ بها ولا من محاذاتها من أهل صقعها فعليه أن يحرم من محاذة أول ميقات يمرّ بحذائه وليس له أن يؤخّر الإحرام إلى محاذة ميقات آخر، كما لا يجوز له أن يؤخّر الإحرام من ميقات إلى آخر. ومن مرّ بالمدينة من غير أهلها ميقاته الشجرة، فإن مرّ بها أحرم منها، وإن لم يمرّ بها، بل كان مشرقاً عنها أو مغرباً أحرم من محاذاتها، وذلك إذا بلغ في مسيره ستّة أميال متوجّهاً إلى مكة. وليس لمن مرّ بالشجرة أن يؤخّر الإحرام إلى ميقات آخر، إذا كان يمرّ به بعد ذلك.

ص: ١٤

وأما خبر إبراهيم بن عبد الحميد، أنه سأل الكاظم عليه السلام عن قوم قدموا المدينة فخاف أكثرهم البرد وكثرة الأيام وأرادوا أن يأخذوا منها إلى ذات عرق، فيحرموا منها؟ فقال: «لا- وهو مغضب- من دخل المدينة فليس له أن يحرم إلّا من المدينة» (١)، فمع ضعف السند محمول على الاستحباب، ويكون الغضب لإرادتهم اتباع الأسهل الأقل ثواباً، وتجنب الأشق الأكثر ثواباً. والعراقى إذا لم يمرّ بالعقيق بل سافر بحراً من طريق البصرة، فعليه أن يحرم من محاذاة أول ميقات يمرّ بحذائه، وقد كانوا يحرمون بين جدّة وقمران عند محاذاة يلملم بحسب قول القبطان.

ثمّ لما لاحظ العلماء فى هذا العصر الخارطة، رأوا أنّ هذه المحاذاة ليست هى المحاذاة المطلوبة؛ لأنّ المطلوبة أن يكون الميقات على اليمين أو اليسار متوجّهاً إلى مكّة، وهنا الميقات مقابل وجهه لا عن يمينه ولا عن يساره. وإنّ المحاذاة المطلوبة تحصل فى «جدّة» بالجيم أو «حدّه» بالحاء. فالعراقيون الحاجون بحراً لا- يمرّون بميقات بلادهم ولا- بما يحاذيه، بل بما يحاذى ميقات بلاد اخرى، فيحرمون منه.

وبهذا التقرير لا يبقى محلّ للخلاف فى أنّ من فرضه الإحرام من المحاذاة، هل يحرم من محاذاة أقرب المواقيت إلى مكّة، أو أبعدا عنها، أو أقربها إليه؟ فإن فرضه أن يحرم من محاذاة أول ميقات يمرّ به. فالمدنى يحرم من محاذاة الشجرة لا- من محاذاة الجحفة، ولا العقيق، لكن لأنّه أول ميقات يحاذيه، وصادف أنّه أبعد المواقيت عن مكّة.

والشامى والمصرى والمغربى يحرمون من محاذاة الجحفة فى وجهه، وصادف أنّها أقرب إلى مكّة من الشجرة، أو من محاذاة الشجرة كما مرّ.

١- الوسائل ١١: ٣١٨، باب ٨ من أبواب المواقيت، حديث ١.

ص: ١٥

واليماني والعراقي يحرمان من محاذاة يلملم؛ لأنه أول ميقات يحاذيانه. وصادف أنه أقرب إلى مكّة من الجحفه والشجرة.

وقال أيضاً فيما كتبه إلينا بالتاريخ المتقدم ما نصّه: وقلت دام فضلك وذكرت للمحاذاة معنيين استظهرت ثانيهما. الأول: الوقوع على دائرة عرض الشجرة، ولم يتضح لي معناه.

الثاني: الوقوع على دائرة تمرّ بالشجرة مركزها مكّة. مع أن المحاذاة المفهومة من صحيحة ابن سنان أن يكون بينه وبين مكّة بقدر ما بين الميقات ومكّة حال كون الميقات عن يمينه أو شماله، لا- ما إذا كان مقابل وجهه مثلاً. فيخرج الواقع على بعض خطوط تلك الدائرة عن المحاذاة.

فأعرض لحضرتك: أمّا قولي:- الوقوع على دائرة عرض الشجرة- فمرادى منه الدائرة التي يكون بعدها عن خط الاستواء ما يقرب من ٢٥ درجة، كبعد الشجرة، وهو الذي يُسمّى عرض البلد، وعلى هذا يوجبون الإحرام عند مقابلة يلملم في البحر، وإن كان بينه وبين الثانية التي سأذكرها نحو ١٥٠ ميلاً.

وأمّا قولي:- على دائرة تمرّ بالشجرة ومركزها مكّة- فهو عين ما تقوله وتختاره في معنى المحاذاة مفهوماً ومصداقاً، ولم أدر ما هو المنشأ في قولك: «لا ما إذا كان الخ»؟ «انتهى».

ونقول: المحاذاة أمر عُرفي، يكفي فيها صدق المحاذاة العرفية، التي أمرها واسع جداً بملاحظة جعلها على ستّة أميال من المدينة لمن دخل البداء من غير تقييد بمكان منها، ممّا يشمل طرفها الغربي والشرقي ووسطها.

وبناء الأميال على التقريب لا التحقيق الذي لا يتيسّر للحاج غالباً؛ فبناؤها على خطّ الاستواء والدرجات وعرض البلد والدائرة هو إن صحّ، تكلف لما لا يلزم.

وأمّا قولنا: «لا ما إذا كان مقابل وجهه» فقد علم معناه، ممّا مرّ في كلامنا.

ص: ١٦

تحديد الميل

وأرسل إلينا بالتاريخ المتقدم معترضاً على تحديد الميل في الدرّ الثمين، بأربعة آلاف ذراع بعد ترداد المراسلة يقول: (وقلت دام فضلك: واستشككت في قدر الميل أنه ٤٠٠٠ ذراع مع اشتهاه، ودعوى الإجماع عليه، وعدم المعارض سوى مرسله الخزاز (١) القاصرة سنداً ومتناً؛ لعدم التصريح فيها بأنه ٣٥٠٠، بل قال: إن بني أمية لما ذرعوا ما بين ظل (عير) إلى فيء (وعير) وزعوه على ١٢ ميلاً، وكان الميل ٣٥٠٠ ذراع، ولعلهم أخطأوا في بعض ذلك.

والمشهور، وإن لم يظهر مستنده، لكنّه كافٍ في إثبات هذا الموضوع اللغوي العرفي.

أما قول السهمودي أنه اعتبر ما بين عتبة المسجد النبوي ومسجد الشجرة فكان ١٩٧٣٢ ذراعاً، فهذا لا ينطبق على ٤٠٠٠، ولا على المرسله.

فأعرض لحضرتك أولاً: أن الروايات تقول: إن ما بين الشجرة والمدينة ستّة أميال، ويصحّ هذا الإطلاق في مثل مقامه، باعتبار الدخول في الميل السادس.

وتقدير السهمودي بحسب مدلول المرسله يبلغ نحو ثلثي الميل السادس، وإنّي لم

١- ما رواه الكليني بسنده إلى يحيى الخزاز عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: بينا نحن جلوس وأبي عند وال لبني أمية على المدينة إذ جاء أبي فجلس فقال: كنت عند هذا قبيل فساء لهم عن التقصير، فقال قائل منهم: في ثلاث، وقال قائل منهم: يوم وليلة، وقال قائل منهم: روحه، فسألني فقلت له: إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما نزل عليه جبرئيل بالتقصير قال له النبي صلى الله عليه وآله: في كم ذاك؟ فقال: في بريد؟ وقال: وأي شيء البريد؟ فقال: ما بين ظلّ عير إلى فيء وعير، قال: ثمّ عبرنا زماناً ثمّ رأى بنو أمية يعملون أعلاماً على الطريق، وأنهم ذكروا ما تكلم به أبو جعفر عليه السلام فذرعوها ما بين ظلّ عير إلى فيء وعير ثمّ جزأوه على اثني عشر ميلاً فكانت ثلاثة آلاف وخمسمائة ذراع كلّ ميل، فوضعوا الأعلام، فلمّا ظهر بنو هاشم غيروا أمر بني أمية غيره، لأنّ الحديث هاشمي، فوضعوا إلى جنب كلّ علم علماً.

الكافي ٣: ٤٣٢ باب حدّ المسير الذي تقصر فيه الصلاة حديث ٣، الوسائل ٨: ٤٦٠ باب ٢ من أبواب صلاة المسافر، حديث ١٣.

ص: ١٧

أحتج بمرسله الخزاز، ولكن مرسله ابن أبي عمير (١)، ومرسله الخزاز ومرسله الصدوق (٢) عن الصادق عليه السلام متفقاً على أن البريد فى القصر هو ما بين ظل (عير) إلى فىء (وعير) حسب قول جبرائيل عليه السلام للرسول صلى الله عليه وآله.

ومرسلة الخزاز تقول: إن الإمام أخبر عن الميل الذى هو جزء من ١٢ جزءاً ممّا بين (عير ووعير) الذى هو البريد، وميزان القصر بأنه كان كل ميل ٣٥٠٠ ذراع.

فاحتمال الخطأ إن كان فى تجزئة بنى أمية لما بين (عير ووعير) إلى ١٢ ميلاً. فهو مدفوع بالتسالم على أن البريد ١٢ ميلاً، وأن الاعتبارات الكثيرة تساعد المرسله، منها اعتبار السهمودى، ومنها اعتبار يلملم، فإنه لا ينطبق على بعدها عن مكة ٤٨ ميلاً، كما هو المحض من أخبار حاضرى المسجد الحرام، إلأعلى تقدير المرسله.

وقد رأيت كتابين لبحر العلوم وصاحب كشف الغطاء فى تحديد الحرم، وذكر الأقوال الكثيرة فى تحديده بالأميال والأذرع، والكل متفقاً على اعتبار الميل ٣٥٠٠ ذراع، فإذا اعتبرنا قول الروايات الناصه على أن ما بين عير إلى وعير هو الميزان الحقيقى الموحى للقصر، ومرسله الخزاز تقول قولها، والاعتبارات المنقولة تساعدنا، فهل يسوغ أن لا نلنفت إلى المرسله والاعتبارات، ولا نحقق موضوع الحكم باعتبارنا نستريح إلى مشهور لا مستند له، إلأشيوخ تقدير الميل من زمان اليونان إلى زماننا تبعاً لهم بأربعة آلاف ذراع؟ وقد كانت كتابة استشكالى لحضرتك استنهاضاً لمساعدتك على اعتبار ما بين (عير ووعير) «انتهى».

ونقول: إرادة الدخول فى الميل السادس من الستة الأميال مجاز، يحتاج إلى القرينه، وهى مفقوده.

١- الكافى المصدر السابق ص ٤٣٣ حديث ٤؛ الوسائل، المصدر السابق حديث ١٢.

٢- الفقيه ١: ٢٨٦ باب الصلاة فى السفر حديث ٣٨، الوسائل المصدر السابق ص ٤٦١ حديث ١٦.

ص: ١٨

مع أدعية الحج

مع أدعية الحج

إعداد وتقديم: محمد علي المقدادي

آداب الدعاء

حينما يتلى الانسان بأموح من المشاكل والبلايا، ولا يجد ناصراً إلا الله عزّوجلّ، يرفع يديه بالدعاء والثناء عليه؛ لأنه يعتقد أن الله تعالى هو المنجي الوحيد، ولا يمكن لأحد أن يرفع المشاكل إلا هو.

إنّ الدعاء من الأسباب المهمة، التي يسوق الفرد والمجتمع الى المعنويات، ويبعده عن آثام الدنيا وقذاراتها.

يقول الله تعالى: **أُدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ (١)**.

ولا شك أن الأنبياء والأولياء قد عنوا عناية تامّة بهذا المعنى، فإنهم قد علّمونا شكل هذا البناء المرتفع؛ لنجد طريق الأنس مع الله عزّوجلّ، وبهذا نرى قسماً واسعاً من الأدعية قد رويت عنهم؛ لتتعلّم كيفية الدعاء والثناء على الله تعالى.

ولا شك أننا لا نصبر على ضغط البلايا والمشاكل، ولا قدرة لدينا أن ندفع

ص: ١٩

كيد الشياطين وآثام النفس الأمارة بالسوء، أضف إلى كل ذلك أنّ الأنبياء والأئمة عليهم السلام كانوا عالمين بضعفنا النفساني، ولذا أرادوا أن يوقظونا من نوم الغفلة، فهيتوا لنا أديّة طيبة ذات معانٍ كبيرة، فعلينا أن نحفظ هذه الوديعة الثمينه حفظاً تاماً، ونسعى للارتباط الدائم معها.

ولكن هنا نكتة يجب مراعاتها، وهي أن لا ندع الأديّة على حالها ونسأها حتى إذا هجمت المصيبة والأحزان علينا، لذنا بها، بل علينا أن نداوم قراءتها والأنس بها، وإلا إذا تركناها في أماكنها، ولا نعود إليها إلا إذا حلت بنا مصيبة أو بليّة، فإنّ هذا عمل غير جيّد وطلب لا يفيد، فلا بد لنا من أن نبقي على علاقه وثيقه بها، نستمدّ منها الثبات والخير فكلّها دروس نافعه في دنيانا وآخرتنا... والآن لنجلس في محضر رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام ونستمع الى فضائل الأديّة وأهميتها، وكيفيّة الدعاء من خلال كلماتهم الطيبة وأديّتهم العظيمة، ثمّ ننقل لكم ما ورد من الأديّة في الحج والعمرة، التي اقتبسناها من الكتب المعتره.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«ما من شيءٍ أكرم على الله تعالى من الدعاء».

: «ألا أدلكم على سلاحٍ يُنجيكم من أعدائكم، ويدُرُّ أرزاقكم؟. قالوا: بلى يا رسول الله. قال: تدعون ربكم بالليل والنهار، فإنّ سلاح المؤمن الدعاء».

: «ما من مسلمٍ دعا الله تعالى بدعوةٍ ليس فيها قطيعه رجم ولا استجلابٍ إثم، إلا أعطاه الله تعالى بها إحدى خصال ثلاث: إما أن يُعجل له الدعوة، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يزفع عنه مثلها من السوء».

قال الإمام الحسين بن علي عليه السلام: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يزفع يديه إذا ابتهل، ودعا كما يستطعم المسكين».

قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «الدعاء كهفُ الجانيه، كما أنّ السحاب كهفُ المطر».

ص: ٢٠

عن أبي عبد الله الصادق وأبي جعفر الباقر عليهما السلام قالوا: «وَاللَّهِ مَا يُلِخُّ عَبْدُ عَلِيٍّ اللَّهُ، إِلَّا اسْتَجَابَ لَهُ» (١).

قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: إذا طلب أحدكم الحاجة فليتن على ربه وليمدحه، فإن الرجل إذا طلب الحاجة من السلطان، هياً له من الكلام أحسن ما يقدر عليه، فإذا طلبتم الحاجة، فمجدوا الله العزيز الجبار، وامدحوه وأثنوا عليه، تقول: «يَا أَجُودَ مَنْ أَعْطَى، وَيَا خَيْرَ مَنْ سِئِلَ، يَا أَرْحَمَ مَنْ اسْتُرْحِمَ، يَا أَحَدَ، يَا صَيِّمَ، يَا مَنْ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، يَا مَنْ لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا، يَا مَنْ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ، وَيَقْضِي مَا أَحَبَّ، يَا مَنْ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ، يَا مَنْ هُوَ بِالْمَنْظَرِ الْأَعْلَى، يَا مَنْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ يَا سَيِّمِيعَ يَا بَصِيرَ». وأكثر من أسماء الله عز وجل، فإن أسماء الله كثيرة، وصل على محمد وآله، وقل: «اللَّهُمَّ أَوْسِعْ عَلَيَّ مِنْ رِزْقِكَ الْحَلَالِ مَا أَكْفُ بِهِ وَجْهِي، وَأُوْدِي بِهِ عَنْ أَمَاتِي، وَأَصِلْ بِهِ رَحِمِي، وَيَكُونُ عَوْنًا لِي فِي الْحِجِّ وَالْعُمْرَةِ» وقال: «إِنَّ رَجُلًا دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ سَأَلَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: عَجَلَ الْعَبْدُ رَبَّهُ. وَجَاءَ آخِرُ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ أَتْنِي عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَصَلَّى عَلَيَّ النَّبِيِّ وَآلِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: سَلْ تُعْطَ» (٢).

عن أبي عبد الله عليه السلام: قال: «سَمِعَ أَبِي رَجُلًا مُتَعَلِّقًا بِالْبَيْتِ وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ، فَقَالَ لَهُ أَبِي: يَا عَبْدَ اللَّهِ لَا تَبْتَرِهَا لَا تَظْلِمْنَا حَقًّا قُلْ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ» (٣).

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كُلُّ دُعَاءٍ لَا يَكُونُ قَبْلَهُ تَحْمِيدٌ فَهُوَ أَجْرٌ، إِنَّمَا التَّحْمِيدُ، ثُمَّ الثَّنَاءُ، قُلْتُ: مَا أَدْرِي مَا يُجْزَى مِنَ التَّحْمِيدِ وَالتَّحْمِيدِ؟ قَالَ: يَقُولُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ

١- مكارم الأخلاق: ٢٦٨.

٢- الكافي ٢: ٤٨٥ وسائل الشيعة ٧: ٧٩.

٣- الكافي ٢: ٤٩٥، وسائل الشيعة ٧: ٢٠٢.

ص: ٢١

فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» (١).

عن الوليد بن صبيح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: صِيحِبْتُهُ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَجَاءَ سَائِلٌ فَأَمَرَ أَنْ يُعْطَى، ثُمَّ جَاءَ آخِرُ فَأَمَرَ أَنْ يُعْطَى، ثُمَّ جَاءَ الرَّابِعُ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يُشْبِعُكَ اللَّهُ ثُمَّ التَّفَتَ إِلَيْنَا فَقَالَ: أَمَّا إِنْ عِنْدَنَا مَا نُعْطِيهِ، وَلَكِنْ أَخْشَى أَنْ نُكُونَ كَأَحَدِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ لَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ: دَعْوَةُ رَجُلٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ مَالًا فَأَنْفَقَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ، ثُمَّ قَالَ: أَلَلَّهِمَّ ارْزُقْنِي فَلَا يُسْتَجَابُ لَهُ، وَرَجُلٌ يَدْعُو عَلَى امْرَأَتِهِ أَنْ يُرِيحَهُ مِنْهَا، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَمْرَهَا إِلَيْهِ، وَرَجُلٌ يَدْعُو عَلَى جَارِهِ وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ السَّبِيلَ إِلَى أَنْ يَتَحَوَّلَ عَنْ جَوَارِهِ وَيَبِيعَ دَارَهُ» (٢).

*** إن الدعاء وسيلة جليئة للتقرب إلى الله تعالى، ويظهر مكانته العظيمة في موسم الحج والعمرة.

وبما أن الحج والعمرة عبادتان جليلتان؛ يكون فيهما أنواع التذلل والخشوع، فكذلك يكون للدعاء في الحج والعمرة درجة عالية من تلك الأنواع، فيوجد فيه الكثير من التواضع والخشوع والتذلل، من أجل الحصول على المنافع الدنيوية والأخروية للفرد والمجتمع.

قال تعالى:

وَ أَدْنُ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ...
 إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ فِي مَوْسَمِ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ يَتَفَرَّغُونَ لِلْعِبَادَةِ وَالتَّفَكُّرِ وَذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى،

١- الكافي ٢: ٥٠٣

٢- وسائل الشيعة ٧: ١٢٣.

ص: ٢٢

ولا تشغلهم هموم الحياة أبداً، إذا قاموا لأداء الحج والعمرة بمثل ما قام إبراهيم الخليل ورسول الله محمد صلى الله عليه وآله، ولا يمكن إحرازهم لهذا المقام الشامخ إلا إذا تشرفوا الى قراءة هذه الأذعية الخاصية بالديار المقدسة؛ التي صدرت عن المعصومين عليهم السلام.

و إليك هذه الكلمات العطرة الطاهرة؛ الصادرة من تلك الأنوار المطهرة عليهم السلام، والآن ندعك أيها القارئ الكريم مع هذه الأذعية، وقد بويتها لتسهيل الوصول إليها فقط.

*** الدعاء عند الإحرام وعقده

١- عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: لا يكون إحرامٌ إلا في دبر صلاةٍ مكتوبةٍ أحرمت في دبرها بعد التسليم، وإن كانت نافلهً صلّيت ركعتين وأحرمت في دبرهما، فإذا انفتحت من صلاتك فاحمد الله وأثن عليه وصل على النبي صلى الله عليه وآله وقل:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَنِي مِمَّنِ اسْتَجَابَ لَكَ، وَأَمَّنَ بِوَعْدِكَ، وَاتَّبَعَ أَمْرَكَ، فَإِنِّي عَبْدُكَ وَفِي قَبْضَتِكَ، لَا أُوقِي إِلَّا مَا وَقَيْتَ، وَلَا أَخْذُ إِلَّا مَا أَعْطَيْتَ، وَقَدْ ذَكَرْتَ الْحَجَّ فَأَسْأَلُكَ أَنْ تَغْزِمَ لِي عَلَيْهِ عَلَى كِتَابِكَ وَسُنَّةِ نَبِيِّكَ، وَتُقَوِّينِي عَلَى مَا ضَمَعْتَ عَنْهُ، وَتَسَلِّمَ مِنِّي مَنَاسِكَي فِي يُسْرٍ مِنْكَ وَعَافِيَةٍ، وَاجْعَلْنِي مِنْ وَفْدِكَ، الَّذِينَ رَضِيَتْ وَارْتَضَيْتَ وَسَمَّيْتَ وَكَتَبْتَ، اللَّهُمَّ فَتَمِّمْ لِي حَجِّي وَعُمْرَتِي، اللَّهُمَّ إِنِّي أُرِيدُ التَّمَتُّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ عَلَى كِتَابِكَ وَسُنَّةِ نَبِيِّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَإِنْ عَرَضَ لِي شَيْءٌ يَحْبِسُنِي، فَحُلِّنِي حَيْثُ حَبَسْتَنِي لِقَدْرِكَ، الَّذِي قَدَّرْتَ عَلَيَّ، اللَّهُمَّ إِنْ لَمْ تَكُنْ حَاجَةً فَعُمْرَةٌ، أَحْرَمَ لَكَ شِعْرِي وَبَشْرِي وَلَحْمِي وَدَمِي وَعِظَامِي وَمُخِي وَعَصِيْبِي مِنَ النِّسَاءِ وَالنِّسَابِ وَالطَّيْبِ، أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَكَ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ» قال: ويجزئك أن تقول هذا مرّةً واحدةً حين تحرم، ثم قم فامش هنيئاً، فإذا استوت بك الأرض ماشياً كنت، أوراكباً فلبّ (١).

ص: ٢٣

٢- عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: إنني أريد أن أتمتع بالعمرة إلى الحج، فكيف أقول؟ قال: تقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَتَمَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ عَلَى كِتَابِكَ وَسُنَّةِ نَبِيِّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَإِنْ شِئْتَ أَضَمَرْتَ الَّذِي تُرِيدُ» (١).

التلبية

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: التلبية «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنُّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ. لَبَّيْكَ ذَا الْمَعَارِجِ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ دَاعِيًا إِلَى دَارِ السَّلَامِ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ غَفَّارَ الذُّنُوبِ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ أَهْلَ التَّلْبِيَةِ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ مَرْهُوبًا وَمَرْغُوبًا إِلَيْكَ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ تَبْدِيئًا وَالْمَعَادُ إِلَيْكَ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ كَشَافَ الْكُرْبِ الْعِظَامِ، لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدَيْكَ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ يَا كَرِيمَ لَبَّيْكَ»

تقول ذلك في دبر كل صلاة مكتوبة أو نافله، وحين ينهض بك بعيرك، وإذا علوت شرفاً، أو هبطت وادياً، أو لقيت راكباً، أو استيقظت من منامك وبالأسحار، وأكثر ما استطعت منها وأجهر بها، وإن تركت بعض التلبية فلا يضرك، غير أن تمامها أفضل، واعلم أنه لا بد من التليات الأربع في أول الكلام، وهي الفريضة، وهي التوحيد، وبها لبى المرسلون، وأكثر من ذى المعارج، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يكثر منها، وأول من لبى إبراهيم عليه السلام قال: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَدْعُوكُمْ إِلَى أَنْ تَحْجُوا بَيْتَهُ، فَأَجَابُوهُ بِالتَّلْبِيَةِ، فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ أَخَذَ مِيثَاقَهُ بِالْمُؤَافَاةِ فِي ظَهْرِ رَجُلٍ وَلَا بَطْنِ امْرَأَةٍ، إِلَّا أَجَابَ بِالتَّلْبِيَةِ (٢).

الدعاء عند دخول المسجد الحرام

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا دخلت المسجد الحرام، فادخله حافياً على السكينة والوقار والخشوع، وقال: ومن دخله بخشوع، غفر الله له إن شاء الله،

١- الاستبصار ٢: ١٦٧، الكافي ٤: ٣٣٢.

٢- الكافي ٤: ٣٣٥

ص: ٢٤

قلت: ما الخشوع؟ قال: السكينة، لا تدخله بتكبر، فإذا انتهيت إلى باب المسجد، فقم وقل: السّلام عليك أيها النّبي ورحمة الله وبركاته بسم الله وبالله، ومن الله وما شاء الله، والسّلام على أنبياء الله ورسوله، والسّلام على رسول الله، والسّلام على إبراهيم، والحمد لله ربّ العالمين، فإذا دخلت المسجد، فارفع يديك، واستقبل البيت، وقل: «اللّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِي مَقَامِي هَذَا فِي أَوَّلِ مَنْاسِكَي أَنْ تَقْبَلَ تَوْبَتِي، وَأَنْ تَجَاوِزَ عَنِّي خَطِيئَتِي، وَتَضَعَ عَنِّي وَزْرِي، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَلَّغَنِي بَيْتَهُ الْحَرَامَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُ أَنَّ هَذَا بَيْتُكَ الْحَرَامَ، الَّذِي جَعَلْتَهُ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ إِنِّي عَبِيدُكَ، وَالْبَلَدُ بَلَدُكَ، وَالسَّيِّئَةُ بَيْتُكَ، جِئْتُ أَطْلُبُ رَحْمَتَكَ، وَأَوْفُؤُ طَاعَتَكَ، مُطِيعًا لِأَمْرِكَ، رَاضِيًا بِقَدْرِكَ، أَسْأَلُكَ مَسْأَلَةَ الْمُضْطَرِّ إِلَيْكَ، الْخَائِفِ لِعُقُوبَتِكَ، اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، وَاسْتَعْمِلْنِي بِطَاعَتِكَ وَمَرْضَاتِكَ» (١).

دعاء آخر

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: تقول وأنت على باب المسجد: «بِسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ وَمِنَ اللَّهِ، وَمَا شَاءَ اللَّهُ، وَعَلَى مَلَأَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَخَيْرِ الْأَسْمَاءِ لِلَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ السَّلَامُ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَى أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ، السَّلَامُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ، السَّلَامُ عَلَى الْمُؤَسِّلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَارْحَمْ مُحَمَّدًا وَآلَ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَبَارَكْتَ وَتَرَحَّمْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ عِبِيدِكَ وَرَسُولِكَ، وَعَلَى إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِكَ، وَعَلَى أَنْبِيَائِكَ وَرُسُلِكَ، وَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ، وَاسْلَمْ عَلَى الْمُؤَسِّلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، وَاسْتَعْمِلْنِي فِي طَاعَتِكَ وَمَرْضَاتِكَ،

ص: ٢٥

وَاحْفَظْنِي بِحِفْظِ الْإِيمَانِ أَيْدَاءَ مَا أَبْقَيْتَنِي حَيْلَ تَمَاءٍ وَجَهِيكَ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَنِي مِنْ وَفْدِهِ وَرُؤَاغِهِ، وَجَعَلَنِي مِمَّنْ يَعْمُرُ مَسَاجِدَهُ، وَجَعَلَنِي مِمَّنْ يُبَاجِيهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَرَائِكَ فِي بَيْتِكَ وَعَلَى كُلِّ مَائِي حَقٌّ لِمَنْ أَنَاهُ وَزَارَهُ، وَأَنْتَ خَيْرُ مَائِي وَأَكْرَمُ مَزُورٍ، فَاسْأَلُكَ يَا اللَّهُ يَا رَحْمَنُ بِأَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ، الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحَدَّكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، وَبِأَنَّكَ وَاحِدٌ أَحَدٌ صَمَدٌ، لَمْ تَلِدْ وَلَمْ تُوَلَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفْوًا أَحَدٌ، وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، يَا جَوَادُ يَا كَرِيمُ، يَا مَاجِدُ يَا جَبَّارُ يَا كَرِيمُ، أَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ تُحْفَتَكَ إِيَّايَ بِيَارَتِي إِيَّاكَ أَوَّلَ شَيْءٍ تُعْطِينِي فَكَأَنَّكَ رَفَقْتِي مِنَ النَّارِ، اللَّهُمَّ فَكَّ رَفَقْتِي مِنَ النَّارِ، تَقُولُهَا ثَلَاثًا، وَأَوْسَعْ عَلَيَّ مِنْ رِزْقِكَ الْحَلَالِ الطَّيِّبِ، وَادْرَأْ عَنِّي شَرَّ شَيْطَانِي الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، وَشَرَّ فَسَقَةِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ» (١).

الدعاء بعد دخول المسجد

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا دخلت المسجد الحرام، فامشِ حَتَّى تَدْنُو مِنَ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ فَتَسْتَقْبَلْهُ، وَتَقُولَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِهِ، وَأَكْبَرُ مِمَّنْ أَخَشَى وَأَخْذَرُ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَخِدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَ لَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ وَيُمِيتُ وَيُحْيِي بِيَدِهِ الْخَيْرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»، وَتُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ. وَتَسَلِّمُ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، كَمَا فَعَلْتَ حِينَ دَخَلْتَ الْمَسْجِدَ، ثُمَّ تَقُولَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَوْ مِنْ بَوْعِدِكَ وَأَوْ فِي بَعْدِكَ» (٢).

الدعاء عند استقبال الحجر

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا دنوت من الحجر الأسود، فارفع يديك، واحمد الله وأثن عليه، وصل على النبي صلى الله عليه وآله، واسأل الله أن يتقبل منك، ثم استلم

١- التهذيب ٥: ٦٠٠، وسائل الشيعة ١٣: ٢٠٥.

٢- الكافي ٤: ٤٠٣.

ص: ٢٦

الحجر وقبلة، فإن لم تستطع أن تقبله فاستلمه بيدك، فإن لم تستطع أن تستلمه بيدك فأشر إليه وقل: «اللَّهُمَّ أَمَانَتِي أَدَيْتَهَا، وَمِيثَاقِي تَعَاهَدْتُهُ؛ لِتَشْهَدَ لِي بِالْمُؤَافَاةِ، اللَّهُمَّ تَصَدِّيقًا بِكِتَابِكَ وَعَلَى سُنَّةِ نَبِيِّكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، آمَنْتُ بِاللَّهِ، وَكَفَرْتُ بِالْحَبِيبِ وَالطَّاغُوتِ وَاللَّاتِ وَالْعُزَّىٰ وَعِبَادَةَ الشَّيْطَانِ، وَعِبَادَةَ كُلِّ نِدٍّ يُدْعَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ» فإن لم تستطع أن تقول هذا كله فبعضه، وقل: «اللَّهُمَّ إِلَيْكَ بَسَّطْتُ يَدِي، وَفِيمَا عِنْدَكَ عَظُمْتَ رَغْبَتِي، فَاقْبَلْ سَيِّئَتِي، وَاغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ، وَمَوَاقِفِ الْخِزْيِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» (١).

دعاء آخر

علی بن ابراهیم عن ابيه، عن حماد بن عيسى، عن حريز عمّن ذكره عن أبي جعفر عليه السلام قال: إذا دخلت المسجد الحرام وحاذيت الحجر الأسود فقل: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، آمَنْتُ بِاللَّهِ وَكَفَرْتُ بِالطَّاغُوتِ وَاللَّاتِ وَالْعُزَّىٰ وَعِبَادَةَ الشَّيْطَانِ، وَبِعِبَادَةِ كُلِّ نِدٍّ يُدْعَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ» ثم ادن من الحجر واستلمه بيمينك، ثم تقول: «بِسْمِ اللَّهِ وَاللَّهِ أَكْبَرُ اللَّهُمَّ أَمَانَتِي أَدَيْتَهَا وَمِيثَاقِي تَعَاهَدْتُهُ لِتَشْهَدَ عِنْدَكَ لِي بِالْمُؤَافَاةِ» (٢).

أدعية الطواف وما ورد حول الكعبة

١- علي بن ابراهيم عن ابيه، عن ابن أبي عمير ومحمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن ابن أبي عمير، و صفوان بن يحيى، عن معاوية بن عمارة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: طف بالبيت سبعة أشواط، وتقول في الطواف: «اللَّهُمَّ إِنِّي

١- التهذيب ٥: ١٠٢، الكافي ٤: ٤٠٢.

٢- وسائل الشيعة ١٣: ٣١٥.

ص: ٢٧

أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي يُمَشَى بِهِ عَلَى طَلَلِ الْمَاءِ، كَمَا يُمَشَى بِهِ عَلَى جَدَدِ الْأَرْضِ، وَ أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي يَهْتَرُ لَهُ عَرْشُكَ، وَ أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي تَهْتَرُ لَهُ أَقْدَامُ مَلَائِكَتِكَ، وَ أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي دَعَاكَ بِهِ مُوسَى مِنْ جَانِبِ الطُّورِ فَاسْتَجَبَتْ لَهُ وَ أَلْقَيْتَ عَلَيْهِ مَحَبَّةً مِنْكَ، وَ أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي غَفَرْتَ بِهِ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَ مَا تَأَخَّرَ وَ أَتَمَمْتَ عَلَيْهِ نِعْمَتَكَ أَنْ تَفْعَلَ بِي كَذَا وَ كَذَا» مَا أَحْبَبْتَ مِنَ الدُّعَاءِ وَ كَلَّمَا انْتَهَيْتَ إِلَى بَابِ الْكَعْبَةِ فَصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ تَقُولُ فِيمَا بَيْنَ الرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ وَ الْحِجْرِ الْأَسْوَدِ: «رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَ فِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَ قِنَا عَذَابَ النَّارِ» وَ قُلْ فِي الطَّوْفِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي إِلَيْكَ فَقِيرٌ، وَ إِنِّي خَائِفٌ مُسْتَجِيرٌ، فَلَا تُغَيِّرْ جِسْمِي وَ لَا تُبَدِّلْ اسْمِي» (١).

٢- عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ أَبِي عَمِيرٍ، عَنْ عَمْرِ بْنِ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا بَلَغَ الْحِجْرَ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ الْمِيزَابَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَذْخِلْنِي الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِكَ، وَ هُوَ يَنْظُرُ إِلَى الْمِيزَابِ، وَ أَجْرَنِي بِرَحْمَتِكَ مِنَ النَّارِ، وَ عَافِنِي مِنَ السُّقْمِ، وَ أَوْسِعْ عَلَيَّ مِنَ الرِّزْقِ الْحَلَالِ، وَ ادْرَأْ عَنِّي شَرَّ فَسَقَةِ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ وَ شَرَّ فَسَقَةِ الْعَرَبِ وَ الْعَجَمِ» (٢).

٣- عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: يَسْتَحَبُّ أَنْ تَقُولَ بَيْنَ الرُّكْنِ وَ الْحِجْرِ: «اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَ فِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَ قِنَا عَذَابَ النَّارِ» وَقَالَ: إِنَّ مَلَكًا مَوَكَّلًا يَقُولُ آمِينَ (٣).

٤- عَنْ أَبِي مَرْيَمَ قَالَ: كُنْتُ مَعَ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَطُوفُ، فَكَانَ لَا يَمُرُّ فِي طَوَافٍ مِنْ طَوَافِهِ بِالرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ إِلَّا اسْتَلَمَهُ ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ تُبَّ عَلَيَّ حَتَّى أَتُوبَ، وَ اعْصِمْنِي

١- الكافي ٤: ٤٠٦

٢- التهذيب ٥: ١٠٥، الكافي ٤: ٤٠٧.

٣- الكافي ٤: ٤٠٨

ص: ٢٨

حَتَّى لَا أَعُودَ» (١).

٥- عن أبي الحسن عليه السلام أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ طَافَ بِالْكَعْبَةِ حَتَّى إِذَا بَلَغَ الرُّكْنَ الْيَمَانِيَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى الْكَعْبَةِ ثُمَّ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَّفَكَ وَعَظَمَكَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَعَثَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَ عَلَيَّ إِمَامًا، اللَّهُمَّ اهْدِ لِي خِيَارَ خَلْقِكَ وَجَنِّبْهُ شِرَارَ خَلْقِكَ» (٢).

٦- عن عبد الله بن سنان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا كنت في الطواف السابع فأت المتعوذ، وهو إذا قمت في دبر الكعبة حذاء الباب فقل: «اللَّهُمَّ الْبَيْتُ بَيْتُكَ وَالْعَبْدُ عَبْدُكَ، وَهَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ النَّارِ، اللَّهُمَّ مِنْ قَبْلِكَ الرُّوحُ وَالْفَرْجُ» ثُمَّ اسْتَلِمَ الرُّكْنَ الْيَمَانِيَّ، ثُمَّ أَتَى الْحَجَرَ فَخَتَمَ بِهِ (٣).

٧- عن الفضل بن شاذان، عن ابن أبي عمير، وصفوان بن يحيى، عن معاوية بن عمارة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا فرغت من طوافك، وبلغت مؤخر الكعبة وهو بحذاء المستجار دون الركن اليماني بقليل، فابسط يديك على البيت، وألصق بطنك وخذك بالبيت وقل: «اللَّهُمَّ الْبَيْتُ بَيْتُكَ وَالْعَبْدُ عَبْدُكَ، وَهَذَا مَكَانُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ النَّارِ» ثُمَّ أَقْرَبَ لِرَبِّكَ بِمَا عَمَلْتَ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ مَوْمِنٍ يَقْرَأُ لِرَبِّهِ بِذُنُوبِهِ فِي هَذَا الْمَكَانِ إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وتقول: «اللَّهُمَّ مِنْ قَبْلِكَ الرُّوحُ وَالْفَرْجُ وَالْعَافِيَةُ، اللَّهُمَّ إِنَّ عَمَلِي ضَعِيفٌ فَصَاعِقْهُ لِي، وَاعْفُزْ لِي مَا أَطْلَعْتَ عَلَيْهِ مِنِّي وَخَفِيَ عَلَيَّ خَلْقِكَ» ثُمَّ تَسْتَجِيرُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ، وَتُخَيِّرُ لِنَفْسِكَ مِنَ الدُّعَاءِ، ثُمَّ اسْتَلِمَ الرُّكْنَ الْيَمَانِيَّ، ثُمَّ أَتَى الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ (٤).

١- وسائل الشيعة ١٣: ٣٣٤.

٢- الكافي ٤: ٤١٠.

٣- وسائل الشيعة ١٣: ٣٤٥.

٤- الكافي ٤: ٤١١.

ص: ٢٩

الدعاء بعد صلاة الطواف

عن الفضل بن شاذان، عن صفوان بن يحيى وابن أبي عمير، عن معاوية بن عمارة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا فرغت من الرّكعتين، فأت الحجر الأسود وقبّله واسئلمه أو أشز إليه، فإنه لا بدّ من ذلك، وقال: إن قدرت أن تشرب من ماء زمزم قبل أن تخرج إلى الصّفا فافعل، وتقول حين تشرب: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ عَلِمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا وَاسِعًا، وَشِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ وَسُقْمٍ» قال: وبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال حين نظر إلى زمزم: لو لا أنني أشقُّ على أمّتي، لأخذت منه ذنوباً أو ذنوبين (١).

الدعاء بعد شرب ماء زمزم

علّى بن إبراهيم عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حماد بن الحلبى، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا فرغ الرّجل من طوافه وصلّى ركعتين، فليأت زمزم وليستق منه ذنوباً أو ذنوبين، وليشرب منه، وليصبّ على رأسه وظهره وباطنه، ويقول: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ عَلِمًا نَافِعًا وَرِزْقًا وَاسِعًا وَشِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ وَسُقْمٍ» ثمّ يعود إلى الحجر الأسود (٢).

الدعاء عند الوقوف على الصفا

١- علّى بن إبراهيم عن أبيه، عن ابن أبي عمير، ومحمّد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن صفوان بن يحيى، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمارة، عن أبي عبد الله عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله حين فرغ من طوافه وركعتيه قال: أبدأ بما بدأ الله عزّ وجلّ به من إتيان الصّفا، إن الله عزّ وجلّ يقول: إِنَّ الصّفا والمروة من شعائر الله قال أبو عبد الله عليه السلام: ثمّ اخرج إلى الصّفا من الباب الذى خرج منه رسول

١- الكافي ٤: ٤٣٠

٢- الكافي ٤: ٤٣٠

ص: ٣٠

اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهُوَ الْبَابُ الَّذِي يَقَابِلُ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ حَتَّى تَقْطَعَ الْوَادِيَّ وَعَلَيْكَ السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ، فَاصْعِدْ عَلَى الصَّفَا حَتَّى تَنْظُرَ إِلَى الْبَيْتِ، وَتَسْتَقْبِلَ الرُّكْنَ الَّذِي فِيهِ الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ، وَاحْمَدِ اللَّهَ وَأَثْنِ عَلَيْهِ، ثُمَّ اذْكُرْ مِنْ آيَاتِهِ وَبَلَائِهِ وَحَسَنَ مَا صَنَعَ إِلَيْكَ مَا قَدَرْتَ عَلَى ذِكْرِهِ، ثُمَّ كَبِّرِ اللَّهَ سَبْعًا وَاحْمَدِهِ سَبْعًا وَهَلِّهِ سَبْعًا، وَقُلْ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَ لَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَ هُوَ حَتَّى لَا يَمُوتَ وَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ صَلِّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَقُلْ: «اللَّهُ أَكْبَرُ عَلَى مَا هَدَانَا، وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَوْلَانَا، وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الدَّائِمِ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَقُلْ: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ، لَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ أَللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَ الْعَافِيَةَ وَ الْيَقِينَ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ أَللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَ فِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَ قِنَا عَذَابَ النَّارِ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ كَبِّرِ اللَّهَ مِائَةَ مَرَّةٍ، وَهَلِّ مِائَةَ مَرَّةٍ، وَاحْمَدِ مِائَةَ مَرَّةٍ، وَسَبِّحْ مِائَةَ مَرَّةٍ، وَقُولْ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ أَنْجَزَ وَعْدَهُ وَ نَصَرَ عَبْدَهُ وَ غَلَبَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ فَلَهُ الْمُلْكُ وَ لَهُ الْحَمْدُ وَخِيَدَهُ وَخِيَدَهُ، أَللَّهُمَّ يَا رُكَّ لِي فِي الْمَوْتِ وَ فِي مَا بَعْدَ الْمَوْتِ، أَللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ ظُلْمَةِ الْقَبْرِ وَ وَحْشَتِهِ، أَللَّهُمَّ أَظْلِمْنِي فِي ظِلِّ عَرْشِكَ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّكَ» وَأَكْثَرِ مِنْ أَنْ تَسْتَوْدِعَ بِكَ دِينَكَ وَنَفْسَكَ وَأَهْلَكَ ثُمَّ تَقُولُ: «أَسْتَودِعُ اللَّهَ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ الَّذِي لَا يَضِيغُ وَدَائِعُهُ نَفْسِي وَدِينِي وَأَهْلِي، أَللَّهُمَّ اسْتَغْمِلْنِي عَلَى كِتَابِكَ وَ سُنَّةِ نَبِيِّكَ وَ تَوْفَنِي عَلَى مِلَّةِ وَأَعِدْنِي مِنَ الْفِتْنَةِ» ثُمَّ تَكْبِرُ ثَلَاثًا ثُمَّ تَعِيدُهَا، مَرَّتَيْنِ ثُمَّ تَكْبِرُ وَاحِدَةً ثُمَّ تَعِيدُهَا فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ هَذَا فَبَعْضُهُ. وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ يَقِفُ عَلَى الصَّفَا بِقَدْرِ مَا يَقْرَأُ سُورَةَ الْبَقَرَةَ مَرَّةً (١).

٢- كان أمير المؤمنين عليه السلام إذا صعد الصفا استقبل الكعبة ثم رفع يديه ثم يقول:
«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي كُلَّ ذَنْبٍ أَذْنَبْتُهُ قَطُّ، فَإِنْ عُدْتُ فَعُدْتُ عَلَيَّ بِالْمَغْفِرَةِ، فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ

ص: ٣١

الرَّحِيمِ، اللَّهُمَّ افْعَلْ بِي مَا أَنْتَ أَهْلُهُ فَإِنَّكَ إِنْ تَفَعَّلْتَ بِي مَا أَنْتَ أَهْلُهُ تَرَحَّمَنِي، وَإِنْ تُعَذِّبْنِي فَأَنْتَ عَنِّي عَنْ عَذَابِي وَأَنَا مُحْتَاجٌ إِلَى رَحْمَتِكَ، فَيَا مَنْ أَنَا مُحْتَاجٌ إِلَى رَحْمَتِهِ ارْحَمْنِي، اللَّهُمَّ لَا تَفْعَلْ بِي مَا أَنَا أَهْلُهُ، فَإِنَّكَ إِنْ تَفَعَّلْتَ بِي مَا أَنَا أَهْلُهُ تُعَذِّبْنِي وَلَمْ تَظْلَمْنِي، أَصْبَحْتُ أَتَقِي عَذْلَكَ، وَلَا أَخَافُ جَوْرَكَ، فَيَا مَنْ هُوَ عَدْلٌ لَا يَجُورُ ارْحَمْنِي» (١).

الدعاء بين الصفا والمروة

١- عن محمد بن عمر بن يزيد، عن بعض أصحابه قال: كنت وراء أبي الحسن موسى عليه السلام على الصفا أو على المروة، وهو لا يزيد على حرفين «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُسْنَ الظَّنِّ بِكَ فِي كُلِّ حَالٍ، وَصِدْقَ النَّبِيِّ فِي التَّوَكُّلِ عَلَيْكَ» (٢).

٢- علي بن إبراهيم عن أبيه، عن ابن أبي عمير عن معاوية بن عمارة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: انحدر من الصفا ماشياً إلى المروة وعليك السكينة والوقار حتى تأتي المنارة وهي على طرف المسعى، فاسع ملاً فزوجك وقل، «بِسْمِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَتَجَاوَزْ عَمَّا تَعَلَّمَ وَأَنْتَ الْأَعَزُّ الْأَكْرَمُ» حتى تبلغ المنارة الأخرى فإذا جاوزتها فقل: «يَا ذَا الْمَنِّ وَالْفَضْلِ وَالْكَرَمِ وَالنَّعْمَاءِ وَالْجُودِ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» ثم امش وعليك السكينة والوقار حتى تأتي المروة فاصعد عليها حتى يبدو لك البيت، واصنع عليها كما صنعت على الصفا، وطف بينهما سبعة أشواطٍ تبدأ بالصفا وتختتم بالمروة (٣).

١- الكافي ٤: ٤٣٢

٢- الكافي ٤: ٤٣٣

٣- الكافي ٤: ٤٣٤

ص: ٣٢

دعاء الاحرام للحج يوم التروية

وفى روايه ابي بصير عن ابي عبد الله عليه السلام قال: إذا أردت أن تحرم يوم التروية، فاصنع كما صنعت حين أردت أن تحرم، وخذ من شاربك ومن أظفارك واطل عانتك إن كان لك شعز وانتف إبطيك، واغتسل والبس ثوبيك، ثم ائت المسجد الحرام فصل فيه ست ركعات قبل أن تحرم، وتدعو الله وتساله العون، وتقول:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أُرِيدُ الْحَجَّ فَيَسِّرْهُ لِي، وَحُلِّنِي حَيْثُ حَبَسْتَنِي لِقَدْرِكَ الَّذِي قَدَّرْتَ عَلَيَّ» وتقول: «أَحْرَمَ لَكَ شَعْرِي وَبَشْرِي وَلَحْمِي وَدَمِي مِنَ النِّسَاءِ وَالطَّيْبِ وَالثِّيَابِ، أُرِيدُ بِذَلِكَ وَجْهَكَ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ، وَحُلِّنِي حَيْثُ حَبَسْتَنِي لِقَدْرِكَ الَّذِي قَدَّرْتَ عَلَيَّ» ثم تلب من المسجد الحرام كما لبيت حين أحرمت، وتقول: «لَبَّيْكَ بِحَبْجَةِ تَمَامِهَا وَبَلَاغِهَا عَلَيْكَ» وإن قدرت أن يكون في رواحك إلى منى زوال الشمس، وإلا فمتى ما تيسر لك من يوم التروية (١).

دعاء الخروج إلى منى

علئ بن إبراهيم عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمارة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا توجهت إلى منى فقل: «اللَّهُمَّ إِيَّاكَ أَرْجُو وَإِيَّاكَ أَدْعُو، فَبَلِّغْنِي أَمَلِي، وَأَصْلِحْ لِي عَمَلِي» (٢)

الدعاء عند نزول منى وحدودها

علئ بن إبراهيم عن أبيه، ومحمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن صفوان بن يحيى، وابن أبي عمير عن معاوية بن عمارة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا انتهيت إلى منى فقل: «اللَّهُمَّ هَذِهِ مِنِّي وَهِيَ مِمَّا مَنَنْتَ بِهَا عَلَيْنَا مِنَ الْمَنَاسِكِ،

١- الكافي ٤: ٤٥٤

٢- التهذيب ٥: ١٧٧، وسائل الشيعة ١٣: ٥٢٦.

ص: ٣٣

فَأَسْأَلُكَ أَنْ تَمُنَّ عَلَيْنَا بِمَا مَنَنْتَ بِهِ عَلَيَّ أَنْبِيَائِكَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُكَ وَفِي قَبْضَتِكَ» ثُمَّ تَصَلَّى بِهَا الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ الْآخِرَةَ وَالْفَجْرَ، وَالْإِمَامُ يَصَلَّى بِهَا الظُّهْرَ لَا يَسْعَهُ إِلَّا ذَلِكَ، وَمَوْسَعٌ عَلَيْكَ أَنْ تَصَلَّى بِغَيْرِهَا إِنْ لَمْ تَقْدِرْ، ثُمَّ تَدْرِكُهُمْ بِعِرْفَاتٍ. قَالَ: وَحَدَّثَنِي مِنَ الْعُقْبَةِ إِلَى وَادِي مُحَسَّرٍ (١).

الدعاء عند الغدو إلى عرفات وحدودها

عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ، وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ الْفَضْلِ بْنِ شَاذَانَ، عَنِ ابْنِ أَبِي عَمِيرٍ، وَصَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى، عَنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ عَمَّارٍ، عَنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: إِذَا غَدَوْتَ إِلَى عِرْفَةَ، فَقُلْ وَأَنْتَ مُتَوَجِّهُ إِلَيْهَا: «اللَّهُمَّ إِلَيْكَ صَمَدْتُ، وَإِيَّاكَ اعْتَمَدْتُ، وَوَجْهَكَ أَرَدْتُ، فَاسْأَلُكَ أَنْ تُبَارِكَ لِي فِي رِحْلَتِي وَ أَنْ تَقْضِيَ لِي حَاجَتِي، وَ أَنْ تَجْعَلَ لِي الْيَوْمَ مَمَّنَّ تُبَاهِي بِهِ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنِّي» ثُمَّ تَلَبَّ وَأَنْتَ غَادٍ إِلَى عِرْفَاتٍ، فَإِذَا انْتَهَيْتَ إِلَى عِرْفَاتٍ، فَاضْرِبْ خَبَاءَ كَنْبَمْرَةَ وَنَمْرَةَ هِيَ بَطْنُ عِرْنَةَ دُونَ الْمَوْقِفِ وَدُونَ عِرْفَةَ، فَإِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ يَوْمَ عِرْفَةَ، فَاغْتَسِلْ، وَصَلِّ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ بِأُذَانٍ وَاحِدٍ وَإِقَامَتَيْنِ، وَإِنَّمَا تَعْجَلُ الْعَصْرَ وَتَجْمَعُ بَيْنَهُمَا، لِتَفَرِّغَ نَفْسَكَ لِلدُّعَاءِ فَإِنَّهُ يَوْمَ دُعَاءٍ وَمَسْأَلَةٍ. قَالَ: وَحَدَّثَنِي مِنَ بَطْنِ عِرْنَةَ وَثَوِيَّةَ وَنَمْرَةَ إِلَى ذِي الْمَجَازِ وَخَلْفِ الْجَبَلِ مَوْقِفٌ (٢).

الدعاء عند الوقوف بعرفة وحدد الموقف

عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ، وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ الْفَضْلِ بْنِ شَاذَانَ، عَنِ ابْنِ أَبِي عَمِيرٍ، وَصَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى، عَنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ عَمَّارٍ، عَنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قِفْ فِي مَيْسِرَةِ الْجَبَلِ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَوَقِفْ بِعِرْفَاتٍ فِي مَيْسِرَةِ الْجَبَلِ، فَلَمَّا وَقَفَ جَعَلَ

١- الكافي ٤: ٤٦١

٢- التهذيب ٥: ١٧٩، الكافي ٤: ٤٦١.

ص: ٣٤

النَّاسُ يبتَدِرُونَ أَخْفَافَ نَاقَتِهِ فَيَقْفُونَ إِلَى جَانِبِهِ فَنَحَّاهَا، ففعلوا مثل ذلك، فقال:

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَيْسَ مَوْضِعُ أَخْفَافِ نَاقَتِي الْمَوْقِفِ، وَلَكِنْ هَذَا كُلُّهُ مَوْقِفٌ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَوْقِفِ، وَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ فِي الْمَزْدَلْفَةِ، فَإِذَا رَأَيْتَ خَلْلًا فَسَدَّهُ بِنَفْسِكَ وَرَاحِلَتِكَ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَحِبُّ أَنْ تَسُدَّ تَلَكَ الْخَلَالَ، وَاتَّقِلْ عَنِ الْهَضَابِ وَاتَّقِ الْأَرَكَ، فَإِذَا وَقَفْتَ بِعَرَفَاتٍ فَاحْمَدِ اللَّهَ وَهَلِّلْهُ وَمَجِّدْهُ وَأَثْنِ عَلَيْهِ وَكَبِّرْهُ مَائَةً تَكْبِيرًا، وَأَقْرَأْ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ مَائَةً مَرَّةً، وَتَخَيَّرْ لِنَفْسِكَ مِنَ الدُّعَاءِ مَا أَحْبَبْتَ، وَاجْتَهِدْ فَإِنَّهُ يَوْمَ دُعَاءٍ وَمَسْأَلَةٍ، وَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَنْ يَذْهَبَكَ فِي مَوْضِعٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَذْهَبَكَ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَشْتَغَلَ بِالنَّظَرِ إِلَى النَّاسِ، وَأَقْبَلْ قَبْلَ نَفْسِكَ، وَلِيَكُنْ فِيمَا تَقُولُ: «اللَّهُمَّ رَبَّ الْمَشَاعِرِ كُلِّهَا، فَكَّرْ رَقَبَتِي مِنَ النَّارِ، وَ أَوْسِعْ عَلَيَّ مِنَ الرِّزْقِ الْخَلَالِ، وَ ادْرَأْ عَنِّي شَرَّ فَسَقَةِ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ، اللَّهُمَّ لَا تَمْكُرْ بِي، وَ لَا تَخْدَعْ عَنِّي، وَ لَا تَشْتَدِّرْ جَنِي يَا أَسْرَعَ السَّامِعِينَ، وَ يَا أَبْصَرَ النَّاطِرِينَ، وَ يَا أَسْرَعَ الْحَاسِبِينَ، وَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، أَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّئِي عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَ أَنْ تَفْعَلَ بِي كَذَا وَ كَذَا» وَلِيَكُنْ فِيمَا تَقُولُ وَأَنْتَ رَافِعٌ يَدَيْكَ إِلَى السَّمَاءِ: «اللَّهُمَّ حَاجَتِي الَّتِي إِنْ أُعْطِيَتْهَا لَمْ يَضُرَّنِي مَا مَنَعْتَنِي، وَ إِنْ مَنَعْتَنِيهَا لَمْ يَنْفَعْنِي مَا أُعْطَيْتَنِي، أَسْأَلُكَ خَلَّاصَ رَقَبَتِي مِنَ النَّارِ، اللَّهُمَّ إِنِّي عَيْدُكَ وَ مَلِكُ يَدِكَ وَ نَاصِحَةُ يَدِي بِيَدِكَ وَ أَجْلِي بِعِلْمِكَ، أَسْأَلُكَ أَنْ تُؤَفِّقَنِي لِمَا يُرِضِيكَ عَنِّي، وَأَنْ تُسَلِّمَ مِنِّي مَنْسَأَةَ كَيْ الَّتِي أَرْتِيهَا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِكَ، وَ دَلَّلْتَ عَلَيْهَا حَبِيبَكَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَلِيَكُنْ فِيمَا تَقُولُ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِمَّنْ رَضِيَتْ عَمَلُهُ وَأَطَلَتْ عُمُرُهُ، وَأُخِيَّتُهُ بَعْدَ الْمَوْتِ حَيَاةً طَيِّبَةً» (١).

الدعاء في عرفات قبل غروب الشمس

عن عبد الله بن ميمون قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وقف بعرفات، فلما همت الشمس أن تغيب قبل أن تندفع قال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ

ص: ٣٥

مَنْ الْفَقْرُ وَمِنْ تَشَدُّتِ الْأُمْرِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَحْدُثُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، أَمْسَى ظَلَمِي مُسْتَجِيرًا بِعَفْوِكَ، وَأَمْسَى خَوْفِي مُسْتَجِيرًا بِأَمَانِكَ، وَأَمْسَى ذُلِّي مُسْتَجِيرًا بِعِزِّكَ، وَأَمْسَى وَجْهِي الْفَانِي مُسْتَجِيرًا بِوَجْهِكَ الْبَاقِي، يَا خَيْرَ مَنْ سُئِلَ، وَيَا أَجْوَدَ مَنْ أُعْطِيَ، جَلَلَنِي بِرَحْمَتِكَ، وَأَلْبَسَنِي عَافِيَتِكَ، وَاصْرِفْ عَنِّي شَرَّ جَمِيعِ خَلْقِكَ».

قال عليه السلام: وسمعت أبي يقول: «يَا خَيْرَ مَنْ سُئِلَ وَيَا أَوْسَعَ مَنْ أُعْطِيَ، وَيَا أَرْحَمَ مَنْ اسْتُرْحِمَ» ثم سل حاجتك (١).

الدعاء عند الإفاضة من عرفات

١- علي بن إبراهيم عن أبيه، ومحمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن صفوان بن يحيى، عن معاوية بن عمارة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنَّ المشركين كانوا يفيضون من قبل أن تغيب الشمس، فخالفهم رسول الله صلى الله عليه وآله فأفاض بعد غروب الشمس، قال وقال أبو عبد الله عليه السلام: إذا غربت الشمس، فأفرض مع الناس، وعليك السكينة والوقار، وأفرض بالاستغفار، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول: ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ فإذا انتهيت إلى الكتيب الأحمر عن يمين الطريق، فقل: «اللَّهُمَّ ارْحَمْ مَوْفِقِي، وَزِدْ فِي عِلْمِي، وَسَلِّمْ لِي دِينِي، وَتَقَبَّلْ مَنَاسِكَي» وإياك والوجيف الذي يصنعه الناس، فإنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الْحَجَّ لَيْسَ بِوَجِيفِ الْخَيْلِ وَلَا- بِضَاعِ الْإِبِلِ، وَلَكِنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَسَيَرُوا سَيْرًا جَمِيلًا لَا تَوَطُّوْا ضَعِيفًا وَلَا تَوَطُّوْا مُسَلِّمًا، وَتَوَادُّوْا وَاقْتَصِدُوا فِي السَّيْرِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ يَكْفُ نَاقَتَهُ حَتَّى يَصِيبَ رَأْسَهَا مَقْدَمَ الرَّحْلِ، وَيَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِالذَّعَةِ، فَسَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَتَّبِعْ، قَالَ مُعَاوِيَةُ: وَسَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَعْتَقْنِي مِنَ النَّارِ وَكَرِّهَا حَتَّى أَفَاضَ، فَقُلْتُ: أَلَا تَفِيضُ فَقَدْ أَفَاضَ النَّاسُ؟ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ الرَّحَامَ، وَأَخَافُ

ص: ٣٦

أن أشرك في عنت إنسان (١).

٢- عن هارون بن خارجة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول في آخر كلامه حين أفاض: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَظْلَمَ، أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَقْطَعَ رَحِمًا، أَوْ أُوْذِيَ جَارًا» (٢).

الدعاء في ليلة المزدلفة

علی بن إبراهيم عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن معاوية وحماد، عن الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا- تصل المغرب حتى تأتي جمعاً، فتصلي بها المغرب والعشاء الآخرة بأذانٍ واحدٍ وإقامتين، وأنزل بطن الوادي عن يمين الطريق قريباً من المشعر، ويستحب للضرورة أن يقف على المشعر الحرام، ويطأه برجله، ولا يجاوز الحياض ليلة المزدلفة، ويقول: «اللَّهُمَّ هَذِهِ جَمْعٌ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تَجْمَعَ لِي فِيهَا جَوَامِعَ الْخَيْرِ، اللَّهُمَّ لا- تُؤَيِّسْنِي مِنَ الْخَيْرِ الَّذِي سَأَلْتُكَ أَنْ تَجْمَعَهُ لِي فِي قَلْبِي، وَ أَطْلُبُ إِلَيْكَ أَنْ تُعَرِّفَنِي مَا عَرَّفْتَ أَوْلِيَاءَكَ فِي مَنْزِلِي هَذَا، وَأَنْ تَقِينِي جَوَامِعَ الشَّرِّ» وإن استطعت أن تحيي تلك الليلة فافعل، فإنه بلغنا أن أبواب السماء لا تغلق تلك الليلة لأصوات المؤمنين لهم دوى كدوى النحل، يقول الله جل ثناؤه أنا ربكم وأنتم عبادي، أدّيتم حقّي، وحقّ عليّ أن أستجيب لكم، فيحطّ الله تلك الليلة عمّن أراد أن يحطّ عنه ذنوبه، ويغفر لمن أراد أن يغفر له (٣).

الدعاء بعد صلاة الفجر بالمشعرالحرام

علی بن إبراهيم عن أبيه، عن ابن أبي عمير، ومحمد بن إسماعيل، عن الفضل

١- الكافي ٤: ٤٦٧، التهذيب ٥: ١٨٧.

٢- وسائل الشيعة ١٣: ٣٨٣.

٣- الكافي ٤: ٤٦٨

ص: ٣٧

ابن شاذان، عن صفوان بن يحيى، وابن أبي عمير، عن معاوية بن عمارة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أصبح على طهرٍ بعد ما تصلى الفجر، فقف إن شئت قريباً من الجبل، وإن شئت حيث شئت، فإذا وقفت، فاحمد الله، وأثن عليه، واذكر من آلائه وبلائه ما قدرت عليه، وصل على النبي صلى الله عليه وآله، وليكن من قولك: «اللَّهُمَّ رَبَّ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ، فَمَكِّ رَقِيَّتِي مِنَ النَّارِ، وَأَوْسِعْ عَلَيَّ مِنْ رِزْقِكَ الْحَلَالِ، وَادْرَأْ عَنِّي شَرَّ فَسِقَةِ الْجَنِّ وَالْبِائِسِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ خَيْرُ مَطْلُوبٍ إِلَيْهِ، وَخَيْرُ مَدْعُوٍّ، وَخَيْرُ مَسْئُولٍ، وَلكُلِّ وَافِدٍ جَائِزَةٌ، فَاجْعَلْ حَيَاتِي فِي مَوْطِنِي هَيْدًا أَنْ تُقِيلَنِي عَثْرَتِي، وَتَقْبِلَ مَعِيدَتِي، وَأَنْ تَحَاوِزَ عَنِّي خَطِيئَتِي، ثُمَّ اجْعَلِ التَّقْوَى مِنَ الدُّنْيَا زَادِي» ثُمَّ أَفْضُ حِينَ يَشْرُقُ لَكَ نَبِيرٌ، وَتَرَى الْإِبِلَ مَوْضِعَ أَخْفَافِهَا (١).

الدعاء حين المرور بوادي محسر

على بن إبراهيم عن أبيه، ومحمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن ابن أبي عمير، وصفوان بن يحيى، عن معاوية بن عمارة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إذا مررت بوادي محسر، وهو واد عظيم بين جمع ومنى، وهو إلى منى أقرب، فاسع فيه حتى تجاوزه، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله حرَّك ناقته، وقال: «اللَّهُمَّ سَلِّمْ لِي عَهْدِي، وَأَقْبِلْ تَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَأَخْلُفْنِي فِيمَنْ تَرَكْتُ بَعْدِي» (٢).

الدعاء عند رمي الجمره وبعده

على بن إبراهيم عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمارة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خذ حصى الجمار، ثم ائت الجمره القصوى التي عند العقبة، فارمها من قبل وجهها، ولا ترمها من أعلاها، وتقول والحصى فى يدك: «اللَّهُمَّ هُوَ لَاءِ

١- التهذيب ٥: ١٩١.

٢- الكافي ٤: ٤٧٠.

ص: ٣٨

حَصِي يَاتِي، فَأَخْصِي هُنَّ لِي، وَارْفَعُهُنَّ فِي عَمَلِي» ثُمَّ تَرْمِي وَتَقُولُ مَعَ كُلِّ حِصَاةٍ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُمَّ اذْخِرْ عَنِّي الشَّيْطَانَ، اللَّهُمَّ تَصِدِّدْ يَدِي قَدِيمًا بِكِتَابِكَ، وَ عَلَي سُنَّتِهِ نَبِيِّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ حَجًّا مَبْرُورًا، وَ عَمَلًا مَقْبُولًا، وَ سَعِيًّا مَشْكُورًا، وَ ذَنْبًا مَغْفُورًا» وَلِيَكُنْ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْجَمْرَةِ قَدْرُ عَشْرَةِ أَذْرَعٍ أَوْ خَمْسَةُ عَشْرَ ذِرَاعًا، فَإِذَا أَتَيْتَ رِحْلَكَ وَرَجَعْتَ مِنَ الرَّمْيِ، فَقُلْ: «اللَّهُمَّ بِكَ وَثِقْتُ، وَ عَلَيكَ تَوَكَّلْتُ، فَنِعْمَ الرَّبُّ، وَ نِعْمَ الْمَوْلَى، وَ نِعْمَ النَّصِيرُ» قَالَ: وَيَسْتَحَبُّ أَنْ يَرْمِيَ الْجَمَارَ عَلَى طَهْرٍ (١).

الدعاء عند الذبح

١- علي بن إبراهيم عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حماد، عن الحلبي قال:

لا يذبح لك اليهودي ولا النصراني أضحيته، فإن كانت امرأة فلتذبح لنفسها، وتستقبل القبلة، وتقول: «وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا، اللَّهُمَّ مِنْكَ وَ لَكَ» (٢).

٢- علي بن إبراهيم عن أبيه، ومحمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن صفوان وابن أبي عمير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا اشتريت هديك، فاستقبل به القبلة، وانحره أو اذبحه، وقل: «وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَ مَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صِلَاتِي وَنُسُكِي وَ مَحْيَايَ وَ مَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَ بِذَلِكَ أُمِرْتُ، وَ أَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ مِنْكَ وَ لَكَ بِسْمِ اللَّهِ وَ اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنِّي» ثُمَّ أَمَرَ السَّكِينِ وَ لَا تَنْخَعَهَا حَتَّى تَمُوتَ (٣).

٣- محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن عبد الرحمن بن أبي هاشم

١- التهذيب ٥: ١٩٨.

٢- الكافي ٤: ٤٩٧.

٣- التهذيب ٥: ٢٢١.

ص: ٣٩

الجلبي، عن أبي خديجة، قال: رأيت أبا عبد الله عليه السلام وهو ينحر بدنته معقولة يدها اليسرى، ثم يقوم من جانب يدها اليمنى، ويقول: «بِسْمِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُمَّ هَذَا مِنْكَ وَلِمَكَ اللَّهُمَّ تَقَبَّلْهُ مِنِّي» ثم يطعن في لبتها، ثم يخرج السكين بيده، فإذا وجبت قطع موضع الذبح بيده (١).

الدعاء عند دخول المسجد الحرام بعد أعمال منى

على بن إبراهيم، عن أبيه، ومحمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن ابن أبي عمير، وصفوان بن يحيى، عن معاوية بن عمارة، عن أبي عبد الله عليه السلام في زيارة البيت يوم النحر قال: زره، فإن شغلت فلا يضرك أن تزور البيت من الغد ولا تؤخره أن تزور من يومك، فإنه يكره للمتعمق أن يؤخره، وموسع للمفرد أن يؤخره، فإذا أتيت البيت يوم النحر، فقامت على باب المسجد، قلت: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى نُسُوكِكَ وَسَلِّمْ لِي لَهْ وَسَلِّمْ لِي، أَسْأَلُكَ مَسْأَلَةَ الْعَلِيلِ الدَّلِيلِ الْمُعْتَرِفِ بِذَنْبِهِ أَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي وَأَنْ تَرْجِعَنِي بِحَاجَتِي، اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَالْبَلَدُ بِلَدِّكَ وَالْبَيْتُ بَيْتُكَ، حِثُّ أَطْلُبُ رَحْمَتَكَ، وَأُوْمُّ طَاعَتِكَ مُتَّبِعًا لِأَمْرِكَ رَاضِيًا بِقَدْرِكَ، أَسْأَلُكَ مَسْأَلَةَ الْمُضْطَرِّ إِلَيْكَ، الْمُطِيعِ لِأَمْرِكَ، الْمُشْفِقِ مِنْ عَذَابِكَ، الْخَائِفِ لِعُقُوبَتِكَ أَنْ تُبَلِّغَنِي عَفْوِكَ، وَتُجِيرَنِي مِنَ النَّارِ بِرَحْمَتِكَ» ثم تأتي الحجر الأسود فتستلمه وتقبله، فإن لم تستطع فاستلمه بيدك، وقبل يدك فإن لم تستطع فاستقبله وكبر، وقل كما قلت حين طفت بالبيت يوم قدمت مكة، ثم طف بالبيت سبعة أشواط كما وصفت لك يوم قدمت مكة، ثم صل عند مقام إبراهيم عليه السلام ركعتين تقرأ فيهما بقل هو الله أحد وقل يا أيها الكافرون، ثم ارجع إلى الحجر الأسود فقبله إن استطعت واستقبله وكبر، ثم اخرج إلى الصفا فاصعد عليه واصنع كما صنعت يوم دخلت مكة، ثم ائت المروة فاصعد عليها، وطف بينهما سبعة أشواط تبدأ بالصفا وتختتم بالمروة، فإذا فعلت ذلك

ص: ٤٠

فقد أحللت من كل شيءٍ أحرمت منه إلما النساء، ثم ارجع إلى البيت وطف به أسبوعاً آخر، ثم صل ركعتين عند مقام إبراهيم عليه السلام، ثم أحللت من كل شيءٍ، وفرغت من حجك كله وكل شيءٍ أحرمت منه (١).

الدعاء عند دخول الكعبة

١- علي بن إبراهيم عن أبيه، عن ابن أبي عمير، ومحمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن صفوان، وابن أبي عمير، عن معاوية بن عمارة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا أردت دخول الكعبة، فاغتسل قبل أن تدخلها ولا تدخلها بحذاء، وتقول إذا دخلت: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ قُلْتَ: وَمَنْ دَخَلَهُ كَمَا أَنْعَمْنَا، فَأَمْنِي مِنْ عَذَابِ النَّارِ» ثم تصلي ركعتين بين الأسطوانتين على الرخامة الحمراء تقرأ في الركعة الأولى حم السجدة، وفي الثانية عدد آياتها من القرآن وتصلي في زواياها وتقول: «اللَّهُمَّ مَنْ تَهَيَّأ، أَوْ تَعَبَّأ، أَوْ أَعَدَّ، أَوْ اسْتَعَدَّ لَوْفَادِهِ إِلَى مَخْلُوقٍ رَجَاءَ رَفْدِهِ وَجَائِزَتِهِ وَنَوَافِلِهِ وَفَوَاضِلِهِ، فَإِلَيْكَ يَا سَيِّدِي تَهَيَّيْتُ وَتَعَبَّيْتُ وَإِعْدَادِي وَاسْتِعْدَادِي رَجَاءَ رَفْدِكَ وَنَوَافِلِكَ وَجَائِزَتِكَ، فَلَا تُخَيِّبِ الْيَوْمَ رَجَائِي، يَا مَنْ لَا يَخِيْبُ عَلَيْهِ سَائِلٌ، وَلَا يَنْقُصُهُ نَائِلٌ، فَإِنِّي لَمْ آتِكَ الْيَوْمَ بِعَمَلٍ صَالِحٍ قَدَّمْتُهُ، وَلَا شَفَاعَةٍ مَخْلُوقٍ رَجَوْتُهُ، وَلَكِنِّي أَتَيْتُكَ مُقَرَّراً بِالظُّلْمِ وَالْإِسْيَاءِ عَلَيَّ نَفْسِي فَإِنَّهُ لَا حُجَّةَ لِي وَلَا عُذْرَ، فَاسْأَلُكَ يَا مَنْ هُوَ كَذَلِكَ أَنْ تُعْطِنِي مَسْأَلَتِي، وَتُقِيلَنِي عَثْرَتِي، وَتَقْبَلَنِي بَرِّغْتِي، وَلَا تَرُدَّنِي مَجْبُوهًا مَمْنُوعًا وَلَا خَائِبًا، يَا عَظِيمُ يَا عَظِيمُ يَا عَظِيمُ أَرْجُوكَ لِلْعَظِيمِ، أَسْأَلُكَ يَا عَظِيمُ أَنْ تُغْفِرَ لِي الذَّنْبَ الْعَظِيمَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» قال: ولا تدخلها بحذاء ولا تبرق فيها ولا تمتخط فيها، ولم يدخلها رسول الله صلى الله عليه وآله إلا يوم فتح مكة (٢).

٢- عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا بد للضرورة أن يدخل البيت قبل أن يرجع،

١- التهذيب ٥: ٢٥١.

٢- الكافي ٤: ٥٢٨.

ص: ٤١

فإذا دخلته فادخله بسكينه ووقار، ثم ات كل زاوية من زواياه ثم قل: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ قُلْتَ: وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا فَأَمِنِّي مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ» وصل بين العمودين اللذين يليان الباب على الرخامة الحمراء، فإن كثر الناس فاستقبل كل زاوية في مقامك حيث صليت، وادع الله عزوجل واسأله (١).

٣- عن عبد الله بن سنان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام وهو خارج من الكعبة، وهو يقول: «اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ» حتى قالها ثلاثاً ثم قال: «اللَّهُمَّ لَا تُجْهِدْ بَلَاءَنَا رَبَّنَا، وَلَا تُشْمِتْ بِنَا أَعْدَاءَنَا، فَإِنَّكَ أَنْتَ الضَّارُّ النَّافِعُ» ثم هبط فصلى إلى جانب الدرجة، جعل الدرجة عن يساره مستقبلاً الكعبة، ليس بينها وبينه أحد، ثم خرج إلى منزله (٢).

الدعاء عند وداع الكعبة

١- علي بن إبراهيم عن أبيه، ومحمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن صفوان بن يحيى، وابن أبي عمير، عن معاوية بن عمارة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا أردت أن تخرج من مكة فتأتي أهلَكَ، فودع البيت، وطف أسبوعاً، وإن استطعت أن تستلم الحجر الأسود والرُّكن اليماني في كل شوط فافعل، وإلا فافتح به واختم، وإن لم تستطع ذلك فموسع عليك، ثم تأتي المستجار، فتصنع عنده مثل ما صنعت يوم قدمت مكة، ثم تخير لنفسك من الدعاء، ثم استلم الحجر الأسود، ثم ألصق بطنك بالبيت، واحمد الله وأثن عليه، وصل على محمد وآله، ثم قل: «اللَّهُمَّ صِلْ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ وَنَبِيِّكَ وَأُمِّيَّةَكَ وَحَبِيبِكَ وَنَجِيكَ وَخَيْرَتِكَ مِنْ خَلْقِكَ، اللَّهُمَّ كَمَا بَلَغَ رِسَالَتِكَ، وَجَاهَدَ

١- التهذيب ٥: ٢٧٧.

٢- الكافي ٤: ٥٢٩.

ص: ٤٢

فِي سَبِيلِكَ، وَصَدَّعَ بِأَمْرِكَ، وَ أَوْذَى فِي جَنْبِكَ، وَ عَبْدَكَ حَتَّى أَتَاهُ الْيَقِينُ، أَللَّهُمَّ افْلِنِي مُفْلِحًا مُنْجِحًا مُسْتَجَابًا لِي بِأَفْضَلِ مَا يَرْجَعُ بِهِ أَحَدٌ مِنْ وَفْدِكَ مِنَ الْمَغْفِرَةِ وَالْبَرَكَهَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالرِّضْوَانِ وَالْعَافِيَةِ، أَللَّهُمَّ إِنْ أَمْتَنِي فَاعْفِرْ لِي، وَ إِنْ أَحْيَيْتَنِي فَارْزُقْنِيهِ مِنْ قَابِلٍ، أَللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْهُ آخِرَ الْعَهْدِ مِنْ بَيْتِكَ، أَللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَ ابْنُ عَبْدِكَ وَ ابْنُ أُمَّتِكَ، حَمَلْتَنِي عَلَى دَوَابِّكَ، وَ سَيَّرْتَنِي فِي بِلَادِكَ حَتَّى أَقْدَمْتَنِي حَرَمَيْكَ وَ أَمْنَكَ، وَ قَدْ كَانَ فِي حُسْنِ ظَنِّي بِكَ أَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي، فَإِنْ كُنْتَ قَدْ غَفَرْتَ لِي ذُنُوبِي، فَارْزُقْ عَنِّي رِضًا، وَ قَرِّبْنِي إِلَيْكَ زُلْفَى، وَ لَا تُبَاعِدْنِي، وَ إِنْ كُنْتَ لَمْ تَغْفِرْ لِي، فَمَنْ الْآنَ فَاعْفِرْ لِي قَبْلَ أَنْ تَنَائِيَ عَنِ بَيْتِكَ دَارِي، فَهَذَا أَوْ أَنْ نَصَرَ رَافِي، إِنْ كُنْتَ أَذْنْتَ لِي غَيْرَ رَاغِبٍ عَنكَ، وَ لَا عَنِ بَيْتِكَ، وَ لَا مُسْتَبَدِّلٍ بِكَ وَ لَا بِهِ، أَللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ، وَ مِنْ خَلْفِي، وَ عَنِ يَمِينِي، وَ عَنِ شِمَالِي حَتَّى تُبَلِّغَنِي أَهْلِي، فَمَاذَا بَلَّغْتَنِي أَهْلِي، فَكَفِنِي مَوْتَهُ عِبَادِكَ وَ عِيَالِي، فَإِنَّكَ وَلِيُّ ذَلِكَ مِنْ خَلْقِكَ وَ مِنِّي « ثُمَّ انْتِ زَمَزَمَ فَاشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ أَخْرَجَ وَقَالَ: «أَتَيْتُ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ» قَالَ: وَإِنَّ أَبَاعَبَدَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامَ لَمَّا وَدَّعَهَا وَارَادَ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، خَرَّ سَاجِدًا عِنْدَ بَابِ الْمَسْجِدِ طَوِيلًا، ثُمَّ قَامَ فَخَرَجَ (١).

٢- مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ قَالَ: رَأَيْتُ أَبَا الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَدَّعَ الْبَيْتَ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ، خَرَّ سَاجِدًا، ثُمَّ قَامَ فَاسْتَقْبَلَ الْكَعْبَةَ، فَقَالَ: «أَللَّهُمَّ إِنِّي أَنْقَلِبُ عَلَى أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» (٢).
*** وَ فِي الْخَتَامِ وَتَتَمِيمًا لِلْفَائِدَةِ، نَقَلْنَا مَا ذَكَرَهُ الْمَرْحُومُ آيَةَ اللَّهِ السَّيِّدِ الرَّوْحَانِيِّ حَوْلَ أَدَبِ الدُّعَاءِ:

١- وسائل الشيعة ١٤: ٢٨٧.

٢- الكافي ٤: ٥٣١

ص: ٤٣

بسم الله الرحمن الرحيم

المستفاد ممّا ورد عن أهل بيت العصمة عليهم السلام أنّه ينبغي للداعي أن يبتدأ دعاءه بالبسملة، ثمّ يحمد الله على نعمه وآلائه، ويشكره تعالى عليها، ثمّ يصلّي على النبي وآله صلّى الله عليهم، ويستغفر لذنوبه ويستعيد بالله منها.

فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ المدح قبل المسألة» (١)، وكيفيتها على ما سنذكره.

وعن الصادق عليه السلام: من قال (الدعاء الآتي) ثلاث مرّات استجيب له، ثمّ يختم الدعاء بقوله: ما شاء الله (على ما سنذكره)، وليكن آخر دعائه الصلاة على محمّد وآل محمّد صلوات الله عليه وعليهم أجمعين.

ولعلّ الصورة الآتية جامعة لما أمروا عليهم السلام به:

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله على نعمائه وآلائه كما هو أهله، ونشكره معترفين بالعجز عن شكره. اللهم صلّ على محمّد وآل محمّد كأفضل ما صلّيت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد. ربّنا إنّنا ظلمنا أنفسنا، فإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين. ربّنا إنّنا نستغفرك لذنوبنا فاغفر لنا، ونستعيذك من سيئاتنا فأعدنا. يا من هو أقرب إلّي من جبل الوريد، يا من يحول بين المرء وقلبه، يا من هو بالمنظر الأعلى، يا من ليس كمثله شيء - ويقول ثلاث مرّات: يا من يفعل ما يشاء ولا يفعل ما يشاء أحد غيره - ثمّ يدعو الله تعالى ويذكر حوائجه. وبعدها يقول: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وصلّي الله على محمّد وآله الطاهرين.

١- بقيّة الحديث: «فإذا دعوت الله عزّ وجلّ فمجّده». قال السائل: كيف أمجّده؟ قال عليه السلام: «تقول: يا من هو أقرب إلّي...» الخ.

ص: ٤٤

آراء وأفكار

مع سماحة آية الله الشيخ السبحاني

حاوره: محسن الأسدي

في موسم الحج، وبالذات عند أداء مناسك هذه الفريضة المباركة، التي وصل عدد الحضور فيها ثلاثة ملايين أو يزيدون، يتعرّض كثيرٌ من الحجاج الكرام إلى مشاكل كثيرة، ومتاعب خطيرة، دفعتنا إلى التماس حل لها في فتاوى الفقهاء وآرائهم، فلعلها تساهم في تخفيف معاناة الحجاج، وتدرأ عنهم المخاطر...

وها هو سماحة آية الله الشيخ جعفر السبحاني، فقيه من فقهاء مدرسة أهل البيت عليهم السلام، يتفصّل مشكوراً بالإجابة عن الأسئلة، التي وجهها له الأستاذ محسن الأسدي عضو الهيئة العلمية لمجلة «مقات الحج».

*** حدود الطواف، وما يسببه ضيق المطاف من حرج، هلّا تفضل سماحتكم بالحديث عن هذه المسألة بشكلها الفقهي؟ علماً بأنّ

هذه

ص: ٤٥

المسألة (الطواف بين البيت والمقام) ليس لها أثر مهم في دائرة الفقه السنّي لسعة دائرة المطاف عندهم، وإنما هي مسألة يبدو أنّها مختصة بالفقه الشيعي.

إنّ المطاف هو الحدّ الفاصل بين الكعبة ومقام إبراهيم وهو يقرب من نحو ١٢ متراً، فعلى الطائف أن لا يخرج عن هذا الحدّ في الجوانب الأربعة للكعبة.

غير أنّ مبدأ هذا الحدّ في الأضلاع الثلاثة هو جدار الكعبة. وأمّا الضلع الذي يتصل به حجر إسماعيل، فالحدّ الفاصل يُحسب من جدار الحجر إلى نهاية ١٢ متراً، لا من جدار الكعبة، وبذلك تعالج المشكلة في كثير من الفصول وقسط كبير من أشهر الحج.

وهذا القول هو خيرة الشهيد الثاني في الروضة (١) ومال إليه في المسالك (٢) واختاره في المدارك (٣) ونفى الإشكال عنه في الجواهر (٤)، وإن عدل عنه أخيراً كما اختاره لفيف من المعاصرين.

ويمكن استظهاره من رواية محمد بن مسلم (٥) لكن بشرط الإمعان فيها، ومع ملاحظة ما ورد في البابين ٣٠ و ٣١ من أبواب الطواف. نعم هنا مشكلة أخرى وهي عدم كفاية هذا الحدّ الفاصل (حتى مع حساب المسافة من جهة الحجر) عند وفود الحجاج في أوائل شهر ذي الحجة الحرام، فإنّ الالتزام بالطواف في هذا الحدّ يسبب الحرج الشديد الذي لا يطاق، فلا محيص من

١- الروضة: ٢ / ٢٤٩.

٢- المسالك: ٢ / ٣٣٣.

٣- المدارك: ٨ / ١٣١.

٤- الجواهر: ١٩ / ٢٩٨.

٥- الوسائل: الجزء ٩، الباب ٢٨ من أبواب الطواف، الحديث ١.

ص: ٤٦

القول بأن المطاف أوسع من هذا الحدّ الفاصل بالبيان التالي:

إنّه سبحانه يأمر جموع الحجّيج الحاضرين في المسجد بالطواف بقوله وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (١) هذا من جانب.

ومن جانب آخر يقول سبحانه: وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ (٢)

فمقتضى دعوة الحاضرين في المسجد إلى الطواف مع رعاية عدم تسبّب الحرج، هو كون المطاف في هذه الظروف أوسع من الحدّ المذكور مع ملاحظة الأقرب فالأقرب.

وقد روى الصدوق في الفقيه بسند صحيح، عن أبان بن عثمان، عن محمد بن علي الحلبي قال: قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الطواف خلف المقام، قال: ما أحب ذلك وما أرى به بأساً، فلا تفعله إلّا أن لا تجد منه بداً (٣).

وقوله: «ما أحب ذلك» ظاهر في الكراهة وهي تزول مع الضرورة.

على أنّ لفيفاً من الفقهاء كالصدوق في الفقيه (٤) والمحقّق الأردبيلي في مجمع الفائدة (٥) ذهبوا إلى جواز الطواف خارج المقام اختياراً، وخصّه ابن الجنيد (٦) بصورة الضرورة.

تكررت الحوادث المفجعة حين رمى الجمرات خاصّة في السنوات الأخيرة... لأسباب منها سوء الإدارة والتنظيم، أو جهل الناس بأحكامهم،

١- الحج: ٢٩.

٢- الحج: ٧٨.

٣- الوسائل: ٩، الباب ٢٨ من أبواب الطواف، الحديث ٢ وأبان بن عثمان من أصحاب الإجماع.

٤- الفقيه: ٢ / ٣٩٩.

٥- مجمع الفائدة: ٧ / ٨٧.

٦- مختلف الشيعة: ٤ / ١٨٣.

ص: ٤٧

أو لعجلتهم في أداء هذا المنسك. إلّا أنّ هناك من يلقي باللوم على الفقهاء في أنّهم عسّروا على الناس الشريعة وهي السهلة السمحاء، بل ولم يعلموا الناس أحكامهم.

فهلّا يبيّن سماحتكم الموقف الفقهي بشكل جليّ لهذه المسألة؟ وهل هناك مجال أو حلّ شرعيّ يساهم في درء مثل هذه الحوادث أو تخفيفها على الأقلّ؟

إنّ لتكرّر الحوادث المفجعة حين رمى الجمرات سبباً آخر غير المذكور في السؤال وهو ظاهرة «الافتراش» فإنّ كثيراً من البدويين يسدّون طريق الحجيج من خلال افتراشهم. الأمر الذي يفرض على الحكومة السعودية أن تُجليهم عن المكان وتتخذ لهم أماكن سكن مناسبة.

وهناك أسلوب آخر لحلّ الأزمة وهو استغلال اختلاف الفتاوى بالنحو التالي:

إنّ أصحاب المذاهب الأربعة يخصّون جواز الرمي في اليوم العاشر من ذى الحجة بما قبل الظهر، كما أنّهم يخصّونه في الحادي عشر والثاني عشر بما بعد الظهر، فعلى الشيعة لا سيّما غير الأقوياء أن يستغلّوا هذا الظرف المناسب من خلال الرمي في اليوم العاشر بعد الظهر وفي اليومين الأخيرين قبله.

على أنّ الأقوى هو جواز الرمي من فوق الجمرات عبر الجسر الجديد الذي يمتد فوقها.

هذا هو الحلّ العاجل، غير أنّه لا بدّ من حلّ الأزمة جذرياً دون أن تمس أصل الحكم الشرعيّ.

غالباً ما يكون الذبح خاصّة في السنوات الأخيرة خارج منى، فما هي حدود منى؟ وهل تتسع بكثرة الحجيج؟ وهل يصحّ الذبح خارج منى كأن

ص: ٤٨

يكون في بلد الحاج، إذا لم تتوفر شروط الذبح الشرعية بشكل كامل؟

منى بلدة قريبة من مكة، وهي أقرب المواقع الرئيسية إلى مكة، ثم المزدلفة، ثم عرفه، فإذا دخلت منى من مكة كانت أول جمرة، هي جمرة العقبة، وحد منى هو ما بين جمرة العقبة ووادي محسر طولاً، وأما عرضاً فهو ما بين الجبلين أو الجبال الشاهقة، فوادي محسر أبعد من مكة من منى، وإنما يقع بينها وبين المزدلفة.

وأما مسألة الذبح، فيجوز تأخير الذبح إلى اليوم الثاني عشر من ذي الحجة، فإذا أمكن الذبح في هذه المدّة بمنى فيقدم ذلك، فإذا لم يتمكن كما هو السائد عند كثرة الحجيج، فيجب الذبح خارج منى في وادي محسر مع الأخذ بنظر الاعتبار الأقرب فالأقرب، ولا يجزى الذبح في بلد الحاج وكاله. وقد قال سبحانه:

وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا حَيْرٌ (١)

وهو لا يتحقق إلّا أن يكون الذبح في الأرض المقدّسة.

كيف ترون مناسك الحجّ وأداءها مستقبلاً مع عظمة القادمين لأداء هذه الشعيرة المقدّسة وكثرتهم، واحتمال إجراء تغييرات عمرانيّة تتناسب وكثرة الحجيج، فهل يكون للفقهاء الزمكاني أثر يذكر في هذه المسألة؟

قد ذكرنا في رسالة مستقلة (٢) دور الزمان والمكان في الاستنباط، وأشرنا إلى بعض الروايات الواردة في هذا الموضوع عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، والتي تناهز العشرين رواية، كما ذكرنا كلمات الفقهاء من عصر الصدوق إلى يومنا هذا من

١- الحج: ٣٦.

٢- لاحظ رسائل و مقالات: ٢ / ٤١ - ١١٣.

ص: ٤٩

الفريقين، وذكرنا أن الظروف الطارئة لا- تمس كرامة الأحكام الواقعية، ولا- تحدث أزية خدشة فيها، ولكن يؤثر في أساليب تنفيذ الأحكام، فالأحكام ثابتة وأساليب تنفيذها متغيرة، ومنها الحجج، ولا بد أن يكون كل تغيير عمراني تقتضيه كثرة الحجج خاضعاً لهذا الإطار، أي أن يكون الحكم الواقعي ثابتاً وأسلوب إجرائه متغيراً.

وإليك نموذجاً من هذا النوع:

لا شك أن هناك أموراً وقعت موضوعاً لأحكام شرعية نظير:

١. الاستطاعة: قال سبحانه: وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا (١)

٢. الفقر: قال سبحانه: إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ (٢)

٣. الغنى: قال سبحانه: وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ (٣)

٤. بذل النفقة للزوجة: قال سبحانه: أَشْكُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ (٤)

٥. إمساك الزوجة بالمعروف: قال سبحانه: فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ (٥)

ومن الواضح أن مصاديق هذه الموضوعات تتغير حسب تغير أساليب الحياة، فالإنسان المستطيع بالأمس للحج، لا يعدّ مستطيعاً اليوم، لكثرة حاجات

١- آل عمران: ٩٧.

٢- التوبة: ٦٠.

٣- النساء: ٦.

٤- الطلاق: ٦.

٥- البقرة: ٢٣١.

ص: ٥٠

الإنسان في الزمان الثاني دون الأول، وبذلك يتضح حال الفقر والغنى، فرب غنى بالأمس فقير اليوم. - كما أن نفقة الزوجه في السابق كانت منحصره في الملبس والمأكل والمسكن، وأما اليوم فقد ازدادت حاجاتها على نحو لو لم يقيم الرجل ببعض تلك الحاجات يعد عمله بخساً لحقها، وامتناً من بذل نفقتها.

وختاماً- ومع شكرنا الجزيل لسماحة الشيخ- لا بد لنا من العروج إلى ثمرات هذه الفريضة، فمناجى الحج، الثقافيه والسياسيه والاجتماعيه والاقتصاديّه... كثيره، هذا إضافة إلى منافعه العباديه وهى الرئيسيه فيه والأهم، فالحج يلتقى فيه البعدان الروحى والمادى، الاخرى والديوى...، فهلاً يتفضل سماحتكم بالحديث عن هذه المنافع ولو بشكل مختصر؟

الإمعان والدقه في الآيات الواردة حول الحج ومناسكه، وما رويت حوله من النبى الأكرم والعترة الطاهره من الروايات، وما استقرت عليه سيره المسلمين في القرون الأولى الإسلاميه، يعرب عن أمرين مهمين، يُعرّفان ماهية الحج وحقيقته وأهدافه وهما:

إنّ الحجّ عمل عبادى وفى الوقت نفسه ملتقى سياسى للمسلمين، ويطيب لى أن أذكر كلا الأمرين بعبارات موجزة مستشهداً بآيات الذكر الحكيم، وما أثر فى ذلك المجال.

الحج عمل عبادى

والذى يدل على أنّ الحجّ عمل عبادى هو:

١- إنّ الحجّ عمل يقصد به الإنسان كسب رضاه سبحانه تلبيةً لنداء الخليل عليه السلام حيث قام بدعوة الناس إلى الحجّ الذى أقامه بعد انهيار، وعمّره بعد

ص: ٥١

خراب، كما قال سبحانه: وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ... (١)

٢- الحج تذكاري وذكر لله سبحانه في كافة مراحل ومواقفه ومراسمه ومشاهده، وقد أمر سبحانه في غير واحد من الآيات حجاج بيته أن يذكروه في جميع المواقف، قال سبحانه: فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ * ثُمَّ أَفِضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا (٢)

ويقول سبحانه: وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٣).

٣- الحج تطهير للنفس عن دنس الأقدار الخلقية، وتوجيهها إلى المثل العليا، وكبح للنفس عن اللذائذ الدانية النفسانية. قال سبحانه: الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ (٤)

ولأجل أن الحج تطهير للنفوس سميت أعماله مناسكاً وهو من نسك ثوبه أو غسله، فكأن تلك الأعمال تغسل ما عليها من صدأ الذنوب ودرن الآثام، قال سبحانه: فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ (٥)

١- الحج: ٢٧.

٢- البقرة: ١٩٨ - ٢٠٠.

٣- البقرة: ٢٠٣.

٤- البقرة: ١٩٧.

٥- البقرة: ٢٠٠.

ص: ٥٢

٤- الحجّ تدريب وتربية للنفس للغلبة على الهوى وتحصيل التقوى، الذى هو خير الزاد للإنسان، قال سبحانه فى ثنايا آيات الحجّ: فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونَ يَا أُولَى الْأَلْبَابِ (١)

٥- قد كان الهدف الأسمى من تجديد بناء البيت بيد بطل التوحيد، دعوة الناس إلى عبادة الله وحده ورفض عبادة الأنداد والشرك بألوانه، قال سبحانه:

وَعَهَدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (٢)

، وقال سبحانه: إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (٣)

ولأجل ذلك كان شعار الخليل عليه السلام عند بناء البيت ورفع قواعده هو الطلب من الله سبحانه أن يجعل ذريته أمة مسلمة ويريهم مناسكهم ويتوب عليهم بالرحمة. قال سبحانه حاكياً عنه عليه السلام وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٤)

٦- إن الخليل أنزل أسرته بأرض قاحلة عند البيت المحرم لغاية إقامة الصلاة، وفى الوقت نفسه طلب من الله سبحانه أن يوجه أفئدة الناس إلى هذا البيت لتلك الغاية السامية، قال سبحانه حاكياً عن الخليل: رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ (٥)

٧- الحجّ تزهيد عن الدنيا واكتفاء من زخرفها وزبرجها بثوبين يرتدى بأحدهما ويتزر بالآخر، ويردّد فى جميع الحالات الشكر والثناء امتثالاً لأمره

١- البقرة: ١٩٧.

٢- البقرة: ١٢٥.

٣- آل عمران: ٩٦.

٤- البقرة: ١٢٧.

٥- إبراهيم: ٣٧.

ص: ٥٣

سبحانه: لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (١)

٨- الحجّ عمل رمزي لكثير من العبادات والطقوس الواردة في الشريعة المفروضة في ظروف خاصة، فصار الحجّ بمفرده مظهراً لها ومجسداً لكثير منها، حيث نجد فيه الأعمال التالية المعربة عن جانبه العبادي، أعني: التّيبّ، الطهارة من الحدث والخبث، الصلاة، الصوم، الطواف بالبيت، الذبح لله، إطعام القانع والمعتّر من اللحوم، الاعتكاف الذي يجسده الوقوف في المشاعر، ورجم الشيطان العدو الوحيد للإنسان الذي يوسوس في صدور الناس.

كلّ ذلك يعرب عن أنّ الحجّ عبادة لله وتقرّب إليه، يصل به الإنسان إلى مدارج الكمال.

الحجّ ملتقى سياسيّ

إنّ كون الحجّ أمراً عبادياً أو مجسداً لأكثر العبادات لا- ينافي أن يشتمل على بعد آخر فيه حياة للمسلمين وقوام لعيشهم، وإقامة لشؤونهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسكرية والحكومية، وهذا ما نعبر عنه بكون الحجّ ملتقى سياسياً تجتمع فيه هذه الآثار الحيوية، وهذا ما يدعمه أيضاً الذكر الحكيم، وتؤيده السنّة النبويّة وعمل المسلمين في القرون الإسلاميّة الأولى.

أمّا الآيات التي ترمز إلى تلك الأبعاد، فنكتفي منها بما يلي:

الف: قال سبحانه: وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا (٢)

. والمراد من كونه مثابة كونه مرجعاً للناس والمسلمين عامّة، ولأجل أنّ الحجّ عمل اجتماعي يجب أن يخيم عليه الأمن ويسيطر عليه

السلام، حتى يقوم الناس بعمل اجتماعي لأهداف

١- إبراهيم: ٣٧.

٢- البقرة: ١٢٥.

ص: ٥٤

اجتماعية، قال سبحانه: وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا (١)

، وقال تعالى حاكياً عن خليله:

رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا (٢)

فالحجّ بما أنّه أمر اجتماعي وملتقى للشعوب المختلفة، بحاجة إلى استتباب الأمن والهدوء حتى يقوم كلّ إنسان وشعب ببيان فكرته ونظريته ولا يخاف من إنسان ولا دولة، ويتجلّى الحجّ كمنبر حرّ للمسلمين كلّهم، وهذا ما نعبر عنه بكونه عملاً اجتماعياً. وفي جانب ذلك فالحجّ ملتقى ثقافي يلتقى فيه المفكّرون الكبار والعلماء في شتى الحقول، فيقومون بعرض الاطروحات والتجارب على الصعيد الثقافي والعلمي والاقتصادي؛ كي تتعرف كلّ طائفة على ما عند الأخرى من الأفكار القيّمة والنظريات المفيدة، فيؤدى ذلك إلى التقاء الأفكار والاحتكاك بينها.

إذاً الحجّ عمل اجتماعي وملتقى ثقافي وفي الوقت نفسه مؤتمر سياسى سنوى يجتمع فيه قادة المسلمين، فيتشاورون في مهام الأمور بغية التنسيق والتعاون فيما بينهم، ولعلّ إلى تلك الجوانب الثلاثة يشير قوله تعالى: جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ (٣)

فسواء كان القيام بمعنى القوام وما به حياة المسلمين، أو كان بمعنى ضدّ القعود، فالآية تتضمن نكتة مهمّة وهى انّ كيان المسلمين معقود بناصية الحجّ فيه يقومون وفي ظلّه قوام حياتهم، فالآية نظير قوله سبحانه: وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا (٤)

فوصف سبحانه أموال الناس بكونها قياماً لهم، أى بها يقومون فى الحياة، أو

١- آل عمران: ٩٦.

٢- البقرة: ١٢٦.

٣- المائدة: ٩٧.

٤- النساء: ٥.

ص: ٥٥

بها قوام حياتهم الاجتماعية، فاقتران الآيتين يعرب عن كون الحجّ ركناً في حياة المسلمين وبقاء كيانهم. ويشير أيضاً إلى تلك الجوانب قوله سبحانه: لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ (١). فكانت الغاية من دعوة كلّ راجل وراكب إلى الاجتماع في أيام الحجّ خصوصاً في المواقف والمشاهد، حيازة المنافع الكبيرة التي يحتوى عليها الحجّ. فما جاء في الآية تعبير جامع يتضمّن كلّ نفع يرجع إلى المسلمين في ذلك الملتقى، ولا يصحّ لنا تخصيصه بالنفع المعنوي بإخراج النفع المادّي، أو تخصيصه بنفع دون نفع، ففي ذلك الوفود إلى الله سبحانه منافع كثيرة يصطادها المسلمون حسب قابلياتهم وصلاحتهم.

هذا ما لخصّناه للقارئ الكريم من الذكر الحكيم، وأما السنّة الشريفة فيكفي في ذلك أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أمر الإمام عليّاً عليه السلام بأن يتلو آيات البراءة في يوم الحجّ الأ-كبر، قال سبحانه: وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ..... (٢)

وهل يشكّ ذو مسكّة في أنّ البراءة ورفع الأمان عن المشركين وإمهالهم أربعة أشهر عمل سياسى قام به قائد الإسلام أيام رسالته وازدهار دعوته، حتى يكون ذلك قوّة للمسلمين في الأجيال اللاحقة؟

هذا هو الإمام الطاهر الحسين بن على عليهما السلام أطاح بطاغية عصره يزيد بن معاوية، ففضحه بعرض جنائياته وأعماله المخزية على الصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان في موسم الحجّ في أرض منى، وقد اجتمع تحت منبره قرابة ثمانمائة منهم، وأبان في خطابه موقف أهل البيت من الإسلام، ثمّ ذكر مظالم الجهاز الأموى الحاكم، وطلب من الجميع أن يحملوا خطابه وهتافه إلى إخوانهم وأوطانهم حتى

١- الحج: ٢٨.

٢- التوبة: ٣.

ص: ٥٦

يقفوا على فداحة الكارثة، التي أُلْمِت بهم من جراء تسلّم بنى أمّية لمنصبة الحكم، وقد جاءت خطبته في كتب السير والتاريخ، فمن أراد فليرجع إليها.

وبعد ذلك: إنّ في سيرة المسلمين لدليلاً واضحاً على أنّ الحجّ ملقّى سياسى وراء كونه عملاً عبادياً، فإنّ الاصلاحات الجذرية التي قام بها المفكّرون المسلمون قد انعقدت نطفها في الأراضى المقدّسة وفي موسم الحجّ، فحملوا الفكرة التي تبوّها في جوار بيت الله الحرام وفي ذلك المُحتشد العظيم، ثمّ غدّوها بفكرتهم وتجاربهم إلى أن أُتيحت لهم الفرص لبناء مجتمع طاهر أو حكومة عادلة أو ثورة عارمة في وجه الطغاة والظالمين، وبذلك يتّضح أنّ الحجّ الإبراهيمى ليس مجرد طقوس وسنن يقوم بها الفرد أو الجمع في أيام معلومات، بل فيه آية العبادة وشارة السياسة، وفيه منافع للمسلمين في عاجلهم وآجلهم، فيجب على المسلمين احياء هذه السنّة الكريمة الحجّ الحقيقي، الذي وضع حجره الأساس إبراهيم الخليل عليه السلام كلّ ذلك بفضل الحجّ وبركته ذلك المُحتشد العظيم.

ص: ٥٧

نبذة عن أحكام الهدى في الحجّ

عند الإمامية وسائر المذاهب الإسلامية

عبدالكريم آل نجف

مقدمه

لا يخفى أنّ مسألة الهدى والذبح في الحجّ من جملة المسائل الحيويّة، التي يتعرض لها حجّاج بيت الله الحرام في كلّ عام. وقد حرّرتنا هذه الدراسة؛ لتكون موعيناً للمعنيين بها من خلال ما قمنا به من تسليط الضوء على هذه المسألة في أبعادها المختلفة، وقد قارنا فيها آراء فقهاء مذهب أهل البيت عليهم السلام بآراء سائر المذاهب الإسلامية، مع بيان خاطف للأدلة والبراهين المعتمدة عند كلّ فريق كلّما لزم الأمر ذلك. ودراستنا هذه تقع في عدّة جهات:

حكم الهدى في الشريعة الإسلامية

يعود حكم الهدى في الشريعة الإسلامية من حيث الأصل إلى قوله تعالى:

فمن تمتّع بالعمرة إلى الحجّ فما استيسر من الهدى (١)

وقد اتّفقت كلمة المذاهب الإسلامية على أنّه واجب وليس بركن، واتّفقت أيضاً على وجوبه على المتمتّع، وعدم وجوبه على المفرد بالحجّ، ولا على من اعتمر

ص: ٥٨

بعمرة مفردة، واختلفت الكلمة في القارن، فقالت المذاهب الأربعة بوجوب الهدى على القارن أيضاً، وقالت الإمامية بعدم وجوبه عليه إلاّ بنذر أو بسياق الهدى معه من الإحرام.

والمكّي عند الإمامية فرضه القارن أو الإفراد. لكنّه إذا تمّ وجب عليه الهدى، وهو عند المذاهب الأربعة مخير بين الأنواع الثلاثة من الحجّ، وإذا تمّ لم يجب الهدى عليه (١).

والهدى هو ما يهديه الحاج إلى الحرم من الأنعام الثلاثة؛ الإبل والبقر والغنم، ومن هنا جاءت التسمية. وغالباً يصنف الهدى في الرسائل العملية لفقهاء الإمامية بعنوان الواجب الثاني من أعمال منى.

شروط الهدى وصفاته

للهدى شروط يذكرها الفقهاء، وهي من ثلاث جهات:

١- من جهة الجنس يشترط في الهدى أن يكون من الأنعام الثلاثة؛ الإبل والبقر والغنم، وما سوى ذلك لا يسمى هدياً، ولم يخالف في ذلك أحد من فقهاء الإسلام.

٢- من جهة السنّ يشترط في الهدى أن يكون ثنياً إن كان من الإبل وهو ما أكمل خمس سنوات ودخل في السادسة، وهذا محلّ اتفاق فقهاء الإسلام (٢). وإن كان من البقر أو المعز فيشترط فيه أن يكون قد أتمّ سنه ودخل في الثانية، كما في الشرائع والجواهر (٣)، وعليه بعض المعاصرين كالشيخ فاضل النكراني (٤)،

١- الفقه على المذاهب الخمسة، محمّد جواد مغنية: ٢٦٤-٢٦٥.

٢- جواهر الكلام ١٩: ١٣٦.

٣- المصدر نفسه: ١٣٦؛ انظر كذلك الفقه على المذاهب الأربعة ١: ٦٩٦.

٤- مناسك حج، با حواشي مراجع بالفارسية مناسك الحجّ المحشّى: ٣٦٩.

ص: ٥٩

واحتاط السيد الإمام الخمينى (١)، والسيد السيستانى احتياطاً وجوباً فى أن لا يكون أقل من سنتين وداخلاً فى الثالثة (٢). وعلى ذلك فتوى ما عدا المالكية من مذاهب الجمهور. أمّا المالكية فقالوا باشتراط أن يكون الهدى من البقر قد أتم ثلاث سنوات ودخل فى الرابعة (٣).

أمّا إن كان الهدى من الضأن فالمتفق عليه بين فقهاء الإسلام أجزاء الجذع فيه (٤) حتى قال الشيخ النجفى فى الجواهر: «لا خلاف أجده فى إجزائه بل الإجماع بقسميه عليه مضافاً إلى ما سمعته من النصوص» (٥). إلّا أنّ الخلاف الشديد قد وقع فى المراد منه على أقوال شتى تراوحت بين القول بأن الجذع ما كان ابن ستة أشهر، وآخر بأنه ما أكمل السنة الأولى ودخل فى الثانية، وقد أفتى من المعاصرين السيد الخوئى والسيد السيستانى بإجزاء ما دخل منه فى الشهر الثامن، فيما احتاط السيد الإمام الخمينى والسيد الكلبايگانى والسيد السبزواري احتياطاً وجوباً باشتراط أن يكون قد أكمل السنة الأولى ودخل فى الثانية (٦).

٣- والشرط الثالث فى الهدى هو الخلو من العيوب، قال الشيخ مغنية فى الفقه على المذاهب الخمسة: «أن يكون الهدى تاماً خالياً من العيوب، فلا تجزى العوراء ولا العرجاء ولا المريضة ولا الكبيرة التى لا مخ لها بالاتفاق.

١- المصدر نفسه: ٣٦٩.

٢- المصدر نفسه: ١٩٦.

٣- الفقه على المذاهب الأربعة ١: ٦٩٦.

٤- المصدر نفسه: ٦٩٦، انظر كذلك الشرح الكبير بهامش المغنى لابن قدامة ٣: ٥٣٤.

٥- جواهر الكلام ١٩: ١٣٨.

٦- جامع المناسك، إعداد حسين مرعى وإسماعيل حريرى: ١٠٣.

ص: ٦٠

واختلفوا فى الخصى وفى الجماء وهى التى لا- قرن لها، وفى الصماء وهى التى لا- أذن لها أو لها أذن صغيرة، وفى البتراء وهى المقطوعة الذنب، فقال السيد الحكيم والسيد الخوئى: لا يجزى شىء منها، وقال صاحب المغنى: بل يجزى كل نوع منها، وقال العلامة الحلى فى التذكرة: الإناث من الإبل والبقر أفضل، والذكوران من الضأن والمعز أولى، ولاخلاف فى جواز العكس فى البابين، وقال صاحب المغنى:

الذكر والأنثى فى الهدى سواء» (١).

أمّا شرط عدم المرض فقد أفتى به بعض كالسيد الكلبايگانى والسيد السبزوارى، وقال به آخرون احتياطاً وجوباً كالسيد الإمام الخمينى والشيخ فاضل اللكرانى، وقال به آخرون احتياطاً استحبابياً كالسيد الخوئى والسيد السيستانى والشيخ التبريزى (٢). وقال الإمام الخمينى: بأن لا- يكون طاعناً فى السنّ. واحتاط السيد الخوئى والسيد السيستانى والشيخ التبريزى فى ذلك احتياطاً استحبابياً، بينما مال الشيخ مكارم الشيرازى والشيخ فاضل اللكرانى إلى ذلك احتياطاً وجوباً (٣) وأتفقوا على شرط تمامية الأجزاء وعدم النقص فى الهدى. قال الإمام الخمينى: «لا يكفى الناقص كالخصى وهو الذى أخرجت خصيته، ولامرضوض الخصية على الأحوط، ولا الخصى فى أصل الخلقة ولا مقطوع الذنب ولا مقطوع الأذن، ولا ما يكون قرنه الداخلى مكسوراً أو مقطوعاً، ولا بأس بما كسر قرنه الخارج أو قطع، ولا- يبعد الاجتزاء بما لا- يكون له أذن ولا قرن فى أصل خلقتة والأحوط خلافه، ولو كان عماء أو عرجه واضحاً لا- يكفى على الأقوى، وكذا لو كان غير واضح على الأحوط، ولا- بأس بشقاق الأذن وثقبها والأحوط عدم الاجتزاء به، والأحوط عدم الاجتزاء بما ابضت عينه» (٤).

١- الفقه على المذاهب الخمسة: ٢٦٥-٢٦٦.

٢- جامع المناسك: ١٠٣، انظر كذلك مناسك حج با حواشى مراجع: ٣٧٠.

٣- مناسك حج با حواشى مراجع: ٣٧٠.

٤- المصدر نفسه: ١٥١-١٥٢.

ص: ٤١

ومال الشيخ التبريزي والشيخ فاضل اللنكراني إلى اشتراط أن لا- يكون خصياً احتياطاً وجوباً، وفي مرضوض الخصيتين مال السيد الكلبايگاني إلى الجواز وكذا الشيخ مكارم الشيرازي، ومال السيد الخوئي والسيستاني والشيخ الصانعي والشيخ التبريزي إلى عدم الإجزاء احتياطاً استحبابياً، (١) خلافاً لما مرّ من كلام الإمام الخميني في عدم الإجزاء احتياطاً وجوباً.

وأتفقوا على أن لا- يكون الهدى مهزولاً، مع إيكال تحديد الهزال إلى العرف، واحتياط الإمام الخميني في مقطوع الذنب في أصل الخلقة احتياطاً وجوباً بعدم الإجزاء، وفي فاقد القرن أو الأذن احتياطاً استحبابياً بعدم الإجزاء، ومال السيد الخوئي والسيد السيستاني والشيخ الصافي إلى الاحتياط الاستحبابي في أن لا- يكون الهدى فاقد القرن والذنب في أصل خلقتة، ومال الشيخ الأراكي إلى الاحتياط الوجوبي في ذلك، وكذا السيد الكلبايگاني والشيخ الصافي (٢).

بدل الهدى

اتفق فقهاء الإسلام على أن الحاج إذا لم يجد الهدى ولا ثمنه، انتقل حكمه إلى البدل عنه وهو صوم عشرة أيام: ثلاثة منها في الحجّ وسبعة إذا رجع الحاجّ إلى أهله؛ لقوله تعالى:

فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةً إِذَا رَجَعْتَ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ (٣)

والمقصود بالقدرة في ظرف الحجّ لا في بلد الحاج، ومن شرع في الصيام ثم قدر على الهدى بعد ذلك لم يكن عليه عند الحنابلة والمالكية والشافعية الخروج من

١- المصدر نفسه: ٣٧١.

٢- المصدر نفسه: ٣٧١.

٣- سورة البقرة: ١٩٤.

ص: ٤٢

الصوم إلى الهدى، إلّا إذا شاء؛ لأنّه صوم دخل فيه لعدم الهدى (١)، وعليه فقهاء الإمامية أيضاً، سوى أنّهم يشترطون صوم تمام الثلاثة أيام التي فى الحجّ، قال الشيخ النجفى فى الجواهر: «ولو صامها- أى الثلاثة- ثم وجد الهدى فى ذى الحجّة ولو قبل التلبس بالسبعة لم يجب عليه الهدى وكان له المضى على الصوم... بل عن الخلاف الاجماع على ذلك» (٢).

ولو تمكّن فى أثناء صيامه الأيام الثلاثة، وجب عليه الهدى كما هو رأى الإمام الخمينى قدس سره (٣) واحتاط السيّد الخوئى والسيّد الكلبايگانى والشيخ مكارم الشيرازى والشيخ فاضل اللكرانى والشيخ الصافى والشيخ الأراكى احتياطاً وجوباً بالهدى إن وجدته بعد صوم الأيام الثلاثة، ورأى الشيخ البهجت ذلك احتياطاً استجبائياً، ومال الشيخ التبريزى إلى أن الاحتياط الوجوبى يقتضى الهدى إذا تمكّن قبل انقضاء أيام التشريق، وإذا تمكّن بعدها فلا يجب الاحتياط عليه بالهدى، وهكذا السيّد السيستانى (٤).

واختصّ فقهاء الإمامية بأنّ الحاجّ إذا كان مستطيعاً من الناحية المالية على شراء الهدى وتعدّر تحصيله، فعليه أن يودع قيمة الهدى عند شخص أمين؛ ليشتري الهدى ويدبّحه نيابته عنه فى بقية ذى الحجّة أو فى السنة الآتية كما هو المذكور من رأى السيّد الخوئى والإمام الخمينى والسيّد الكلبايگانى والشيخ الأراكى (٥) واحتمل فى الجواهر حصول الإجماع عليه (٦).

١- الفقه الإسلامى وأدلته، وهبه الزحيلي ٣: ٣٠٢؛ المغنى، ابن قدامة ٣: ٥٠٩.

٢- جواهرالكلام ١٩: ١٨٣.

٣- مناسك حج با حواشى مراجع: ٣٨١.

٤- المصدر نفسه: ٣٨٠-٣٨١.

٥- آراء المراجع فى الحجّ، على افتخارى كلبايگانى: ٣٦٨.

٦- جواهرالكلام ١٩: ١٦٤.

ص: ٤٣

زمان الهدى

قال الشيخ محمّد جواد مغنّية: «أما وقت ذبح الهدى أو نحره، فقال المالكية والحنفية والحنابلة: إنّه يوم العيد وتاليه الحادى عشر والثانى عشر، سوى أنّ الحنفية قالوا: إن هذا الوقت لهدى القران والتمتع، أما غيره فلا يتقيد بزمان، ولم يفرق المالكية بين أنواع الهدى، كما جاء فى كتاب الفقه على المذاهب الأربعة.

وقال الحنابلة: إنّ قدّم الذبح عن وقته وجب عليه البدل، وإن أخره عنه، فإن كان تطويماً سقط بذهاب وقته، وإن كان واجباً قضاة. وقال الحنفية: إن ذبح هدى التمتع والقران وقبل أيام العيد الثلاثة لم يجز، وإن تأخر أجزاء، وعليه كفارة عن التأخر. وقال الشافعية: وقت الهدى الواجب على المتمتع إحرامه بالحجّ، ويجوز تقديمه عليه، ولا حدّ لآخره، والأفضل يوم النحر. (الفقه على المذاهب الأربعة).

وبعد أن أوجب الإمامية النية فى الذبح أو النحر قالوا: إنّ وقت الذبح أو النحر هو يوم العيد، وإن أخره إلى اليوم الثانى أو الثالث أو الرابع يجزى، ولكن يآثم بالتأخير، وكذلك يجزى لو ذبحه بقبية أيام ذى الحجة. ونقل صاحب الجواهر عدم الخلاف فى ذلك حتى ولو كان التأخير بدون عذر. ولا يجوز تقديم الذبح أو النحر على اليوم العاشر عند الإمامية» (١).

واحتاط الإمام الخمينى احتياطاً وجوبياً فى عدم التأخير فى الذبح عن يوم العيد، واحتاط السيد الكلبايگانى والسيد الخوئى والسيد السيستانى والشيخ الصافى والشيخ البهجت والشيخ التبريزى احتياطاً استحبابياً فى ذلك (٢). والترتيب بين المناسك فى يوم النحر واجب عند مشهور الإمامية، فيجب أن

١- الفقه على المذاهب الخمسة: ٢٦٦-٢٦٧.

٢- مناسك حج با حواشى مراجع: ٣٧٣.

ص: ٦٤

يأتى الحاج بالرّمى أولاً ثمّ النحر والذبح ثمّ الحلق أو التقصير؛ لقوله تعالى:
ولا تحلقوا رؤوسكم حتّى يبلغ الهدى محله (١)

ولو قدم بعضها على بعض عالماً عامداً، تمّ ولا تجب عليه الإعادة (٢)، وعلى ذلك فتوى أكثر المعاصرين، وفيهم من قال بعدم لزوم الترتيب (٣).

مكان الهدى

اختلفت المذاهب الإسلامية فى مسألة مكان الهدى على ثلاثة آراء:

فرأى الإمامية: أنّ الهدى لا يكون إلّا بمنى للمتمتع وجوباً أو ندباً، أمّا ما يساق فى إحرام العمرة فينحر أو يذبح بمكة.

ورأى الحنفية والشافعية والحنابلة: أنّ مكان الهدى هو الحرم ولا يختصّ بمنى.

ورأى المالكية: أنّ الهدى يكون بمنى إذا كان واجداً لثلاثة شروط، فإذا افتقد واحداً منها وجب الذبح والنحر حينئذ بمكة دون غيرها، والشروط هى: أن يكون مسوقاً فى إحرام الحجّ لا العمرة، وأن يقف بالهدى بعرفة جزءاً من ليلة يوم العيد، وأن يريد نحره أو ذبحه فى يوم العيد أو تاليه (٤).

وقال الشيخ محمد حسن النجفى فى الجواهر: «ويجب ذبحه بمنى عند علمائنا فى محكى المنتهى والتذكرة وعندنا فى كشف اللثام، وهذا الحكم مقطوع فى كلام الأصحاب فى المدارك» (٥). وعلى ذلك المعاصرون، ولذا يذكرون الهدى فى

١- سورة البقرة: ١٩٦.

٢- الجواهر ١٩: ٢٥٠.

٣- مناسك حجّ با حواشى مراجع: ٣٧٢.

٤- الفقه على المذاهب الخمسة: ٢٦٦-٢٦٧، الفقه على المذاهب الأربعة ١: ٦٩٧-٦٩٨.

٥- جواهر الكلام ١٩: ١٢٠.

ص: ٦٥

الرسائل العمليّة بعنوان أنّه الواجب الثانى من واجبات منى، وينصّون على جواز الذبح فى المسلخ الفعلى الواقع فى وادى محسّر، ويفضّلون على ذلك الاحتياط بالتريث إلى آخر أيام التشريق إذا أُحرزت إمكانية الذبح فى منى أثناءها (١).

والخلاصة: أنّ إجماع المسلمين قائم على أنّ الذبح يكون فى منى، والفرق بين الإمامية وغيرهم أنّ الإمامية يرون اختصاص منى بالهدى، فيما يرى غيرهم شمول محلّ الذبح لسائر أجزاء الحرم المكيّ.

مصرف الهدى

المعروف فى فقه الإمامية استحباب تقسيم الهدى إلى ثلاثة أثلاث: ثلث يأكله الحاج نفسه، وآخر يتصدق به على الفقير، والثالث يهديه للمؤمنين الموجودين وقيل بوجوب الأكل منه (٢).

ورأى أكثر الفقهاء المعاصرين على أنّ التثليث من باب الاحتياط، واختلفوا فى ذلك بين قائل بكونه احتياطاً وجوباً كالشيخ الأراكى والشيخ البهجت والسيد الخوئى والشيخ التبريزى، وقائل بكونه احتياطاً استحبابياً كالسيد الإمام الخمينى والشيخ الفاضل اللكرانى والشيخ مكارم الشيرازى، وقال السيد الكلبايگانى والشيخ الصافى: بوجوب أن يأكل الحاج من هديه مقداراً، ويتصدق على الفقير بمقدار آخر ويهدى منه مقداراً ثالثاً بلا شرط أن يكون كلّ منهما ثلثاً، وقال الشيخ مكارم الشيرازى: بأنّ الواجب هو إعطاء الفقير شيئاً من الهدى فقط (٣).

أمّا رأى الإمامية فى إخراج لحوم الهدى والأضاحى من منى، فقد قال فى الجواهر: «لا يجوز إخراج شيء ممّا ذبحه فى منى من الهدى الواجب عن منى، بل

١- آراء المراجع فى الحجّ: ٣٥٨ - ٣٦٠.

٢- جواهر الكلام ١٩: ١٦١.

٣- مناسك حجّ با حواشى مراجع: ٣٧٥.

ص: ٦٦

يخرج من رحله - مثلاً - إلى مصرفه بها وفاقاً للمشهور». ثم أضاف قائلاً: «نعم ينبغي القطع بالجواز إذا لم يكن مصرف له إلفى خارجها» (١).

وعلى ذلك رأى أكثر المعاصرين، قال السيد السيستاني: «ويجوز إخراج لحم الهدى والأضاحى من منى مع عدم حاجة الموجودين فيها إليه» (٢) وأطلق السيد الخوئي العبارة في ذلك قائلاً: «ويجوز إخراج لحم الهدى والأضاحى من منى» (٣).
وأما سائر المذاهب الإسلامية:

فرأى الحنابلة والشافعية: أنّ ما وجب نحره بالحرم، وجب تفرقه لحمه فيه على المساكين.

ورأى الحنفية والمالكية: جواز تفرقه لحمه في الحرم وغيره.

وقال الشافعية: كلّ ما كان واجباً من الهدى لا يجوز الأكل منه، وكلّ ما كان تطوعاً يجوز الأكل منه (٤).

قال صاحب كفاية المحتاج وهو من فقهاء الشافعية: «اعلم أنّه يجب صرفها إلى فقراء الحرم ومساكينه؛ لأنّ المقصود من الذبح هو إعظام الحرم بتفرقتها على مساكينه، واعلم أنّه لا يجوز أكل شيء منه لحمًا وجلدًا وغيرهما ممّا يؤكل كما وقع التصريح به، وليحذر أن يعطى الجرّار منه شيئاً...» (٥).

ثمّ قال: «واعلم أنّه إذا لم يجد في الحرم مسكيناً، لم يجز نقل الدم والطعام إلى موضع آخر سواء جوّزنا نقل الزكاة أم لا؛ لأنّه وجب لمساكين الحرم، كمن نذر

١- جواهر الكلام ١٩: ١٣١-١٣٣.

٢- مناسك الحجّ: ٢٠٦.

٣- مناسك الحجّ: ١٧٦.

٤- الفقه على المذاهب الخمسة: ٢٦٧-٢٦٨.

٥- كفاية المحتاج، على بن ظهيرة الشافعي، ط دار البخاري: ٤٧٧.

ص: ٦٧

الصدقة على مساكين بلد فلم يجدهم يصبر إلى أن يجدهم ولا يجوز نقلها، وبه صرح القاضي حسين في فتاويه وغيره، وهو قول أكثر العلماء» (١).

الهدى الواحد هل يُجزى عن أكثر من واحد؟

المعروف بين فقهاء الإسلام جواز اشتراك جماعة في أضحية واحدة، أما في الهدى فلم أجد من تعرّض لهذه المسألة من فقهاء الجمهور.

ورأى فقهاء الإمامية فيها أنّ الهدى الواجب الواحد في الحجّ لا يجزى إلّا عن مكلف واحد، ولا يصحّ اشتراك أكثر من مكلف واحد في هدى واحد، قال في الجواهر: «للأصل المستفاد من تعدّد الخطاب الموافق لقوله تعالى: فمن لم يجد فصيام... ضرورة صدق عدم وجدان الهدى مع الاضطرار، فإنّ التمكن من جزء منه ليس تمكناً منه بعد أن كان المنساق منه الحيوان التام. والأمر بما استيسر إنّما هو لإرادة بيان النعم الثلاثة لا- أجزاء الحيوان الواحد ولصحيح الحلبي، سألت أبا عبد الله عليه السلام عن نفر تجزيهم البقرة، قال: أمّا الهدى فلا، وأمّا في الأضحى فنعم...» (٢).

وعلى ذلك رأى المعاصرين من فقهاء الإمامية (٣)، واحتاط السيّد السيستاني في القادر على الشركة في هدى الآخرين بالجمع بين المشاركة والصوم عشرة أيام بدل الهدى (٤).

لو ضلّ الهدى فذبحه غير صاحبه

لو ضلّ الهدى من يد صاحبه فوظيفة العاثر عليه أن يعرّف به إلى اليوم

١- المصدر نفسه: ٤٨٠.

٢- جواهر الكلام ١٩: ١٢١-١٢٢.

٣- مناسك الحجّ، السيّد الخوئي: ١٧٠.

٤- مناسك الحجّ: ١٩٦-٢٠٢.

ص: ٦٨

الثانى عشر، فإن لم يجد صاحبه حتّى عصر ذلك اليوم ذبحه نيابةً عن صاحبه (١) وظاهر عبارة السيد الخوئى أنّ ذلك من وظيفة الواجد للهدى الضائع، إلّا أنّ كلام السيد السيستانى يفيد غير ذلك فهو يقول: لو وجد كبشاً وعلم بكونه هدياً ضلّ عن صاحبه جاز له أن يذبحه عنه... والأحوط للواجد أن يعرّفه قبل ذبحه إلى عصر اليوم الثانى عشر (٢).

أمّا وظيفة صاحب الهدى عند السيد الخوئى، فهى أن يشتري «مكانه هدياً آخر، فإن وجد الأوّل قبل ذبح الثانى ذبح الأوّل، وهو بالخيار فى الثانى إن شاء ذبحه وإن شاء لم يذبحه وهو كسائر أمواله، والأحوط الأولى ذبحه أيضاً، وإن وجد بعد ذبحه الثانى ذبح الأوّل أيضاً على الأحوط» (٣). وليس فى كلامه إشارة إلى صورة ما إذا علم صاحب الهدى الضالّ بأنّ هديه قد ذبح نيابةً عنه من قبل الواجد له، وهى التى تعرّض لها السيد السيستانى، فنصّ على أنّ صاحب الهدى إذا علم بأنّ الواجد قد ذبحه نيابةً عنه اجتزأ به، ولا يجب عليه تحصيل هدى آخر مكانه (٤).

هذا ما عليه الإمامية فى المسألة.

أمّا علماء الجمهور؛ ففى الشرح الكبير لابن قدامة المقدسى: «إذا ضلّ المعين فذبح غيره ثمّ وجده أو عين غير الضالّ بدلاً عمّا فى الذمة ثمّ وجد الضالّ ذبحهما معاً. روى ذلك عن عمر وابنه وابن عباس، وبه قال مالك والشافعى وإسحاق لما روى عن عائشة أنّها أهدت هديين فأضلتهما، فبعث إليها ابن الزبير بهديين فنحرتهما، ثمّ عاد الضالان فنحرتهما وقالت: هذه سنة الهدى. رواه الدارقطنى» (٥).

١- مناسك الحجّ: ١٩٦-٢٠٢.

٢- مناسك الحجّ، السيد السيستانى: ١٩٩.

٣- مناسك الحجّ، السيد الخوئى: ١٧٣.

٤- مناسك الحجّ، السيد السيستانى: ١٩٩.

٥- المغنى وبهامشه الشرح الكبير، ط دار الكتاب العربى ٣: ٥٧٦.

ص: ٦٩

لو ذبح فانكشف ناقصاً

لو ذبح هديه بظنّ السلامة، ثم انكشف له بعد ذلك أنّه كان ناقصاً أو مريضاً، فهنا رأيان:

رأى بالاجتراء وعدم وجوب هدى جديد، وعليه السيّد الخوئي والسيّد السيستاني والشيخ التبريزي.

وآخر بعدم جواز الاجتراء به، ووجوب ذبح هدى آخر كامل محلّه، وعليه السيّد الإمام الخميني والسيّد الكلبيگاني والشيخ الأراكي

(١)، بل إنّ أصحاب الرأي الأوّل يعملون به قبل الذبح أيضاً، ويجعلون عنوان المسألة فيما لو اشترى هدياً ونقد ثمنه بظنّ السلامة ثمّ

بان معيياً (٢)، نعم اتفقوا على الاجتراء فيما لو ذبح هديه بظنّ كونه سميئاً ثمّ تبين أنّه كان هزلياً (٣). هذا ما عليه فقهاء الإمامية، ولم

أجد فيما بين يدي من مصادر من تعرّض لهذه المسألة من فقهاء العامة.

لو اشتراه سالماً ومرض عنده

واختلفت كلمة المعاصرين فيما لو اشترى الحاجّ هديه سالماً ثمّ مرض عنده أو حصل فيه عيب، حيث أفتى السيّد الخوئي بالإجزاء

وعدم الاحتياج إلى البدل (٤)، وأفتى السيّد السيستاني بأنّ «في الاجتراء به إشكال بل منع، والأحوط أن يذبحه أيضاً ويتصدّق بثمنه لو

باعه» (٥) ومفهوم هذه العبارة ذبح

١- مناسك حجّ با حواشي مراجع: ٣٧٤، آراء المراجع في الحجّ: ٣٦٥-٣٦٦.

٢- مناسك الحجّ، السيّد الخوئي: ١٥١، مناسك الحجّ، السيّد السيستاني: ١٩٧.

٣- آراء المراجع في الحجّ: ٣٦٦، مناسك الحجّ، السيّد السيستاني: ١٩٨.

٤- مناسك الحجّ: ١٧٢.

٥- مناسك الحجّ: ١٩٩.

ص: ٧٠

هدى آخر محلّه.

والمسألة لدى فقهاء العامية تعنون بعنوان آخر هو: ما لو عطب الهدى أو تعيب دون محلّه، قال ابن قدامة في المغني: «وإن عطب (١) تلف من ماله، وإن تعيب لم يجزئه ذبحه، وعليه الهدى الذي كان واجباً..» (٢).

أحكام الذبح ومسائله

لما كان الذبح من جملة العبادات؛ لذا احتاج إلى التيقن وهي شرط في صحة العمل، ويجب أن تكون مقارنة لأول العمل ومستمرّة إلى آخره (٣)، بمعنى أن لا يطرأ التردد فيها.

والذبح من الأفعال التي تقبل النيابة، والأفضل أن يتولى الحاج نفسه ذبح هديه، وعلى ذلك رأى فقهاء الجمهور أيضاً (٤) وإذا استتاب شخصاً لذلك فمن المستحب أن يشهد الشخص حالة الذبح، وأن يضع يده على يد النائب الذابح (٥). ويشترط في النيابة أن ينوي الذابح نيّة الذبح نيابةً عن الأصيل، ويستحب الاحتياط من الأصيل أن ينوي أيضاً، وبعضهم أفتى بلزوم ذلك عليه (٦).

ويشترط في الذابح أن يكون مسلماً عند أكثر المعاصرين، فيما أفتى السيّد الإمام الخميني باشتراط أن يكون مؤمناً أيضاً (٧). وإذا استتاب الحاج شخصاً في الذبح ثم شك في أنّ النائب ذبح عنه أم لا، بنى على عدمه، ومجرّد إخبار النائب بذلك لا يكفي، فلا بدّ للأصيل من علم أو اطمئنانٍ

١- أي هلك.

٢- المغني ٣: ٥٥٧.

٣- جواهر الكلام ١٩: ١١٨.

٤- الفقه الإسلامي وأدلّته ٣: ٣٠٩.

٥- المصدر نفسه: ١٥٧.

٦- مناسك الحجّ، السيّد السيستاني: ٢٠٢، مناسك الحجّ، الإمام الخميني: ١٧٥، آراء المراجع في الحجّ: ٣٦٠، مناسك حجّ با حواشي مراجع: ٣٧٦.

٧- المصدر نفسه: ٣٧٦.

ص: ٧١

بأنّ النائب قد أدّى ما عليه، والاحتمال في ذلك لا يكفي، كما هي فتوى السيّد الإمام الخميني والسيّد السيستاني (١) وأفتى السيد الخوئي والشيخ التبريزي بأنّ النائب إذا كان ثقة وأخبر بتحقيق الذبح فهو كافٍ (٢).

وعلى النائب أن يقوم بالذبح طبقاً للشروط والأحكام المقرّرة، فإن خالف في ذلك عمداً فهو ضامن، وعليه دفع ثمن الهدى إلى صاحبه، ويجب حينئذ ذبح هدى جديد، وإن كانت مخالفته من جهه الجهل والاشتباه، فهنا صورتان: فتارةً يكون النائب أجيراً وأخرى متبرعاً بالنيابة عن الأصيل، فإن كان أجيراً فهو ضامن وإن كان متبرعاً بالنيابة فلا، طبقاً لفتوى السيّد الإمام الخميني، فيما أفتى السيّد الخوئي والسيّد السيستاني والشيخ التبريزي بالضمان على النائب في كلتا صورتين (٣).

مسائل في الصوم بدل الهدى

مرّ فيما سبق الكلام عن حكم من لا يجد الهدى ولا يجد ثمنه أيضاً، وهو الانتقال إلى الصوم. بقيت فروع كثيرة تتعلق بهذا الحكم لا بدّ من الإشارة إليها.

منها: أنّه لو كان قادراً على الاقتراض بلا مشقّة وكلفه واجداً لقيمة القرض في زمن الأداء، وجب عليه الاقتراض والهدى، وكذا لو كان عنده من مؤن السفر زائداً على حاجته ويتمكّن من بيعه بلا مشقّة. نعم لا يجب عليه بيع لباسه كائناً ما كان، ولا يجب عليه التكبس لتحصيل ثمن الهدى، لكنّه لو باع الزائد من لباسه أو تكسّب فحصل على ثمن الهدى وجب عليه الهدى (٤).

ومنها: أنّ صيام الثلاثة أيام في الحجّ يجب أن تكون متواليه عند الإمامية،

١- مناسك حج: ٢٠٢.

٢- مناسك حجّ با حواشي مراجع: ٣٧٧.

٣- المصدر نفسه: ٣٧٨.

٤- مناسك الحجّ، الإمام الخميني: ١٥٥.

ص: ٧٢

وعند بعض العامة، وأكثر العامة على استحباب الترتيب، إلأى صورة ما إذا قيل بعدم جواز تأخير صوم شىء من الثلاثة عن يوم عرفة، فصام ابتداءً من يوم السابع، فيصبح التابع واجباً عليه حينئذ بأن يصوم الثامن والتاسع أيضاً (١).

وسياتى أن بعض الإمامية قد احتاط احتياطاً وجوبياً بإيقاع صوم الثلاثة قبل العيد وفى شهر ذى الحجة، ويحرم صيامها فى أيام التشريق على من كان فى الحج وغيره، وإذا انقضى شهر ذى الحجة ولم يصمها، فعليه الذبح فى السنة القادمة فى منى هو أو نائبه، وليس له أن يصومها إلا بعد الإحرام لعمره التمتع. ولا يشترط لصيامها قصد الإقامة، بل يجوز له أداؤها فى الطريق إذا لم تحصل له مهلة ثلاثة أيام فى مكة.

واحتاط السيد الإمام الخمينى احتياطاً وجوبياً فى أن يتم إيقاع صيام هذه الأيام فى الأيام الثلاثة قبل العيد أى السابع والثامن والتاسع، ولو لم يتمكن من صوم السابع صام الثامن والتاسع وأخر اليوم الثالث إلى بعد رجوعه من منى وبعد أيام التشريق، ولو لم يصم الثامن أخر الصيام إلى بعد الرجوع من منى فصام ثلاثة أيام متوالية بعد أيام التشريق (٢) وإذا لم يتمكن من صيامها بعد الرجوع من منى صامها فى الطريق أو فى بلده قبل انقضاء شهر ذى الحجة (٣).

واحتاط السيد السيستانى فى صورة ما إذا لم يتمكن من صيامها جميعاً قبل العيد احتياطاً وجوبياً بعدم جواز صيام الثامن والتاسع، ويوم آخر بعد الرجوع من منى (٤) فعلى ذلك يلزم أن تقع كلها قبل العيد أو بعد أيام التشريق. ومنها: أن صيام السبعة أيام الأخرى فى الوطن يؤتى بها متوالية.

١- كفاية المحتاج: ١٤٥-١٤٦.

٢- مناسك الحج، الإمام الخمينى: ١٥٥-١٥٧.

٣- مناسك الحج السيد السيستانى: ٢٠١.

٤- مناسك الحج السيد السيستانى: ٢٠١.

ص: ٧٣

أيضاً احتياطاً وجوبياً عند السيد الإمام الخميني، واستجابياً عند أكثر المعاصرين غيره (١). وقال أكثر فقهاء الجمهور بالاستحباب خلافاً لبعضهم ممن قال بالوجوب (٢).

ولا يجوز صيام هذه الأيام فى مكة أو فى الطريق إلّا لمن نوى الإقامة هناك، فيجوز له صيامها فيها بعد شهر من يوم قصد الإقامة، بل جاز صيامها إذا مضى من يوم القصد مدة لو رجع وصل إلى وطنه. ولو أقام فى غير مكة من سائر البلاد أو فى الطريق لا يجوز صيامها، ولو مضى المقدم المتقدم، نعم لا يجب أن يكون الصيام فى بلده، فلو رجع إلى بلده جاز له قصد الإقامة فى مكان آخر لصيامها (٣). فيما أفتى السيد الخوئي والسيسستاني فى صورة ما إذا أقام بمكة بأنّ عليه أن يصبر حتى يرجع أصحابه إلى بلدهم أو يمضى شهر ثم يصوم بعد ذلك (٤). هذا ما عليه فقهاء الإمامية.

أمّا فقهاء الجمهور فقال بعضهم: إنّ المراد بالرجوع فى قوله تعالى: وسبعة إذا رجعت: الرجوع إلى الوطن والأهل. وقال آخرون: بأنّ المراد بالرجوع: الفراغ من الحجّ (٥) وحينئذ يجوز له الصيام فى مكة بعد الحجّ.

ومنها: إنّ من لم يصم الثلاثة أيام بعد القدرة عليها حتى مات، وجب على وليه قضاؤها، والأحوط عليه أيضاً قضاء السبعة عن أبيه (٦).

١- مناسك حجّ با حواشى مراجع: ٣٨١.

٢- كفاية المحتاج: ١٥٠.

٣- مناسك الحجّ، الإمام الخميني: ١٥٧-١٥٨.

٤- مناسك الحجّ، السيد السيسستاني: ٢٠٠، مناسك الحجّ، السيد الخوئي: ١٧٤.

٥- كفاية المحتاج: ١٤٦-١٤٧.

٦- مناسك الحجّ، الإمام الخميني: ١٥٨.

ص: ٧٤

من أخلاق الحجِّ

السيد عادل العلوى

أهمية الإخلاص:

قال الله تعالى في كتابه الكريم وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيُعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ (١)

لقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم، وتمدح بخلقه في قوله تعالى: فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (٢)

وركبه من سرّ وعلن وروح وبدن. بدنه من تراب وروحه من أمر ربه وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي (٣)

فأودعه أسرار خلقه، جرمه صغير ولكن انطوى فيه العالم الأكبر، فدنا فتدلّى فكان قاب قوسين أو أدنى، فعلمه الأسماء الحُسنى وفهمه البيان الأتم، وأناله بخضوعه وعبوديته له سبحانه المقام الشامخ، فإنّ العبوديّة جوهره كنهها الربوبيّة، وأنطقه بأقواله سبحانه، ومن أصدق من الله قيلاً، وأصبغه بصبغته، ومن أحسن من الله صبغاً، وهده النجدين: نجد الخير ونجد الشر، وجعله مختاراً في سلوك الطريقين، إمّا شاكراً وإمّا كفوراً.

١- البيئته: ٥.

٢- المؤمنون: ١٤.

٣- الحجر: ٢٩.

ص: ٧٥

وخلق لروحه وبدنه منافيات وملائمات وآلاماً ولدّات ومنجيات ومهلكات، فمنافيات البدن الأمراض والأسقام الجسمانية، وملائماته الصّحّة واللذات الجسمانية، والمتكفّل ببيان تفاصيل هذه الأمراض وكيفية علاجها هو علم الطب، ومنافيات الروح والآمه هي رذائل الأخلاق وذمائمها التي تهلكه وتشقيه، وتودى به إلى أسفل السافلين ترديه وتهويه، فيكون كالأنعام بل أضلّ سبيلاً، وقلبه كالحجارة بل أشدّ قسوةً، وصحّة الروح رجوعها إلى فضائل الأخلاق ومحامدها، التي تنجيه وتسعده في الدارين، وتأخذ بيديه إلى مجاورة أهل الحق عند مليك مقتدر في مقعد صدق،... هذا وأنّ المتكفّل لبيان هذه الصفات الأخلاقية ومعالجة رذائلها هو (علم الأخلاق).

وإنّما بعث الله رسوله خاتم النبيين محمّداً صلى الله عليه وآله ليتّم مكارم الأخلاق، وقد مدحه ربّه في قوله تعالى: وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ (١)

وقد أقسم في سورة الشمس بأحد عشر قسماً أنّه قد أفلح من زكّاهَا* وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا حتى قيل أوجب الواجبات الأخلاق الحسنّة والمحمودة.

ثمّ البدن مادّي فانّ، وكل من على الأرض فانّ، والروح مجرد باق، وإذا اتّصفت النفس بشرائف الأخلاق كانت منعمّة في السعادة الأبدية، وإن اتّصفت برذائلها كانت في الشقوة والعذاب مخلدّة.

فعلى المرء الواعي أن يهدّب نفسه ويزكّي أخلاقه ويعالج أمراضه قبل فوات الأوان، كما أنّ المريض ينبغي له أن يعالج بدنه وصحته، وكل شيء إنّما يعالج بضدّه، فإنّ علاج اليابس بالرطب والرطب باليابس والبارد بالبارد والبارد بالبارد، وهكذا أمراض الأخلاق، فإنّه يعالج مرض الجهل بالعلم، والبخل بالسخاء، والكبر بالتواضع، ومرض الشرّ بالكفّ عن الشهوات، ومرض الرياء

ص: ٧٦

بالإخلاص. وإن كان يستلزم ذلك التكلف والمرارة، فإنه من أراد أن يُعالج مرض بدنه عليه أن يتحمل مرارة الدواء وأن يصبر عن المُشتهيات، وكذلك الروح فلا بدّ من احتمال مرارة المجاهدة وشدة الصبر، فإنه سيّد الأخلاق، فيصبر على فعل الطاعات والعبادات وترك المعاصي والآثام، ليداوى بالصبر أمراض القلوب، وإنّ علاجها أولى من علاج الأبدان، فإنّ مرض البدن يخلص الإنسان منه بالموت، ولكن مرض الروح - والعياذ بالله - يدوم بعد الموت أبدأً، فالحرى بمن يخاف على نفسه وقلبه وروحه أن يباشر المعالجة قبل الموت، فإنه سيندم يوم لا ينفعه الندم.

ثم أصل تهذيب النفس وتركيتها أن يقف الإنسان على حقيقة نفسه ويرى عيوبها ومهلكاتها، فمن كملت بصيرته وتمت حذاقته، لم تخف عليه عيوبه. ومن عرف الأمراض والعيوب يسهل عليه التداوى والتخلّص منها. وأكثر الناس جهلوا عيوب أنفسهم، ويرون القذى فى أعين الآخرين، ولا يرون الجزع فى عيونهم.

فلا بدّ من الاعتدال والحكمة بلا افراط ولا تفريط، بل خير الأمور أوسطها، فإنّ الاعتدال فى الأخلاق هو صحّة القلب والنفس والروح، والميل والانحراف عن حدّ الاعتدال فهو المرض والسقم الذى يخاف منه، فعلاج النفس بمحو الرذائل والأخلاق الذميمة عن النفس، وكسبها الفضائل والأخلاق الحميدة، ثم بعد تخلية القلب من الأهواء والأمراض النفسية وتحليلته بالأخلاق الفاضلة، ثم يسعى من أجل تجليتها وصيقلتها حتى تكون كالمرآة تنظف فيها أسرار الله وكونه، وإنّ أمور الناس ترجع إلى ربهم كما رجوع الإنسان إليه، فهو الكمال المطلق ومطلق الكمال المستجمع لجميع الصفات الكمالية والجمالية والجلالية بلا نهاية ولا بداية، فهو الأوّل وهو الآخر.

ثم الغالب على أصل المزاج البدنى هو الاعتدال، وإنّما تعتريه العلل المغيرة بعوارض الأغذية والأهوية والأحوال، وكذلك الروح فكلّ مولود يولد على الفطرة المعتدلة الصحيحة، وإنّما أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، وإنّما المحيط

ص: ٧٧

والتربية والتعلم والتعود لها الأثر البالغ في اكتساب الإنسان الرذائل والآثام.

ولمّا كان البدن في ابتداء خلقه لم يخلق كاملاً، وإتّما ينمو ويكمل وتقوى القوى بالنشوء والتربية بالغذاء والماء، فكذلك النفس تخلق ناقصة، إلّا أنّها قابلة للتكامل المنشود في جبلته، والذي خُلِقَ من أجله، ليصل بجهد وجهاده إلى كماله وأن يكون مظهرًا لأسماء الله وصفاته.

وإنّما تكتمل النفس بالتركية وتهذيب الأخلاق وتغذيتها بالعلم النافع والعمل الصالح والإيمان الراسخ. وإذا كان البدن صحيحاً، فشأن الطبيب حينئذٍ تمهيد القانون وبيانه الحافظ للصحة، وإن كان مريضاً فشأنه جلب الصحة إليه، فكذلك النفس، فإن كانت سليمة وزكية ومهذّبة الأخلاق، فينبغي السعي من أجل حفظها وسلامة صحتها وبقائها واكتساب زيادة صفاتها وجلاتها، وإن كانت عديمة الكمال فاقدة للصفاء الروحي، فينبغي الجهد المتواصل لجلب الصحة النفسية إليها.

هذا ومن أمراض القلب الخطرة جداً هو الرياء في النوايا والعمل، فإنّه كدبيب نملء سوداء في ليلة ظلماء على صخرة صلداء فمن يحسّ بدبيها؟

ويُقابل الرياء الإخلاص، والأعمال بالنيات - كما ورد في الخبر - ولكل امرئ ما نوى، والنية من عمل الجوانح وهو القصد القلبي نحو العمل المقصود إتيانه والمنشود فعله. ولو كانت النية خالصة لله سبحانه فإنّها توجب قبول الأعمال، فإنّ الكلم الطيب - وهو الذي فيه الإخلاص كما ورد في الأثر - يصعد إلى الله سبحانه، وإنّما يتقبل الله من المتقين، والإخلاص أساس التقوى.

وإنّ الشيطان الرجيم عدوّ الإنسان قد قعد له هو وأعوانه وحزبه بالمرصاد، ليضلّ الناس ويغويهم قال فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ (١)

ص: ٧٨

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «طوبى للمُخلصين أولئك مصابيح الهدى وتنجلي عنهم كل فتنة ظلماء!» (١).

وقال صلى الله عليه وآله: «العلماء كلهم هلكت إلا العاملون، والعاملون كلهم هلكت، إلا المخلصون والمخلصون على خطر».

وقال صلى الله عليه وآله: «إذا عملت عملاً فاعمل لله خالصاً لأنه لا يقبل من عباده الأعمال إلا ما كان خالصاً».

وقال صلى الله عليه وآله: «ليست الصلاة قيامك وقعودك، إنما الصلاة إخلاصك، وإن تُريد بها وجه الله».

وقال أمير المؤمنين على عليه السلام: «العمل كله هباء إلا ما اخلص فيه».

وقال عليه السلام: «ضاع من كان له مقصد غير الله».

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «ولا بد للعبد من خالص التّيه».

وقال الله تعالى عن لسان نبيه: قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ * وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ (٢).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن لكل حق حقيقة، وما بلغ عبد حقيقة الإخلاص حتى لا يحب أن يحمد على شىء من عمل

لله».

وقال صلى الله عليه وآله في حديث: «أما علامة المخلص، فأربعة: يسلم قلبه وتسلم جوارحه وبذل خيريه وكف شره».

وعن أمير المؤمنين على عليه السلام قال: «من لم يختلف سرّه وعلايته وفعله ومقاتته، فقد أدى الأمانة وأخلص العبادة».

قال أبو حامد الغزالي في إحياء العلوم في بيان حقيقة الإخلاص - بعد أن ذكر

١- كنز العمال خ ٥٢٦٨- الدر المشهور ٢: ٢٣٧.

٢- الزمر: ١١- ١٢.

ص: ٧٩

أقوال المشايخ فيها- الأفاويل في هذا كثيرة ولا فائدة في تكثير النقل بعد انكشاف الحقيقة، وإنما البيان الشافي بيان سيد الأولين والآخرين، إذا سئل عن الإخلاص فقال: (هو أن يقول ربّي الله ثم يستقيم كما امرت) أي لا تعبد هواك ونفسك، ولا تعبد إلا ربك وتستقيم في عبادته كما أمرك- إياك نعبد وإياك نستعين- وهذه إشارة إلى قطع كل ما سوى الله عزّوجل من مجرى النظر وهو الإخلاص حقاً.

ثم من آثار الإخلاص في حياتنا الفرديّة والاجتماعيّة، وفي العلميّة والعملية، هو تفجر ينابيع الحكمة وجريانها من قلب المخلص على لسانه.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «قال الله عزّوجل: لا- أطلع على قلب عبد فأعلم منه حبّ الإخلاص لطاعتي لوجهي وابتغاء مرضاتي إلّا توليت تقويمه وسياسته».

وقال أمير المؤمنين على عليه السلام: «غاية الإخلاص الخلاص. والمخلص حرّ بالإجابة، وعند تحقّق الإخلاص تستنير البصائر، وبالإخلاص تُرفع الأعمال، وفي إخلاص التيات نجاح الامور، ومن أخلص بلغ الآمال، أخلص تنل».

حرّ أن نكتب هذه الكلمات بأقلام من نور على وجنات الحور، فما أروع قوله عليه السلام: أخلص تنل. كلمتان فقط، ولكن فيها ما فيها من الأسرار والحكم والحقائق، فإنّ الإنسان إنّا ينال ما ينال بالإخلاص.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ المؤمن ليخشع له كلّ شيء، ويهابه كلّ شيء، ثمّ قال: إذا كان مخلصاً لله أخاف الله منه كلّ شيء حتى هوام الأرض وسباعها وطير السماء».

ثمّ يا هذا هل بعد الإخلاص من مقصود ومنشود؟

وقد قال الإمام الباقر عليه السلام: «ما بين الحقّ والباطل إلّا قلمة العقل- أي من يختار الباطل فهذا من قلة عقله- قيل وكيف ذلك يا ابن رسول الله؟ قال: إنّ العبد يعمل الذي هو لله رضّى فيريد به غير الله، فلو أنه أخلص لله، لجاؤه الذي يريد

ص: ٨٠

في أسرع من ذلك» (١)

هذا في الإخلاص الذي هو من جنود العقل، ويقابله الرياء، الذي هو من جنود الجهل، وقد قال الله تعالى في محكم كتابه ومبرم خطابه: وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ (٢)

قال رسول الله صلى الله عليه وآله «لابن مسعود: يابن مسعود إِيَّاكَ وَأَنْ تَظْهَرَ مِنْ نَفْسِكَ الْخُشُوعَ وَالتَّوَاضِعَ لِلْأَدَمِيِّينَ. وَأَنْتَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ رَبِّكَ مَصْرَعٌ عَلَى الْمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورَ». وقال: «أشدَّ الناس عذاباً يوم القيامة من يرى الناس أن فيه خيراً ولا خير فيه» (٣)

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «المرآئي ظاهره جميل وباطنه عليل». وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إِيَّاكَ وَالرِّيَاءَ فَإِنَّهُ مِنْ عَمَلٍ لَغَيْرِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى مَنْ عَمِلَ لَهُ». وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: إِنَّ الْمَلِكَ لِيَصْعَدُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ مَبْتَهَجاً بِهِ، فَإِذَا صَعِدَ بِحَسَنَاتِهِ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: اجْعَلُوهَا فِي سَجِينٍ إِنَّهُ لَيْسَ إِيَّايَ أَرَادَ بِهِ. وفي حديث آخر: تصعد الحفظة بعمل العبد مبهجاً به، فيطأون الحجب كلها حتى يقوموا بين يدي الله فيشهدوا له بعمل صالح ودعاء فيقول الله تعالى: أَنْتُمْ حَفْظَةٌ عَمَلِ عَبْدِي، وَأَنَا رَقِيبٌ عَلَى مَا فِي نَفْسِهِ، إِنَّهُ لَمْ يَرُدَّنِي بِهَذَا الْعَمَلِ عَلَيْهِ لِعَنَّتِي. وقال صلى الله عليه وآله: «إِنَّ الْمَرَائِي يُنَادِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا فَاجِرُ يَا غَادِرُ يَا مَرَائِي، ضَلَّ عَمَلُكَ وَبَطَلَ أَجْرُكَ، اذْهَبْ فَخُذْ أَجْرَكَ مِمَّنْ كُنْتَ تَعْمَلُ لَهُ».

١- الروايات التي ذكرتها إنما نقلتها من كتاب ميزان الحكمة المجلد الثالث، فراجع.

٢- الأنفال: ٤٧.

٣- كنز العمال: ح ٧٤٨٥.

ص: ٨١

وقال الصادق عليه السلام: «ما على العبد إذا عرفه الله أَلَمَ يعرفه الناس؟ إنَّه من عمل للناس كان ثوابه على الناس، ومن عمل لله كان ثوابه على الله وإن كلَّ رياء شرك».

قال الله عزَّ وجل كما في حديث قدسي: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري فأنا منه بريء فهو للذي أشرك».

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنَّ الله تعالى لا يقبل عملاً فيه مثقال ذرَّة من رثاء».

وقال: يابن مسعود: إذا عملت عملاً من البرِّ وأنت تريد بذلك غير الله، فلا ترج بذلك منه ثواباً، فإنَّه يقول: فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً.

وعن شداد بن أوس قال: رأيت النبي صلى الله عليه وآله يبكي، فقلت: يا رسول الله ما يبكيك؟ فقال: «إني تخوفت على أمِّتي الشرك أما إنَّهم لا يعبدون صنماً ولا شمساً ولا قمراً ولكنهم يراءون بأعمالهم».

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «يُجاء بعبد يوم القيامة قد صلَّى فيقول: يا ربِّ صلِّت ابتغاء وجهك، فيقال له: بل صلِّت ليُقال ما أحسن صلاة فلان اذهبوا به إلى النار».

ولكلِّ شيء علامة، وقد جاء في علامة المرائي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «أما علامة المرائي فأربعة: يحرص في العمل لله إذا كان عنده أحد، ويكسل إذا كان وحده، ويحرص في كلِّ أمره على المحمَّدة، ويحسن سمته بجهد».

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «الإبقاء على العمل أشدَّ من العمل». قال الراوي وما الإبقاء على العمل؟ قال: يصلُّ الرجل بصلته، وينفق نفقةً لله وحده لا شريك له، فتكتب له سرّاً، ثمَّ يذكرها فتمحى فتكتب له علانية، ثمَّ يذكرها فتمحى وتكتب له رياء».

قال رسول الله صلى الله عليه وآله في وصف المؤمن: «لا يعمل شيئاً من الخير رياءً ولا يتركه حياءً».

ص: ٨٢

وفى غرر الحكم عن أمير المؤمنين عليه السلام: «كَلَّ حَسَنَةً لَا يُرَادُ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى، فَعَلَيْهَا قُبْحُ الرِّيَاءِ وَثَمَرُهَا قُبْحُ الْجَزَاءِ». وقال الإمام الصادق عليه السلام: «ما كان من الصدقة والصلاة والصوم وأعمال البرِّ كُلِّهَا تَطَوُّعاً فَأَفْضَلُهَا مَا كَانَ سِرّاً، وَمَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ وَاجِباً مَفْرُوضاً فَأَفْضَلُهُ أَنْ يَعلَنَ بِهِ» (١).

فالرياء حرام والمرائي عند الله سبحانه ممقوت ومغضوب عليه وقد شهدت لذلك الآيات والأخبار والآثار كما ذكرنا. هذا غيظ من فيض في أخبار الإخلاص والرياء وبيان حدودهما، وما يترتب عليهما من الآثار في الدنيا والآخرة. وبعد هذه الوقفة العاجلة في رحاب عظمة الأخلاق الإسلامية ودورها البالغ في حياة المسلم الرسالي، وبعد عرض موجز عن الإخلاص والرياء، وإنما منشؤهما ومحطهما هو القلب، فإنه العالم بالله وهو العامل لله، والساعي والمخلص والمتقرب إليه، وهو الكاشف بما عند الله ولديه، وإنما الجوارح أتباع له وخَدَم والآت يستخدمها القلب كاستخدام الراعي للرعيتة، فهو المقبول عند الله إذا سلم من غير الله، وهو المحجوب عنه إذا صار مستغرقاً بغير الله، فهو المُخاطب وهو المُطالِب وهو المُثاب والمُعاقب، فيفلح الإنسان إذا زكاه ويشقى ويخيب إذا دنسه ودسّاه، وهو المطيع لله بالحقيقة، وإنما الذي يظهر على الجوارح الظاهرية من العبادات أنواره، فهو سلطان البدن، وهو العاصي المتمرد على الله، وإنما السارى على الأعضاء من الفواحش آثاره وبظلماته ونورانيته تتجلى المحاسن الظاهرية ومساوئها، فإن كل إناء بما فيه ينضح، وهو الذي إذا عرفه الإنسان فقد عرف نفسه ومن عرف نفسه عرف ربه، فتارةً يهوى إلى أسفل السافلين ويكون كالأنعام بل

١- نقلنا الروايات من ميزان الحكمة ٤: ٢٢ فراجع.

ص: ٨٣

أضلّ سبيلاً، واخرى يصعد إلى أعلى عليين، ويرتقى إلى عالم الملائكة المقربين، ومن لم يعرف قلبه ليراقبه ويراعيه، ويتصد ما يلوح من خزائن الملكوت عليه وفيه ومنه، فهو ممن قال الله تعالى فيه: **وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**

(١)

. فمعرفة القلب وحقيقته أوصافه أصل الدين وأساس السالكين، فلا تغفل.

فلا بدّ للمؤمن أن يخلص في نواياه وأعماله وحركاته وسكناته، حتى يلقي الله وليس في قلبه سواه وذلك هو القلب السليم، الذي ينفع في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون.

الإخلاص في الحج:

بعد هذه الكلمة الموجزة لأهمية الإخلاص في أعمالنا وعباداتنا، نأتى لنبين أهمية الإخلاص في فريضة الحج بشكل موجز، فالحاج سواء أكان مؤمناً أم مؤمنةً لا بدّ له من الإخلاص في مناسكه وحجه وعمرته... فإن الحج من فروع الدين ومن العبادات وشرطها الأول النية الخالصة متقرباً إلى الله سبحانه وتعالى.

الحج من العبادات الدينية والسياسية والاجتماعية ذات المفاهيم القيمة، روحياً وبدنياً، فردياً واجتماعياً، في جميع جوانب الحياة مع العبادة والاقتصاد والسياسة والثقافة والحضارة والاخوة الإسلامية وغير ذلك.

ويكفي في شرافة الحج ومقامه الشامخ في الدين الإسلامي الحنيف، أنه أحد الأركان التي بُني عليها الإسلام، فهو من الاسس الأولية التي يعلو عليها الإسلام العظيم، وتتجلى فيه روح المحبة والاخوة والصفاء وحكومة الروحانيات على الماديات، وكل مسلم متحمس لدينه يرى في حجه وعمرته، أن الإسلام يعلو ولا- يعلو عليه، وأن هذا الدين القيم لو تمسك به أهله حقّ التمسك وطبقوه في كل زوايا

ص: ٨٤

حياتهم لحكم العالم ولرفرت راياته على ربوع الأرض ولو كره المشركون.

فإنَّ الإنسان الضائع والبشريَّة التائهة، تجد انشودتها وسعادتها في هذا الدين، فهو يتكفَّل سعادة الإنسان في داري الدنيا والآخرة. فالحجَّ يمثَّل بوضوح عزَّ الإسلام وبقائه وسلطانه وكرامة المسلمين وشرفهم، فليس لأمَّة وملة من الامم والملل مثل هذا المؤتمر العالمي العظيم والمشهد السنوي الكبير الحافل بالخيرات والبركات؛ ليشهدوا منافع لهم، ليجتمع فيه المسلمون من شرق الأرض وغربها على اختلاف جنسياتهم وطوائفهم وأشكالهم وألوانهم ولغاتهم، ولا يتميز غنيهم عن فقيرهم ورئيسهم عن مرؤوسهم، كل واحد منهم اترز برداء وارtedy بآخر؛ ليلبى دعوة الله التي يدوى صداها عبر الأحقاب والأجيال من شيخ الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام في قوله تعالى: وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (١)

فالحج فلاح وصلاح، وقد أفلح من أقامه ورفع بنيانه كما أمر الشارع به، وإنَّما ركز القرآن الكريم ورسول الله الأعظم صلى الله عليه و آله وأهل بيته الأطهار عليهم السلام على الحج؛ لما فيه من المغزى والمعنى الملكوتى، وأنَّه يحتوى على كثير من العبادات والفضائل الأخلاقية والخير والإحسان الاجتماعى والثواب الأخرى، فإنَّه من بين أركان الإسلام ومبانيه عبادة العمر وختام الأمر وتمام الإسلام وكمال الدين فيه.

قال النبى صلى الله عليه و آله: «من مات ولم يحجَّ، فليمت إن شاء يهودياً، وإن شاء نصرانياً» (٢).

فالحجَّ نقله اجتماعية ورحله جماهيرية يتجه فيها الناس من كل صوب ومكان لأداء فريضة إلهية واجبة، فى مكان مقدس واحد هو أشرف بقاع الأرض مكة المكرمة، وفى زمان واحد من الأشهر الحرم وهو ذو الحجة المبارك، ليمارسوا

١- الحج: ٢٧.

٢- تفسير ابن كثير ١: ٣٨٦.

ص: ٨٥

شعائر موحّدة ومناسك دينية وطقوساً خاصية، تجرّد الإنسان عن عالم الماديات، وتحلّق بروحه إلى عالم ملكوتي وروحاني، بلا نهاية إلى الرفيق الأعلى قاب قوسين أو أدنى.

ولكن نوايا الناس مختلفه، والإنسان على نفسه بصيرة، ولو ألقى معاذيره وأستاره، فقد روى في خبر من طريق أهل البيت عليهم السلام «إذا كان آخر الزمان، خرج الناس للحجّ أربعة أصناف: سلاطينهم للنزهة، وأغنيأؤهم للتجارة، وفقراؤهم للمسألة، وقراؤهم للسمعة» (١).

فليس كلّ من حجّ بيت الله الحرام نال الكمال وبلغ العلى، بل بشرطها وشروطها والإخلاص أوّل شروطها. قال الإمام الصادق عليه السلام: «الحجّ حجان: حجّ لله وحجّ للناس، فمن حجّ لله كان ثوابه على الله الجنة، ومن حجّ للناس كان ثوابه على الناس يوم القيامة» (٢).

ولا يخفى من يدخل الجنة فهو من السعداء لقوله تعالى: وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا (٣)

فمن كان سعيداً في حجّه، إنّما يخلص لله في مناسكه ويتغى وجه الله في أعماله، ومن عمل للناس فقد خسر الدنيا والآخرة، فإنّ الدنيا الدنية دار ممر، وأهل الدنيا لا وفاء لهم، وفي الآخرة كلّ ينادى وانفساه، وكلّ يفزّ من أخيه وصاحبته وبنيه وعشيرته التي كانت في الدنيا تؤيه. فمن حماقة وقلّة العقل أن يعمل الإنسان لغير الله سبحانه، كما ورد في الخبر الذي مرّ. قال الإمام الصادق عليه السلام: «من حجّ يريد به الله ولا يريد به رياءً وسمعةً،

١- المحجّة البيضاء ٢: ١٨٩ أخرجه الخطيب البغدادي في تأريخه، ورواه أبو عثمان الصابوني في كتاب المائتين بلفظ آخر كما في المغنى.

٢- من كتاب ميزان الحكمه ٢: ٢٧٦.

٣- هود: ١٠٨.

ص: ٨٦

غفر الله له البتة (١)

- أي قطعاً -.

فمن حجّ لئنادى فى المجتمعات والنوادى: يا حاج فلان ويا حاجية فلانة، وليفخر على الآخرين ويتناول عليهم، لم يصبه من حجّه إلا التعب والنصب، والأعمال العبادية تبطل بالرياء، فيجب إعادتها وقضاؤها حينئذٍ. فهل بعد هذا إلا الإخلاص فى النوايا والعمل؟! ختامه مسك:

ولنختم الموضوع بما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام فى أسرار الحجّ ودقائقه وعلو معانيه وسمو مفاهيمه.

روى فى مصباح الشريعة عنه صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه وأولاده الطاهرين أنه قال: «إذا أردت الحجّ، فجزّد قلبك لله تعالى من كلّ شاغل وحجاب كلّ حاجب، وفوض أمورك كلّها إلى خالقك، وتوكلّ عليه فى جميع ما تظهر من حركاتك وسكناتك، وسلّم لقضائه وحكمه وقدره، ودع الدنيا والراحة والخلق، واخرج من حقوق يلزمك من جهه المخلوقين، ولا- تعتمد على زادك وراحتك وأصحابك وقوتك وشبابك ومالك، مخافه أن يصير ذلك عدواً ووبالاً، فإنّ من ادعى رضا الله واعتمد على ما سواه، صيره عليه وبالاً وعدواً؛ ليعلم أنه ليس له قوه وحيله، ولا لأحد إلا بعصمة الله وتوفيقه.

فاستعد استعداد من لا يرجو الرجوع، وأحسن الصحبة، وراع أوقات فرائض الله وسنن نبيه صلى الله عليه وآله، وما يجب عليك من الأدب والاحتمال والصبر والشكر والشفقة والسخاوة، وإيثار الزاد على دوام الأوقات، ثم اغسل بماء التوبة الخالصة ذنوبك، والبس كسوة الصدق والصفاء والخضوع والخشوع، وأحرم من كلّ شىء يمنعك عن ذكر الله ويحجبك عن طاعته، ولبّ بمعنى إجابة صادقة صافية خالصة

ص: ٨٧

زاكية لله تعالى في دعوتك، متمسكاً بالعروة الوثقى، وطف بقلبك مع الملائكة حول العرش كطوافك مع المسلمين بنفسك حول البيت، وهول هروله من هواك، وتبراً من حولك وقوتك، واخرج من غفلتك وزلاتك بخروجك إلى منى، ولا تتمن ما لا يحل لك ولا تستحقه، واعترف بالخطايا بعرفات، وجدّد عهدك عند الله تعالى بوحدانيته، وتقرب إليه، وأتقه بمزدلفه، واصعد بروحك إلى الملا الأعلى بصعودك على الجبل، واذبح حنجره الهوى والطمع عند الذبيحة، وارم الشهوات والخساسة والدناءة والذميمة عند رمي الجمرات، وأحلق العيوب الظاهرة والباطنة بحلق شعرك، وادخل في أمان الله وكنفه وستره وكلاءته من متابعة مرادك بدخولك الحرم، ودّر حول البيت متحققاً لتعظيم صاحبه ومعرفة جلاله وسلطانه، واستلم الحجر رضا بقسمته وخضوعاً لعزته، وودّع ما سواه بطواف الوداع، واصف روحك وسرّك للقائه يوم تلقاه بوقوفك على الصفا، وكن بمرأى من الله نقياً أو صافك عند المروة، واستقم على شرط حجّتك هذه، ووفاء عهدك الذي عاهدت به مع ربك، وأوجبته له إلى يوم القيامة، واعلم بأنّ الله تعالى لم يفرض الحجّ، ولم يخصه من جميع الطاعات بالإضافة إلى نفسه بقوله تعالى: **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا (١)**

. ولا- شرع نيّه سنّة من خلال المناسك على ترتيب ما شرعه، إلّالاستعانة والإشارة إلى الموت والقبر والبعث والقيامة، وفضل بيان السبق من الدخول في الجنّة أهلها، ودخول النار أهلها بمشاهدة مناسك الحجّ من أولها إلى آخرها لأولى الألباب وأولى النهى (٢).

انتهى كلامه صلوات الله عليه وسلامه، واغتنموا الفرص يا ضيوف الرحمن ويا حجاج بيت الله الحرام، وإنّما يتقبل الله من المتّقين المخلصين.

١- آل عمران: ٩٧.

٢- المحجّة البيضاء ٢: ٢٠٧.

قاعدة التقيّة و فقه الحج و الزيارة

قاعدة التقيّة و فقه الحج و الزيارة

حسن محمّد سليمان

تمهيد

بما أن فريضة الحج و زيارة المراقد المقدسة في مكة و المدينة تعدّ مساحة واسعة لتلاقى أتباع المذاهب الاسلامية المتعددة، ولتماسّ واحتكاك أبنائها بشكل واضح و جليّ، ونظراً لما يسيبه أى تصرف قولاً أو فعلاً مما يستغربه الآخرون، بل مما قد يستنكرونه و يعيونه و ينهون عنه، وبالتالي قد يقع سبباً للاختلاف والنزاع و الفتن بين أبناء الأمة الواحدة... إضافة الى ما بنيت عليه هذه القاعدة أساساً من دفع الضرر، وما يؤدى إلى الفساد والنزاع، وهو ما يتضح لنا من خلال الحديث عنها وعن أدلتها، وأنّ العقل و الشرع أقرّ هذه القاعدة، فهي إذن قاعدة عقلية شرعية هدفها حفظ النظام بين الناس والتآلف بينهم...

فقد جاءت هذه القاعدة لدرء أى خلاف أو فتنة أو نزاع... و لتضييق الفجوة بين أبناء الأمة الواحدة، إن لم يكن الغاؤها، تمهيداً للإرساء دعائم الوحدة الاسلامية وجعلها فوق كلّ خلاف، سواء أكان على مستوى الفروع و الأحكام أم الموضوعات و المواقف... فقاعدة التقيّة التي طالما أكدها أئمة أهل البيت و بينوا دورها الواسع، فيما راحوا من جهة أخرى يؤكّدون على أتباعهم و مريديهم من

ص: ٨٩

شيعتهم الالتزام بها في تلك المواقع و الأماكن، بل جعلوا مخالفتها في بعض الأمور مبطله لأصل العمل، إضافة الى ما يترتب على ذلك من إثم... حفظاً للوحدة بين المسلمين. وأنّ الوحدة أهم بكثير من إظهار فرع من الفروع، أو معتقد من المعتقدات؛ حتى وإن كان حقاً لا ريب فيه.

ولا- يعنى هذا عدم السماح بأن يظهر الانسان الشيعي معتقده وآراءه للآخرين، ويدعو لها، بل له أن يدعو لآرائه و أفكاره بشرط الحكمة و الموعظة الحسنة، وبعيداً عن الإثارة و التعصب، وكلّ ما من شأنه خلق الانفعالات و الاختلافات و ما يسيئ الى وحدة الصف، التي هي أهم من كلّ شيء.

لقد وجدت أنّ هذه القاعدة، المعروفة من بين كثير من القواعد الفقهية، التي يعتمدها الفقهاء في أحكامهم و فتاواهم، وجدت هذه القاعدة تتجلى فيما يخصّ فريضة الحج، بل و التواجد المستمر في البقاع المقدسة، سواء لأداء الحج فرضاً أو استحباباً، أو العمرة وزيارة النبي صلى الله عليه و آله و البقاع المقدسة الأخرى للأئمة عليهم السلام...

ولهذه القاعدة دور مهم في كلّ ما يصدر من الفقهاء سواء أكان أحكاماً و فتاوى، أم في تحديد مواقف الشيعة و آرائهم... التي لا بد من أن تنبثق من هذه القاعدة، و تصدر على ضوئها؛ لما يترتب على ذلك كله من أهداف كبرى و غايات نبيلة تصب في صالح الاسلام و المسلمين...

فهذا الذي جعلني أفرد لهذه القاعدة بحثاً خاصاً يتصف بالاختصار، بحثاً يتناول معناها و أدلتها و مصاديقها الخاصة، و بعض الأمور التي تتعلق بها...

فمصاديق هذه القاعدة، يمكن أن تقع في نواح أخرى و أماكن غير الحجاز، إلّا أنّ مصاديقها كثرت في هذه الأمكنة، لخصوصياتها الكثيرة و لأنها الملتقى العام لأبناء المذاهب الاسلامية، و محل ابتلاء أبناء الطائفة الشيعية بالخصوص، ولأنّ الحج هو المحك الذي يطلع من خلاله اتباع كلّ مذهب على ما عند المذهب الآخر

ص: ٩٠

من أعمال يتفرد بها، وأمور يختص بها و آراء يدافع عنها ومواقف يتمسك بها...
قد لا تروق للطرف الآخر أو لأكثرية المسلمين... ممّا قد يخلق الإعلان عنها والتجاهر بها حالة من التنفر والفرقة، بل قد تؤدي الى أمور
أخرى عواقبها غير محمودة أبداً.

إنّ من يزعم أنّه لم يجد أسسها في قرارة نفسه، ولم يعثر عليها في مطاوي كيانه، فإنه يجدها بمعالما في حياته اليومية.
فالتقية قبل أن تكون حالة شرعية، التزم بها قوم، واستنكرها عليهم آخرون إمّا جهلاً منهم، وإمّا بغضاً لهم، وإمّا لدوافع سياسية وأخرى
طائفية...

فهي حالة طبيعية فطرية، يعيشها الإنسان بذاته، في إطار علاقاته مع الآخرين أصدقاء كانوا أو أعداء...
فجاءت الشريعة المقدسة غير منكّرة لها بل مقرّرة بها، واضعاً لها أهدافاً عالية، ومصالح كبيرة، على مستوى الفرد والأمة، وسنت لها
شروطاً وأحكاماً، وحددت دائرة عملها، حتى غدت أسلوب عمل ناجح في خدمة ديننا الإسلامي والدعوة إليه والدفاع عنه، وباب
خلاص يلجج المضطرون، وطريقه لمعايشة الاخوة من أبناء الأمة والطائفة الواحدة، ومداراتهم؛ لحفظ كيان الأمة من الضياع في فتن
لاتنفع إلا أعداءها، وإبعادها عن كلّ ما يسبب إرباكاً لها وانقساماً لأبنائها طوائف مختلفة، فتكون لقمة سائغة للمتربصين بها...
فالتقية

تارة: تأتي مشروعاً واعياً للدعوة إلى الله تعالى... ولحفظ الأمة الإسلامية ووحدةها وكيانها العام.

وأخرى: تأتي لحفظ النفوس من أن تزهد، والدماء من أن تراق.

وثالثة: لحفظ الكرامة والأعراض والأموال.

وقد يعيشها المؤمن سنين طويلة طالما أنّ هناك أذى يخاف وفتنة تخشى. وقد

ص: ٩١

يعيشها لحظات، شريطة أن لا يتغير إيمانه ولا يضعف، بل يزداد صموداً وبقاءً.

إنّها رخصةٌ يستفيدها المؤمن من آيات قرآنية، وأحاديث نبوية، ومواقف جهادية... تفضّلت بها السماء علينا، فما علينا إلّا أن نحسن التعامل معها بما يكون دافعاً لنا نحو كدح متواصل للقاء الله تعالى ونيل رضاه.

هذا، ولا بدّ لنا من الإشارة إلى أنّ الطائفة الشيعية استفادت من التقيّة عبر تاريخها، واستخدمتها أكثر من غيرها حتى كادت تختصّ بها. وهذا أمر طبيعي، فإذا ما تتبّع باحث حياتهم؛ لوجدها تعرّضت إلى ما لم يتعرض له الآخرون، فالمطاردة والتنكيل، والسجون والتعذيب، والتقتيل بأشكاله البشعة، كلّها ممارسات قدرة تلتطّخت بها أيدي الطغاة والظالمين، وصبّت على أبناء هذه الفئة من المسلمين، لا لشيء إلّا لأنهم من الموالين للإمام عليّ وللعترّة النبوية الطاهرة، ولأنهم رفضوا الظلم والظالمين، وامتنعوا من الانصياع لهم، فكان طبيعياً أن يضطروا إلى اللجوء إلى هذا الأسلوب، الذي هو طريقة شرعية للحفاظ على كياناتهم وبقائهم، وبالتالي مواصلة جهادهم...

ولا أظنّ أنّ هناك شخصاً أو جماعةً لا تلوذ بهذا الأسلوب، ولا تلجأ إليه، إذا ما ابتلوا ببعض ما ابتليت به الشيعة عبر مسارها الجهادي الطويل...

وإذا ما استطاع الإنسان أن يظهر ما يراه ويعمل به بعيداً عن الأذى والملاحقة... فإنه لا يلجأ إلى التقيّة، ولا تجبذ له الشريعة بل ولا تجيز له ذلك..

ومع هذا كلّه فإن كلمة الحقّ والتصريح بها يبقى هو الأعظم ثواباً والأكبر أجراً...

فلنقف أولاً عند أدلّة هذه القاعدة و مصاديقها:

فأدلّة هذه القاعدة قد توزّعت بين آيات قرآنية، وأخرى روائية، وثالثة حكم العقل؛ وتسالم الفقهاء، ورابعة مواقف و أهداف.

وقبل أن نلج هذه الأدلّة؛ لتبين دلالتها على ما نحن فيه من صحة هذه القاعدة

ص: ٩٢

وسلامتها، نعرض قليلاً لمعناها اللغوي و الاصطلاحى، وإلقاء ضوءٍ على قاعدة التقيّة ومرادها وأهميتها، وسعة دائرتها كما يذهب إلى هذه السعة الإمامية بالذات.

*** التقيّة لغةً:

التقيّة مصدر من اتقى يتقى؛ كما قال الفيروز آبادى: اتقت الشيء، وتقيته أتقيه، وأتقيه تقي وتقيّة وتقاء ككساء: حذرته. والاسم: التقوى، أصله: تقياً قلبوه؛ للفرق بين الاسم والصفة كخزيماً وصدياً (١).

قال الجوهري: والتقاء: التقيّة، يقال: اتقى تقيّة وتقاء، مثل اتخم تخم (٢).

فيما قال الزبيدي: وقوله تعالى إلمأ أن تتقوا منهم تقاء يجوز أن يكون مصدرًا، أو أن يكون جمعًا، والمصدر أجود؛ لأنّ في القراءة الأخرى منهم: تقيّة. التعليل للفارسي. كذا في المحكم، وفي التهذيب قرأ حميد تقيّة، وهو وجه، إلّا أنّ الأولى أشهر (٣). هكذا عن ابن منظور في اللسان (٤).

قال أبو البقاء العكبري: وأصل تقاء: وقية، فأبدلت الواو تاءً لانضمامها ضمًا لازماً، مثل نحاء، وأبدلت الياء ألفاً لتحرّكها، وانفتاح ما قبلها، وانتصابها على الحال، ويقرأ: تقيّة ووزنها: فعيلة، والياء بدل من الواو أيضاً (٥).

التقيّة اصطلاحاً:

وأما في الاصطلاح فللفقهاء عبارات مختلفة في تعاريفها، تتقارب مضامينها.

١- القاموس المحيط: ٤ / ٤٠١.

٢- الصحاح: ٦ / ٢٥٢٧.

٣- تاج العروس: ١٠ / ٣٩٧.

٤- لسان العرب: ٥١ / ٤٠٢.

٥- أملاء ما من به الرحمن: ١ / ١٣٠.

ص: ٩٣

فقد عرّفها الشيخ المفيد بقوله: التقيّة كتمان الحقّ وستر الاعتقاد فيه، ومكاتمة المخالفين، وترك مظاهرتهم بما يعقب ضرراً في الدين والدنيا (١).

فيما عرفها الشهيد الأوّل بقوله: التقيّة مجاملة الناس بما يعرفون، وترك ما ينكرون حذراً من غوائلهم (٢).

وقال الشيخ الأنصاري في رسالته في التقيّة: والمراد هنا التحفظ عن ضرر الغير بموافقته في قول أو فعل مخالف للحقّ (٣).

وأما السيّد البجنوردي فقد قال: هي عبارة عن إظهار الموافقة مع الغير في قول، أو فعل، أو ترك فعل يجب عليه، حذراً من شرّه، الذي يحتمل صدوره بالنسبة إليه، أو بالنسبة إلى من يحبه مع ثبوت كون ذلك القول، أو ذلك الفعل، أو ذلك الترك مخالفاً للحقّ عنده (٤).

ولا يخفى أنّ هذه التعريفات وإن كان بعضها أوسع من بعض؛ ولكن يجمعها كلّها أنّ التقيّة موافقة الغير فيما خالف الحقّ، حذراً من شرّه.

أدلة مشروعية التقيّة

تتوزع أدلة هذه المشروعية بين أدلة قرآنية، وأخرى روائية، إضافة إلى حكم العقل، وتسلم الفقهاء.

أولاً: الآيات القرآنية

نكتفي هنا بذكر آيتين فقط؛ لأنهما الأوضح دلالةً على تشريع التقيّة مع أسباب نزولهما، لتتضح لنا دلالة كل آية منهما على المطلوب المذكور.

١- تصحيح الاعتقاد: ٦٦.

٢- القواعد والفوائد: ١٥٥ / ٢.

٣- رسالة في التقيّة للشيخ الأنصاري: ٣٧.

٤- القواعد الفقهية للسيّد البجنوردي: ٤٧ / ٥.

ص: ٩٤

قوله تعالى: لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير (آل عمران: ٢٨)

سبب النزول:

ذكر جمع من المفسرين أسباباً متعددة لنزول هذه الآية، ولكن مع تعددها اتفقت على أن بعض المسلمين، كانت تربطهم بيهود المدينة علاقات حميمة تتصف بالصفاء والمودة، بل بالولاء لهم، وتقديمهم على المؤمنين...
جاء قوم من اليهود، وكان منهم الحجاج بن عمر حليف كعب الأشرف وابن أبي الحقيق وقيس بن سعد، قد بطنوا (ساروا وصافوا) نفراً من الأنصار؛ ليفتنوهم عن دينهم.

قال رفاعه بن المنذر، وعبدالرحمن بن جبير، وسعيد بن خيثمة لأولئك نفر من المسلمين: اجتنبوا هؤلاء اليهود، واحذروا أن يفتنوكم عن دينكم، فأبى أولئك نفر إلا مباطنتهم ولزومهم. فأنزل الله تعالى: لا يتخذ المؤمنون الكافرين... الآية.

فيما ذهب بعض المفسرين إلى أنها نزلت في حاطب بن أبي بلتعة وغيره، وكانوا يتولون اليهود والمشركين، ويخبرونهم بالأخبار، ويرجون أن يكون لهم الظفر على رسول الله، أو أنها نزلت في عبادة بن الصامت، وكان له حلفاء من اليهود، ففي يوم الأحزاب قال: يا نبي الله إن معي خمسمائة من اليهود، وقد رأيت أن يخرجوا معي... (١).

إذن فالآية، نهت اتباع الرسول صلى الله عليه وآله ومريديه أن يختاروا على المؤمنين بديلاً من الكفار، سواء كانوا أهل كتاب أو غيرهم... فبدلوا لهم بالمودة، ويركنوا اليهم،

١- انظر: تفسير البحر المحيط ٢: ٤٤٠، التفسير الكبير للرازي ٨: ١١.

ص: ٩٥

وينصروهم، ويتولوهم... لما فى هذا كله من خطورة على الساحة المؤمنة، وشرخ للحالة الإسلامية، وإضعاف لها، ولما يسببه هذا التقرب من استحسان لهم، والتأثر بهم والرضا بما هم عليه من دين...

ولهذا نتائج سلبية خطيرة على المجتمع المسلم، الذى تريد السماء أن يبقى متماسكاً بتماسك أفراده وبتولى بعضهم والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض فجاءت هذه الآية، وغيرها من آيات تحمل نهياً صريحاً، التى منها لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء، يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء.

فالآية بعد أن رفضت هذا التولى، وحدّرت منه، وهددت فاعليه بالإخراج من ولاية الله تعالى، وما يستتبعه من عقوبة صارمة... وضعت الآية استثناءً للتولى المذكور: إلّا أن تتقوا منهم تقاء فانطلقت مشروعية التقية من هذا المقطع. فلنقف على أقوال بعض المفسرين فيه من الفريقين.

يقول الطبرسى فى تفسيره لهذه الآية:

والمعنى إلّا أن يكون الكفار غالبين، والمؤمنون مغلوبين، فيخافهم المؤمن إن لم يظهر موافقتهم، ولم يحسن العشرة معهم، فعندئذ يجوز له إظهار مودّتهم بلسانه، ومداراتهم تقيّةً منه، ودفعاً عن نفسه من غير أن يعتقد ذلك...

ثم واصل كلامه بقوله: وفى هذه الآية دلالة على أنّ التقية جائزة فى الدين عند الخوف على النفس.

ثم أردف قائلاً: وقال أصحابنا: إنّها جائزة فى الأحوال كلّها عند الضرورة، وربما وجبت فيها؛ لضرب من اللطف والاستصلاح، وليس تجوز من الأفعال فى قتل المؤمن، ولا فيما يعلم أو يغلب على الظن أنّه استفساد فى الدين (١).

١- مجمع البيان للطبرسى فى تفسير الآية.

ص: ٩٦

أما الفخر الرازى فى تفسيره للآية، فيقول، وهو يعدّد بعض أحكامها:

إنّ التقيّة إنّما تكون إذا كان الرجل فى قوم كفار، ويخاف منهم على نفسه وماله، فيداريهم باللسان، وذلك بأن لا يظهر العداوة باللسان، بل يجوز أيضاً أن يظهر الكلام الموهّم للمحبّة والموالاة، ولكن بشرط أن يضمّر خلافه، وأن يعرض فى كلّ ما يقول، فإنّ التقيّة تأثيرها فى الظاهر لا فى أحوال القلوب.

ثمّ ذكر حكماً آخر: وهو أنّه لو أفصح بالإيمان والحقّ حيث يجوز له التقيّة، كان ذلك أفضل، ودليله ما قاله الحسن:

أخذ مسيلمَةُ الكذاب رجلين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال لأحدهما:

أتشهد أنّ محمداً رسول الله؟

قال: نعم.

فقال: أتشهد أنّى رسول الله؟

قال: نعم. وكان مسيلمَةُ يزعم أنّه رسول بنى حنيفه، ومحمّد رسول قريش.

فتركه ودعا الآخر فقال:

أتشهد أنّ محمداً رسول الله؟

قال: نعم.

قال: أتشهد أنّى رسول الله؟

فقال: إنّى أصمّ! قالها ثلاثاً.

فقدمه، فقتله.

فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: أما هذا المقتول فمضى على يقينه وصدقه، فهنيئاً له.

وأما الآخر فقبل رخصة الله، فلا تبعه عليه.

ثمّ قال: إنّما تجوز فيما يتعلّق بإظهار الموالاة والمعاداة، وقد تجوز أيضاً فيما يتعلّق بإظهار الدين، فأما ما يرجع ضرره إلى الغير كالقتل

والزنا، وغصب

ص: ٩٧

الأموال، والشهادة بالزور، وقذف المحصنات، وإطلاع الكفار على عورات المسلمين، فذلك غير جائز البتة. وبعد هذا ذكر رأى الشافعي، بعد أن قال: ظاهر الآية يدلّ على أنّ التقيّة إنما تحلّ مع الكفار الغالبيين، إلّا أنّ مذهب الشافعي (توسّع في دائرتها): إنّ الحالة بين المسلمين، إذا شاكلت الحالة بين المسلمين والمشرّكين، حلّت التقيّة محاماةً على النفس. ثمّ راح يبيّن أنّ التقيّة لا- تأتي فقط لحفظ النفس بل لحفظ المال أيضاً مستنداً بأقوال رسول الله صلى الله عليه وآله: «حرمة مال المسلم كحرمة دمه» و «من قتل دون ماله فهو شهيد».

وأخيراً رجّح قول الحسن على قول مجاهد: «هذا الحكم كان ثابتاً أول الإسلام؛ لأجل ضعف المؤمنين، فأما بعد قوة دولة لإسلام فلا». فيما قال الحسن: «التقيّة جائزة للمؤمنين إلى يوم القيامة»

يقول الرازي: وهذا القول أولى: لأنّ دفع الضرر عن النفس واجب بقدر الإمكان (١).

قوله تعالى: من كفر بالله من بعد إيمانه إلّا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم النحل: ١٠٦.

سبب النزول:

نزلت هذه الآية في جماعة من المعدّبين بمكة وهم: عمّار، وياسر أبوه، وأمّه سمية، وصهيب، وبلال، وخباب، عدّبوا عذاباً شديداً، فأما سمية

ص: ٩٨

فقيل: ربطت بين بعيرين، ووخزت في قلبها بحربة، وقالوا: إنك أسلمت من أجل الرجال وقتلت، وقتل ياسر، وهما أول قتيلين قتل في الإسلام، وأول شهيدين.

وأما عمار فقد أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرهاً.

فقيل: يا رسول الله، إن عماراً كفر.

فقال: كلا إن عماراً ملئ إيماناً من فرقه إلى قدمه، أو من قرنه إلى قدمه، واختلط الإيمان بلحمه ودمه.

فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يبكي، فقال صلى الله عليه وآله: ما وراءك؟

فقال: شرّ يا رسول الله، ما تركت حتى نلت منك، وذكرت آلهتهم بخير.

فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يمسح عينيه، ويقول: «مالك إن عادوا لك فعد لهم بما قلت» وعلى رواية: قال صلى الله عليه وآله: كيف كان قلبك؟

قال: كان مطمئناً بالإيمان... فأنزل الله فيه الآية (١).

فاستثنت الآية من صب عليه الإكراه، وكان قلبه ينبض بالإيمان، فنطق كلمة الكفر اتقاءً لشركهم، وتخلصاً من عذابهم، لا لشيء غير هذا. وراح عمار يواصل جهاده المرير حتى قتلت الفئدة الباغية، معاوية وجنده، وهو ما أمّله به رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله: «تقتلك الفئة الباغية»، وقد تجاوز التسعين من عمره.

ولا ريب في أن ظاهر الآيتين المذكورتين، بل صريحهما يدلّ دلالة واضحة على مشروعية التقيّة وجوازها عند الخوف والاضطرار، وليس حكمها منحصرًا بمورد نزولها أو بعصر دون آخر، وإنما حكمها مستمر طالما هناك ضرورة للاستعانة بها، واضطرار لا يدفع إلّا بها.

١- انظر: مجمع البيان للطبرسي، والتفسير الكبير للرازي في تفسير الآية المذكورة.

ص: ٩٩

وهناك من الآيات ما فيه دلالة على التقيّة إجمالاً، وهو؛ ما ورد في قصّة مؤمن آل فرعون (١)، وما فعله أصحاب الكهف (٢)...

ثانياً- الروايات

روايات الإمامية:

هناك روايات كثيرة عن أهل البيت عليهم السلام إن لم نقل بتواترها معني، فقد تجاوزت حدّ الاستفاضة، وقد عقد لها الحرّ العاملي في وسائله أبواباً متعدّدة بلغت ثلاثة عشر باباً ضمّت ١٢٨ رواية، ذكرت في بعضها كلمة التقيّة صريحة، فيما ذكر مضمونها في الروايات الأخرى، نذكر قسماً منها من كتاب وسائل الشيعة وغيره:

وقد صرّح في بعض هذه الروايات بأنّه لا دين لمن لا تقيّة له:

قال أبو عبد الله عليه السلام: ... يا معلّى إنّ التقيّة ديني ودين آبائي، ولا دين لمن لا تقيّة له، يا معلّى إنّ الله يحبّ أن يعبد في السرّ، كما يحبّ أن يعبد في العلانية، يا معلّى إنّ المذبح لأمرنا كالجاحد به (٣).

وقال عليه السلام لأبي عمر: يا أبا عمر، تسعة أعشار الدين في التقيّة، ولا دين لمن لا تقيّة له (٤).

وعن صحيحة زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام: التقيّة في كلّ شيء يضطر إليه ابن آدم، فقد أحله الله له.

وعن الصادق عليه السلام أنه قال: لا دين لمن لا تقيّة له، ولا إيمان لمن لا ورع له (٥).

١- انظر سورة غافر: ١٣.

٢- انظر سورة الكهف: ١٩- ٢٠.

٣- المحاسن: ١/ ٢٥٥ ح ٢٨٦، والكافي: ٢/ ٢٢٤، ووسائل الشيعة ط، آل البيت: ٦١/ ٢٠٤.

٤- المحاسن: ١/ ٢٥٩ ح ٣٠٩، والكافي: ٢/ ٢١٧.

٥- وسائل الشيعة: ١٦/ ٢١٠، وصفات الشيعة: ٣/ ٣.

ص: ١٠٠

وعن الامام على بن موسى الرضا عليهما السلام: لا دين لمن لا ورع له، ولا إيمان لمن لا تقيّة له، إن أكرمكم عند الله أعمالكم بالتقيّة. فقيل له: يا ابن رسول الله إلى متى؟ قال: إلى يوم الوقت المعلوم وهو يوم خروج قائمنا أهل البيت، فمن ترك التقيّة قبل خروج قائمنا، فليس منّا (١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: إن التقيّة ترس المؤمن، ولا إيمان لمن لا تقيّة له. فقلت له: جعلت فداك، أرأيت قول الله تبارك وتعالى: «إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان»؟ قال: وهل التقيّة إلا هذا؟ (٢).

وعنه أيضاً أنّه قال: التقيّة ترس الله بينه وبين خلقه (٣).

وعنه أيضاً كان أبي عليه السلام يقول: وأيّ شيء أقرّ لعيني من التقيّة؟! إن التقيّة جنة المؤمن (٤).

وعن عبد الله بن أبي يعفور أنّه قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: التقيّة ترس المؤمن، والتقيّة حرز المؤمن، ولا إيمان لمن لا تقيّة له (٥).

وفي بعضها بأنّ التقيّة من ديني ودين آبائي:

وعن معمر بن خلّاد قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن القيام للولاء، فقال: قال أبو جعفر عليه السلام: التقيّة من ديني ودين آبائي، ولا إيمان لمن لا تقيّة له (٦).

وروى الطبرسي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: التقيّة ديني ودين آبائي،

١- كمال الدين: ٣٧١ ح ٥.

٢- قرب الإسناد: ٣٥ ح ١١٤.

٣- الكافي ٢: ٢٢٠.

٤- الكافي ٢: ٢٢٠.

٥- المصدر نفسه ٢: ١٧٥ ح ٢٣.

٦- المصدر نفسه ٢: ١٧٤ ح ١٢، ووسائل الشيعة ط- آل البيت ١٦: ٢٠٣ ح ٢١٣٥٩.

ص: ١٠١

ولا دين لمن لا تقيّة له، والتقيّة ترس الله في الأرض؛ لأنّ مؤمن آل فرعون لو أظهر الاسلام لقتل (١).
وهناك روايات تحمل مضامين أخرى:

قال أميرالمؤمنين عليه السلام: التقيّة من أفضل أعمال المؤمن، يصون بها نفسه وإخوانه عن الفاجرين (٢).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: مثل مؤمن لا تقيّة له كمثل جسد لا رأس له (٣).

وقال الحسن بن علي عليه السلام: إنّ التقيّة يصلح الله بها أمة، لصاحبها مثل ثواب أعمالهم، فإن تركها أهلك أمة، تاركها شريك من أهلّكهم (٤).

وعن الرضا عليه السلام قال: لا دين لمن لا ورع له، ولا إيمان لمن لا تقيّة له، وإن أكرمكم عند الله أعلمكم بالتقيّة (٥).

ودلالة هذه الأخبار على جواز التقيّة؛ بل على وجوبها في غاية الوضوح.

ولا يحتاج إلى البيان والإيضاح.

روايات أهل السنة

ولعموم الفرق الإسلامية الأخرى روايات تدلّ دلالة لا غموض فيها على مشروعية التقيّة، وصحة العمل بها، نذكر ما تيسر لنا منها:

١- قصة عمار بن ياسر التي صارت سبباً لنزول الآية ١٠٦ من سورة النحل كما ذكرنا، وقد أطبق المفسّرون وغيرهم على نقلها بعدة طرق، وإن

١- مجمع البيان: ٨ / ٥٢١.

٢- تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٣٢٠ / ١٦٣، ووسائل الشيعة ط- آل البيت: ١٦ / ٢٢٢ ح ٢١٤١١.

٣- تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٣٢٠ / ١٦٢. ووسائل الشيعة ط- آل البيت: ١٦ / ٢٢٢ ح ٢١٤١٠.

٤- تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٣٢١ / ١٦٤، ووسائل الشيعة ط- آل البيت: ١٦ / ٢٢٢ ح ٢١٤١٢.

٥- كفاية الاثر: ٢٧٠، ووسائل الشيعة ط- آل البيت: ١٦ / ٢١١ ح ٢١٣٨١.

ص: ١٠٢

اختلفت ألفاظها (١).

٢- قصة الصحابين اللذين قتل مسيلمة الكذاب واحداً منهما وأطلق الآخر، وقول رسول الله صلى الله عليه وآله فيهما: أما هذا المقتول فمضى على صدقه ويقينه...

فهنيئاً له، وأما الآخر فقبل رخصه الله... فلا تبعه عليه.

٣- حديث الرفع المشهور بين الخاصة والعامة، والذي استغنى بشهرته عن سنده، فعن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «رفع عن أمتي... وما استكروها عليه» (٢).

٤- وعن ابن عباس أنه قال: هو أن يتكلم بلسانه، وقلبه مطمئن بالإيمان، ولا يقتل، ولا يأتي مأثماً (٣).

٥- وعن ابن مسعود: ما كان يدرأ عنى سوطين إلّا كنت متكلماً به (٤).

٦- وبرواية القرطبي والرازي... قال الحسن: التقيّة جائزة للإنسان إلى يوم القيامة، ولا تقيّة في القتل (٥).

ثالثاً: حكم العقل

لا أظن أن العقل يوجب على الآخرين إظهار عقائدهم إذا لم تترتب على ذلك فوائد لهم ولما يعتقدون به، فضلاً عما إذا ترتب ضرر سواء أكان ضرراً مادياً أم معنوياً، علماً بأنّ العقل يوجب درء الضرر وإن كان محتملاً، فكيف إذا كان الضرر متيقناً؟ وسيرة العقلاء واضحة في أنهم يلومون من يعرض نفسه للضرر دون أي

١- فتح القدير للشوكاني ٣: ١٩٨، وفتح الباري للعسقلاني ١٢: ٢٦٢ وغيرهما من مصادر التفسير والرواية.

٢- انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، والتفسير الكبير للرازي وغيرهما في تفسير الآية ١٠٦ من سورة النحل.

٣- أحكام القرآن للقرطبي: ٤: ٣٨، والرازي في تفسيره ٨: ١٣ طبعة دار إحياء التراث.

٤- المصدر نفسه: ١: ١٢٥.

٥- أحكام القرآن للجصاص ٥: ١٤.

ص: ١٠٣

فائدة تذكر تعود عليه أو على عقائده أو على من هم من أتباعه ومريديه.

وواضح هنا أن دفع الضرر وبالتالي حفظ النفس... أهم بكثير من إظهار المبدأ وإن كان حقاً؛ فتقديم الأهم على المهم حكم عقلي لا ريب فيه.

ولا تغيب عن أذهاننا القاعدة الأخرى وهي: (الضرورات تبيح المحظورات)، وخير مصداق لها هو ما نحن فيه، وهل هناك ضرورة أعظم من درء الفتن عن الأمة، وحفظ كيانها من التمزق والضياع، ومما لا يعود عليها إلا بالضرر ونفع الأعداء؟! وأي خطورة أعظم من ذلك كله؟!

رابعاً: أقوال الفقهاء من الفريقين:

فأما فقهاء الإمامية، فقد اتفقت آراؤهم على مشروعيتها تبعاً للكتاب والسنة وروايات أهل البيت عليهم السلام... وقد عرفوا بها وكثرت بحوثهم حول التقيّة وأدلتها وأحكامها وسعة دائرتها، والدفاع عنها بقوة، فلا نطيل الكلام بذكر أقوالهم، وقد ذكر بعض منها في مطاوى البحث.

أقوال علماء أهل السنة في التقيّة:

نستعرض أقوال جمع من علمائهم و مفسّريهم؛ لتطلع عليها، و تستخرج دلالاتها بنفسك، وستجد أنه ليس هناك فروق بين ما يقولونه وما يقوله علماء الإمامية.

قال القرطبي المتوفى سنة ٢٧٥ في جامع البيان، في تفسير قوله تعالى: إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاءً:

وقيل: إن المؤمن إذا كان قائماً بين الكفار، فله أن يداريهم باللسان إذا كان خائفاً على نفسه، وقلبه مطمئن بالإيمان، والتقيّة لا تحلّ إلّامع خوف القتل أو القطع أو الإيذاء العظيم (١).

ص: ١٠٤

وقال في موضع آخر من تفسيره: أجمع أهل العلم على أن من أكره على الكفر حتى خشى على نفسه القتل، أنه لا إثم عليه إن كفر، وقلبه مطمئن بالإيمان، ولا تبين منه زوجته، ولا يحكم عليه بحكم الكفر، هذا قول مالك والكوفيين والشافعي (١).

قال ابن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ في تفسيره: إلّا أن تكونوا في سلطانهم، فتخافوهم على أنفسكم، فتظهروا لهم الولاية بألستكم، وتضمروا لهم العداوة، ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر، ولا تعينوهم على مسلم بفعل (٢).

وقال في موضع آخر من تفسيره: التقيّة باللسان من حمل على أمر يتكلم به وهو لله معصية، فتكلم مخافةً على نفسه، وقلبه مطمئن بالإيمان، فلا إثم عليه، إنما التقيّة باللسان (٣).

قال أحمد بن محمد أبو جعفر النحاس المتوفى سنة ٣٣٨، في معاني القرآن:

قال ابن عباس: هو أن يتكلم بلسانه ولا يقتل ولا يأتي إثمًا، ويكون قلبه مطمئنًا بالإيمان.

وقرأ جابر بن زيد ومجاهد وحמיד والضحاك إلّا أن تتقوا منهم (تقيّة) وقال الضحاك: التقيّة باللسان، والمعنى عند أكثر أهل اللغة واحد، وروى عوف عن الحسن قال: التقيّة جائزة للمسلم الى يوم القيامة، غير أنه لا يجعل في القتل تقيّة (٤).

قال الجصاص المتوفى سنة ٣٧٠، في أحكام القرآن: بيان معنى التقيّة

١- تفسير القرطبي: ١٠ / ١٨٢.

٢- جامع البيان: ٣ / ٣٠٩.

٣- المصدر نفسه: ٣ / ٣١٠.

٤- معاني القرآن: ١ / ٣٨٢.

ص: ١٠٥

وحكمها، وقوله تعالى: إلا أن تتقوا منهم تقاءً يعني إن تخافوا تلف النفس، أو بعض الأعضاء، فتتقوهم، أخبرنا بإظهار الموالاة من غير اعتقادٍ لها، وهذا هو ظاهر ما يقتضيه اللفظ، وعليه الجمهور من أهل العلم.

وقد حدّثنا عبد الله بن محمد بن إسحاق المروزي، قال: حدّثنا الحسن بن أبي الربيع الجرجاني، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله تعالى: لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين.

قال: لا يحلّ لمؤمن أن يتخذ كافراً ولياً في دينه.

وقوله تعالى: إلا أن تتقوا منهم تقاءً إلّا أن تكون بينه وبينه قرابةً فيصله لذلك، فجعل التقيّة صلةً لقرابة الكافر، وقد اقتضت الآية جواز إظهار الكفر عند التقيّة، وهو نظير قوله تعالى: من كفر بالله من بعد إيمانه إلّا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان وإعطاء التقيّة في مثل ذلك، إنّما هو رخصة من الله تعالى، وليس بواجب؛ بل ترك التقيّة أفضل.

قال أصحابنا فيمن أكره على الكفر، فلم يفعل حتّى قتل: إنّهُ أفضل ممّن أظهر.

وقد أخذ المشركون خبيب بن عدى فلم يعط التقيّة حتى قتل، فكان عند المسلمين أفضل من عمّار بن ياسر حين أعطى التقيّة وأظهر الكفر.

فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فقال (لعمار): كيف وجدت قلبك؟ قال: مطمئناً بالإيمان.

فقال صلى الله عليه وسلم: وإن عادوا فعد! وكان ذلك على وجه الترخيص (١).

قال ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ في نواسخ القرآن في قوله تعالى: إلّا أن تتقوا منهم تقاءً: قد نسب قوم إلى أن المراد بالآية اتقاء المشركين أن يوقعوا فتنة، أو ما يوجب القتل والفرقة، ثم نسخ ذلك بآية السيف وليس هذا بشيء، وإنما المراد

ص: 106

من الآية جواز اتقائهم، إذا أكرهوا المؤمن على الكفر بالقول الذي لا يعتقد، وهذا الحكم باقٍ غير منسوخ، وهو المراد بقوله تعالى: إلّا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان (1)

قال ابن كثير إسماعيل بن عمر المتوفى سنة 774، في تفسيره: قال ابن عباس: ليس التقيّة بالعمل إنّما التقيّة باللسان، وكذا رواه العوفي عن ابن عباس إنّما التقيّة باللسان، وكذا قال أبو العالمة، وأبو الشعثاء، والضحاك والربيع بن أنس.

ويؤيد ما قالوه، قول الله تعالى: من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان الآية.

وقال البخارى: قال الحسن: التقيّة إلى يوم القيامة (2).

قال جلال الدين السيوطى المتوفى سنة 911، فى الدرّ المنثور: إنّما التقيّة باللسان، وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقى فى سننه من طريق عطاء عن ابن عباس ألاً أن تتقوا منهم تقاة قال: التقاة: التكلّم باللسان، والقلب مطمئنّ بالإيمان، ولا ييسط يده فيقتل، ولا إلى إثم؛ فإنّه لا عذر له.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبى حاتم، عن مجاهد، ألاً أن تتقوا منهم تقاة قال: إلامصانعة فى الدنيا ومخالقة.

وأخرج ابن جرير، وابن أبى حاتم، عن أبى العالمة، فى الآية، قال: التقيّة باللسان وليس بالعمل (3).

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبى حاتم، عن قتادة،

1- نواسخ القرآن: 104.

2- تفسير ابن كثير 1: 365.

3- الدر المنثور 2: 16، وفتح القدير 1: 332.

ص: ١٠٧

ألا أن تتقوا منهم تقاة، قال: إلا أن يكون بينك وبينه قرابة فتصله لذلك (١).

قال محمد بن إسماعيل الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠، في فتح القدير: التقيّة باللسان، من حمل على أمر يتكلم به وهو معصية الله، فيتكلم به مخافة الناس وقلبه مطمئن بالإيمان، فإن ذلك لا يضره؛ إنما التقيّة باللسان (٢).

وقال الألوسي شهاب الدين أبو الثناء المتوفى سنة ١٢٧٠، في روح المعاني:

وفي الآية دليل على مشروعيتها التقيّة، وعرفوها بمحافظّة النفس، أو العرض، أو المال من شرّ الأعداء، والعدوّ قسمان: الأول: من كانت عداوته مبيّئة على اختلاف الدين كالكافر والمسلم.

والثاني: من كانت عداوته مبيّئة على أغراض دنيويّة كالمال، والمتاع، والملك، والإمارة (٣).

أما المراعى فيقول في تفسيره: وقد استنبط العلماء من هذه الآية جواز التقيّة:

بأن يقول الإنسان أو يفعل ما يخالف الحقّ؛ لأجل التوقّي من ضرر من الأعداء يعود إلى النفس، أو العرض، أو المال.

فمن نطق بكلمة الكفر مكرهاً؛ وقايةً لنفسه من الهلاك، وقلبه مطمئن بالإيمان، لا يكون كافراً، بل يعذر كما فعل عمّار بن ياسر حين أكرهته قريش على الكفر فوافقها مكرهاً، وقلبه مطمئن بالإيمان، وفيه نزلت الآية:

من كفر بالله من بعد إيمانه إلّا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان

ثم قال: ويدخل في التقيّة مداراة الكفّرة، والظلمة، والفسقة، وإلانة الكلام لهم، والتبسّم في وجوههم، وبذل المال لهم؛ لكفّ أذاهم وصيانة العرض منهم.

ولا يعدّ هذا من الموالاة المنهية عنها؛ بل هو مشروع، فقد أخرج الطبراني

١- المصدر ٢: ١٦.

٢- فتح القدير ١: ٣٣٢.

٣- روح المعاني ٣: ١٢١.

ص: ١٠٨

قوله صلى الله عليه و آله و سلم: ما وقى به المؤمن عرضه فهو صدقة (١).

أقسام التقيّة:

إنّ ما ظهر لنا من البحث: أنّ موضوع التقيّة، هو: أن يكون هناك ضرر، سواء أكان هذا الضرر بما يعبر عنه بالضرر الشخصى، وهو ما يتضرر منه الشخص نفسه دون الآخرين، الذين - عادةً - لا يتضررون به، وهذا فى مقابل الضرر النوعى كما يسمّى، الذى يتضرر منه الآخرون، وإن لم يتضرر منه الشخص نفسه، وسواء أكان هذا الضرر بشقيه (الشخصى والنوعى) ضرراً جسيماً أو مالياً أو عرضياً... فإذا وجد الضرر وجدت التقيّة، وتنتفى بانتفائه.

وانطلاقاً من اختلاف الضرر هذا وجوداً وعدمًا، قوةً وضعفًا، فقد قسّم الفقهاء التقيّة إلى خمسة أقسام كما هو حال الأحكام التكليفية:

الوجوب: حينما يتيقن الضرر، سواء أكان ضرراً فعلياً أم ضرراً مستقبلياً، فإنّه يكون مناطاً لوجوب التقيّة.

الحرمة: إنّ عدم وجود الضرر، يكون مناطاً لحرمة التقيّة؛ لأنّها تنتفى - كما قلنا - بانتفاء موضوعها، وهو الضرر عاجلاً أو آجلاً.

وتحرم أيضاً إذا توقفت على قتل مسلم، حيث لا تقيّة فى الدماء، ولأنّها إنما شرعت لدفع الضرر عن الجميع، لا أن يدفعه الشخص عن نفسه، بأن يوقع الآخرين فيه، فهو خلاف الحكمة والهدف من تشريعها.

الاستحباب، والمكروه، والمباح:

إنّ ترجيح احتمال وقوع الضرر المستقبلى، يكون مناطاً لاستحباب التقيّة.

وأما إذا كان ترجيح احتمال عدم وقوع الضرر أقوى من وقوعه، فحكم التقيّة هنا هو الكراهة.

ص: ١٠٩

وعند تساوى الاحتمالين؛ وقوع التقيّة وعدمه، فحكم التقيّة هنا هو الإباحة.

وللتفصيل يمكن الرجوع إلى ما قاله كلّ من الشهيد الأول، والشيخ الأنصارى: (١) اشتراط المندوحة فى التقيّة وعدمها:

المندوحة لغةً: من ندح يندح ندحاً الشيء: وسّعه، والمندوحة: السعة والفسحة، يقال: لك عن هذا الأمر مندوحة أو متدح، أى يمكنك تركه والميل عنه... (٢).

والمندوحة اصطلاحاً: هو تمكّن المكلف من الإتيان بالواجب التام الشرائط والأجزاء، وذلك بأن يأتى به فى وقت آخر أو مكان آخر... (٣).

وبعبارة أخرى: المندوحة: تعنى إمكان تخلّص المكلف من الحالة التى هو فيها، بأى طريقته يراها مناسبة كالتورية، أو الانتقال إلى مكان آخر، أو تأجيل العمل...

وعدم المندوحة: أى لا يمكنه التخلّص ممّا هو فيه.

وللفقهاء أقوال ثلاثة فى هذا، خلاصتها:

قول: يشترط عدم المندوحة؛

لأنّ تحقق الضرر أخذ موضوعاً للتقيّة، فإذا كان بمقدور المكلف التخلّص من هذا الضرر، فينتفى الضرر مع وجود هذه القدرة عند المكلف، وبالتالي فلا يجوز العمل بالتقيّة؛ لانتفاء موضوعها.

وعلى هذا فيشترط أصحاب هذا القول للعمل بالتقيّة: عدم وجود مثل هذه

١- للتفصيل، راجع القواعد والفوائد ٢: ١٥٨.

٢- انظر المنجد فى اللغة: ٧٩٨، والصحاح للجوهرى: ٥٥٢ و...

٣- أصول الفقه للمظفر ٢: ٣٢٠.

ص: ١١٠

القدرة للتخلص عند المكلف أى عدم المندوحة.

ومنهم الشيخ الأنصارى حيث قال: وهل يشترط فى الصلاة معهم عدم المندوحة أم لا؟

قولان، والأول أقوى (١).

ثم يقول فى رسالته: ويؤيده العمومات الدالة على أنّ التقيّة فى كلّ شىء يضطر إليه ابن آدم، فإنّ ظاهرها حصر التقيّة فى حال الاضطرار، ولا يصدق الاضطرار مع التمكن من تبديل موضوع التقيّة بالذهاب إلى موضع الأمن مع التمكن وعدم الحرج. نعم، لو لزم من التزام ذلك حرج أو ضيق، من تفقد المخالفين وظهور حاله فى مخالفتهم سرّاً، فهذا أيضاً داخل فى الاضطرار. ويخلص أخيراً إلى القول: وبالجملة فمراعاة عدم المندوحة فى الجزء من الزمان، الذى يوقع فيه الفعل أقوى مع أنّه أحوط (٢). وقال السيّد الخوئى: يعتبر عدم المندوحة فى مكان التقيّة على الأقوى، فلو أمكنه ترك التقيّة وإراءة المخالف عدم المخالفة، لم تشرع التقيّة (٣).

قول: لا يشترط عدم المندوحة؛

أى لا يشترط إمكان التخلص، فيما كان المكلف العمل بالتقيّة حتى مع وجود المندوحة، وليس بناء هذا الفريق - كما يبدو - هو عدم أخذ الضرر موضوعاً للتقيّة، بل التوسع فى أمر التقيّة المذكور فى الأخبار، فهى لم تشترط عدم المندوحة. فقد ذهب كلّ من الشهيد الأول فى البيان، والشهيد الثانى فى روض الجنان

١- كتاب الصلاة ٢: ٣٧٥.

٢- رسالة فى التقيّة: ٥٣-٥٤.

٣- منهاج الصالحين ١: ٢٩.

ص: ١١١

والمحقق الكركي في جامع المقاصد إلى عدم اشتراط عدم المندوحة في العمل بالتقيّة. حيث قال الأوّل منهم:

ولو عدل إلى المسح في موضع التقيّة، فالأقرب البطلان، ولا تبطل الوضوء بزوالها على الأصحّ، ولا يشترط فيها عدم المندوحة (١). فيما قال الثاني:

ولا يبطل الوضوء بزوال التقيّة والضرورة، ما لم يحدث على الأصحّ؛ لأنها طهارة شرعية ولم يثبت كون ذلك ناقضاً، ويحتمل لزوال المشروط بزوال شرطه، وقربه المصنّف في التذكرة، وتوقف في غيرها، ولا يشترط في جواز ذلك ونحوه للتقيّة عدم المندوحة، وهو يؤيد بقاء الطهارة مع زوال سبب التقيّة (٢).

وقال في موضع آخر:

فلا يصحّ السجود على الصوف والشعر والجلد وغيرها مع الاختيار، أما مع الضرورة فيجوز ومنها التقيّة، ولا يشترط عدم المندوحة خصوصاً مع إفادة تأكيد السلامة والاستناد بالسجود عليها (٣).

وأما الثالث فقد قال في مقاصده:... ولا يشترط في الصحة عدم المندوحة لإطلاق النصّ (٤).

القول الثالث: التفصيل

حيث بنى هذا القول على متعلّق التقيّة، وكونه مأذوناً فيه من قبل الشرع، وغير مأذون فيه.

١- البيان: ١٠.

٢- المصدر نفسه.

٣- روض الجنان: ٢٢٢.

٤- جامع المقاصد: ١/ ٢٢٢.

ص: ١١٢

قال جمع منهم المحقق الكركي بالتفصيل بين ما إذا كان مورد التقيّة، مأذوناً بالخصوص كالصلاة معهم، فقال: بعدم الاعتبار، وبين ما لم يأذن الشارع فيه بالخصوص فقال: بالاعتبار.

وإليك كلامه: فاعلم أن التقيّة قد تكون في العبادات، وقد تكون في غيرها من المعاملات، وربما كان متعلقها مأذوناً فيه بخصوصه، كغسل الرجلين في الوضوء، والتكثف في الصلاة. وقد لا يكون مأذوناً فيه بخصوصه؛ بل جواز التقيّة فيه مستفاد من العمومات السالفة ونحوها.

فما ورد فيه نصّ بخصوصه، إذا فعل على الوجه المأذون فيه، كان صحيحاً مجزياً سواء كان للمكلف مندوحة عن فعله كذلك، أم لم يكن؛ التفاتاً إلى أن الشارع أقام ذلك الفعل مقام المأمور به حين التقيّة، فكان الإتيان به امتثالاً فيقتضى الإجزاء.

وعلى هذا، فلا تجب الإعادة، ولو تمكّن منها على غير وجه التقيّة قبل خروج الوقت، ولا أعلم في ذلك خلافاً بين الأصحاب. وما لم يرد فيه نصّ بخصوصه كفعل الصلاة إلى غير القبلة، والوضوء بالنيذ، ومع الإخلال بالموالاة بحيث يجفّ البلل، كما يراه بعض العامة... فإنّ المكلف يجب عليه إذا اقتضت الضرورة موافقة أهل الخلاف فيه إظهار الموافقة لهم.

ومع التعذر: فإن كان له مندوحة عن ذلك الفعل لم يجب الإتيان به، وإلا أتى به مجزياً، ثم إن أمكن الإعادة في الوقت بعد الإتيان به لوفق التقيّة وجب، ولو خرج الوقت نظر في دليل يدل على وجوب القضاء، فإن حصل الظفر به أو جنباه، وإلا فلا؛ لأنّ القضاء إنّما يجب بأمر جديد. هذا في العبادات.

وأما في المعاملات فلا- يحلّ له باطناً وطى المنكوحه للتقيّة على خلاف مذهب أهل الحق، ولا- التصرف في المال المأخوذ من المضمون عنه، لو اقتضت التقيّة أخذه، ولا تزوّج الخامسة لو طلق الرابعة على مقتضى مذهب أهل الخلاف، دون

ص: ١١٣

المذهب الحق، وفي الباب وجود نصّ بخصوصه في فعل مخصوص، فحيث وجد ثبت الحكم الأول، وحيث انتفى انتفى (١).
بيان أخير

يبدو أنّ الظاهر المستفاد من إطلاق الروايات الدالّة على الأمر بمخالطة العامّة، ومعاشرتهم، وعبادة مرضاهم، وتشجيع جنائزهم (٢)، هو صحّة ما أوجبه التقيّة مطلقاً؛ لأنّ المفهوم من تلك الأحاديث أنّ المراد هو تأليف القلوب واجتماعها؛ لدفع الضرر والطعن على المذهب وأهله كما في قول الصادق عليه السلام:

«إن استطعتم أن تكونوا الأئمة والمؤذنين فافعلوا؛ فإنكم إذا فعلتم ذلك قالوا:

هؤلاء الجعفرية رحم الله جعفرًا، ما كان أحسن ما يؤدّب أصحابه، وإذا تركتم ذلك قالوا: فعل الله بجعفر، ما كان أسوأ ما يؤدّب أصحابه».

الإجزاء وعدمه:

إذا أتى المكلف بما في ذمته وفق ما تقتضيه التقيّة، فهل يكون مجزياً أو لا؟

اتّفتت كلمات الفقهاء على أنّ المكلف إذا امتثل ما امر به على الوجه المطلوب شرعاً، فإنّ امتثاله هذا يعدّ مجزياً، وليس عليه الإعادة ولا القضاء... وهذا هو معنى الإجزاء، فهل يشمل ما يؤدّيه المكلف تقيّة؟

إنّ الروايات صريحة في الدلالة على أنّ إتيان الواجبات، بشكل يوافق المخالفين، وإن كان مخالفاً للحقّ، قد أذن ورخص فيه الشارع، وعده من الدين، وبالتالي فهو مجزٍ، فلا يحتاج إلى إعادة أو قضاء حتى وإن رفع موجب التقيّة؛ لأنّ مقتضى عمومات التقيّة كقوله عليه السلام: «التقيّة ديني ودين آبائي» وأمثالها، أنّ التقيّة أمر وحكم واقعي وامتثال الأمر يقتضى الإجزاء، فإذا وجد دليل على التقيّد

١- رسائل الكركي المحقّق الكركي ٢: ٥١.

٢- انظر؛ كتاب المواعظ، صفات الشيعة: ٢٤٧ ر ٣٨.

ص: 114

يؤخذ به، وإلّا فمقتضى عمومات التقيّة الاكتفاء بالمأتى به من غير فرق بين أن يكون إتيان الواجب مأذوناً بالخصوص، أو كان مأذوناً بعنوان عام؛ لأنّ الملاك في كلتا الصورتين سيرورته واقعياً ثانوياً، وشأن الأوامر الواقعية الثانوية هو الإجزاء.

وتدلّ عليه روايات متعددة تبلغ حدّ الاستفاضة أو أكثر، وقد ذكرنا قسماً منها، ونكتفى بما رواه الكليني بإسناده عن سماعة قال: سألته عن رجل كان يصلّي فخرج الإمام، وقد صلّى الرجل ركعة من صلاة فريضة، قال: إن كان إماماً عدلاً فليصلّ أخرى، وينصرف ويجعلها تطوّعاً، وليدخل مع الإمام في صلاته كما هو، وإن لم يكن إمام عدل فليبين على صلاته كما هو، ويصلّي ركعة أخرى، ويجلس قدر ما يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله، ثمّ ليتمّ صلاته معه على قدر ما استطاع؛ فإنّ التقيّة واسعة، وليس شيء من التقيّة إلّا وصاحبها مأجور عليها إن شاء الله (1).

وهذه الرواية صريحة في الإجزاء والاكتفاء بما يؤتى به تقيّة. وفي رواية أخرى: التقيّة في كلّ شيء يضطر إليه ابن آدم، فقد أحله الله له (2).

يقول السيّد البجنوردي في قواعد:

إنّ كلّ فعل واجب من الواجبات إذا أتى به موافقاً لمن يتقيه، وكان مخالفاً للحقّ في بعض أجزائه وشرائطه، بل وفي إيجاد بعض موانعه، فإن كان مأذوناً من قبل الشارع في إيجاد ذلك الواجب بعنوان أنه واجب للتقيّة، فهو مجز عن الواقع، ولا يجب عليه الإعادة إذا ارتفع الاضطرار في الوقت، ولا القضاء إذا ارتفع في خارج الوقت؛ لأنّ الإتيان بالمأمور به بالأمر الواقعي الثانوي مجز عن الإتيان

1- الكافي 3: 380 ح 7، والتهذيب 3: 50 ح 89.

2- الكافي 2: 220 ح 13.

ص: ١١٥

بالمأمور به بالأمر الواقعى الأولى، سواء كان رفع الاضطرار فى الوقت أو فى خارج الوقت (١). ولا فرق عنده بين أن يكون العمل مأذوناً به بشكل خاص أو وقع تحت الإذن العام.

فيقول: ولا- فرق فى كونه مأذوناً بين أن يكون الرخصة والإذن بعنوان ذلك الواجب بخصوصه، كما أنه ورد الإذن بخصوص المسح على الخفين... (٢). أو كان بعنوان عام يشمل جميع الواجبات كقوله عليه السلام: «التقيّة دينى ودين آبائى» (٣). العمل خلاف التقيّة:

إذا جاء المكلف بعمل على خلاف التقيّة، فما هو حكمه وحكم عمله هذا؟ حكمه:

إنّ حكم هذا المكلف، الذى أتى بعملٍ خلافاً لما هو مأمور به، كما لو أنّه صلّى مرسلًا دون تكفير، أو سجد على التربة، وغير ذلك من الأعمال، التى يعيها الطرف الآخر وينهى عنها، فحكمه أنه ارتكب حراماً وأثم؛ لتركه ما هو مأمور به فى وقته، كما يشهد به جمع من الروايات:

فعن الصادق عليه السلام: «لو قلت: إن تارك التقيّة كتارك الصلاة لكنت صادقاً» (٤). وعن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام فى وصيته لليونانى الذى أعلن إسلامه: «... وأمرك أن تستعمل التقيّة فى دينك، فإنّ الله عزّوجلّ يقول: لا يتخذ

١- القواعد الفقهية للسيد البجنوردى ٥: ٥٦.

٢- انظر تهذيب الأحكام ١: ٣٦٢، ح ١٠٩٢ باب صفة الوضوء والفرض منه، ح ٢٢.

٣- الكافى ٢: ٢١٩ باب التقيّة، ح ١٢، وسائل الشيعة ١١: ٤٦٠ أبواب الأمر والنهى باب ٥٢٤ ح ٣ وانظر القواعد الفقهية للسيد البجنوردى ٥: ٥٥-٥٦.

٤- من لا يحضره الفقيه ٢: ١٢٧، ح ١٩٢٧، ووسائل الشيعة ط- آل البيت ١٠: ١٣١.

ص: ١١٦

المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين... إلّا أن تتقوا منهم تقاه...
... وإياك إياك أن تترك التقيّة التي أمرتك بها... (١).

وعن أبي محمّد الحسن بن علي العسكري عليه السلام في حديث أنّ الرضا عليه السلام جفا جماعة من الشيعة وحجّهم، فقالوا: يا ابن رسول الله ما هذا الجفاء العظيم والاستخفاف بعد الحجاب الصعب؟
قال: لدعواكم أنكم شيعة أمير المؤمنين عليه السلام، وأنتم في أكثر أعمالكم مخالفون، ومقصرّون في كثير من الفرائض، وتهاونون بعظيم حقوق إخوانكم في الله، وتتقون حيث لا تجب التقيّة، وتتركون التقيّة حيث لا بد من التقيّة (٢).
وعن الرضا عليه السلام قال: لا دين لمن لا ورع له، ولا إيمان لمن لا تقيّة له، وإن أكرمكم عند الله أعمالكم بالتقيّة... (٣) وعن الحسن بن علي عليه السلام: إنّ التقيّة يصلح الله بها أمة لصاحبها مثل ثواب أعمالهم، فإن تركها أهلك أمة، تاركها شريك من أهلهم (٤).
وعن علي بن الحسين عليه السلام: يغفر الله للمؤمن كلّ ذنب، ويظّهره منه في الدنيا والآخرة ما خلا ذنبي: ترك التقيّة، وتضييع حقوق الإخوان (٥).

هذا في حكم المكلف نفسه.

حكم عمله:

وأما في حكم عمله، ففيه تفصيل عندهم: فإنّ القول ببطلان كلّ عمل أتى به على خلاف التقيّة، أمر مشكل، إلّا فيما إذا كان ما تتحقّق به المخالفة يكون جزءاً

١- الاحتجاج ١: ٣٥٥، وسائل الشيعة ط- آل البيت ١٦: ٢٢٩.

٢- الاحتجاج ٢: ٢٣٧، ووسائل الشيعة ط- آل البيت ١٦: ٢١٧ ح ٢١٤٠٠.

٣- وسائل الشيعة ط- آل البيت ١٦: ٢١١ ح ٢١٣٨١

٤- تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٣٢١ ح ١٦٤، وسائل الشيعة ط- آل البيت ١٦: ٢٢٢ ح ٢١٤١٢.

٥- تفسير الامام العسكري عليه السلام ٣٢١: ١٦٦، ووسائل الشيعة ط- آل البيت ١٦: ٢٢٣.

ص: ١١٧

للعادة نفسها، وقد تعلق النهى بهذا الجزء الذى وقع مصداقاً للمخالفة كالسجدة على التربة، فعندئذ تصير العبادة المشتملة على ذلك الجزء باطلة؛ لأنها وقعت خلاف التقيّة، بإدخال الجزء المنهى عن إتيانه فيها، والنهى فى العبادة يوجب فسادها. وهذا لا يجرى فيما إذا كان ما هو مصداق للمخالفة، خارجاً عن الأمور به، أى لا يكون جزءاً منه ولا شرطاً فيه، كما فى التكفير وقول آمين وأمثالهما.

حيث إن المكلف فى هذه الصورة أتى بالأمور به الواقعى بقصد القربة، ولم يدخل فيه ما لم يكن جزءاً منه، ولم يترك أيضاً ما هو جزء أو شرط فيه، فحصل الامتثال، إلّا أنه مع هذا كان عاصياً بترك التقيّة. فتكون حالته هذه من قبيل النظر إلى المرأة الأجنبية حال الصلاة، فصلاته صحيحة، وإن ارتكب حراماً بنظرته إليها، حيث إنّه لم يكن جزءاً للصلاة الأمور بها.

مصاديق التقيّة:

مع أنّ التقيّة تعدّ من المسائل الفرعية، إلّا أنّ مصاديقها كقاعدة فقهية قد تدخل فى أبواب عقائديه، وأخرى فقهية أحكاماً وموضوعات، إذا تحقق عنوان الضرر فيها جميعاً.

التقيّة فى العقائد

وأفضل مثال فى هذا، هو: قصة عمار بن ياسر، وقصة الرجلين من أهل الكوفة. وهما معروفتان، وقد ذكرناهما، فراجع. فإذا توجه للإنسان ضرر عند إقراره بنبوة محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، فبعضهم ذهب إلى القول بوجوب التقيّة بأن لا يقتر بذلك وبعض آخر ذهب إلى استحبابها.

التقيّة فى الأحكام

ونكتفى هنا بآراء السيّد الإمام الخمينى رضوان الله تعالى عليه نذكرها باختصار:

ص: ١١٨

فقد أفتى سماحته بجواز السجود على السجاد المفروش في المسجد النبوي الشريف، وبعدم وجوب اختيار مكان آخر غير مفروش، أو استصحاب حصير للسجود عليه، فقال: لا مانع من السجود في مسجد النبي صلى الله عليه وآله على السجاد، ولا يجوز وضع التربة، ولا يجب عليه اختيار المكان الموجود فيه حجر للصلاة، ولا- يجب عليه أيضاً أن يأخذ حصيراً ونحوه، ولكن إن روعى ذلك بحيث لا يوجب الوهن، وأخذ معه حصيراً للصلاة وصلى عليه، بحيث يكون ذلك متعارفاً عليه عند سائر المسلمين فلا إشكال، لكن يؤكد الاجتناب عن كل عمل يوجب الهتك والشهرة (١).

هذا وأجاب عن سؤال وجه لسماحته، هذا نصه: هل يجوز بعد الانتهاء من صلاة الجماعة في مسجد النبي صلى الله عليه وآله السجود على سجاد المسجد، أم يجب الذهاب إلى حيث يوجد حجر للصلاة عليه؟

فقال سماحته: لا يجب اختيار مكان يوجد فيه حجر (٢).

وأفتى أيضاً بأن استعمال التربة في حالة التقية في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله حرام، والصلاة في هذه الصورة لا تخلو من إشكال (٣).

وأيضاً أفتى سماحته بجواز الصلاة خلف أئمة أهل السنة، وبكفاية كل صلاة صلّاها في المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف جماعة، ولا يحتاج المكلف الذي صلى صلاته هذه إلى إعادتها بعد ذلك، فقد سئل: هل يجب على من يصلي الصبح جماعة مع المسلمين أن يعيدها بعد أن تضيء السماء أم تكفي تلك الصلاة؟

فأجاب السيد الإمام قدس سره: الصلاة في الفرض المذكور جماعة صحيحة ولا إعادة (٤).

١- انظر مناسك الحج: ٢٧٨، المسألة ٢٢.

٢- المصدر نفسه: السؤال الأول.

٣- انظر آراء المراجع في الحج: ٤٣٢.

٤- انظر مناسك الحج: ٢٧٩، المسألة التاسعة.

ص: ١١٩

التقيّة في الموضوعات

على المكلف أن يجد موضوعات للأحكام التي هي محل ابتلائه، فهذا من مسؤولياته، فلا تقليد في الموضوعات، إذن فعليه أن يبحث عن موضوع الحكم بنفسه، وله أن يستعين ببعض الطرق التي جعلها الشارع كالإخبار من عدلين...

يوم عرفة:

وقوف عرفات من الموضوعات التي هي بعهدة المكلف نفسه، فهل يجوز له - وهو يعلم أن هذا اليوم هو اليوم الثامن من ذي الحجة - أن يقف هذا اليوم بعرفات..؟

يقول السيد الحكيم: ... ومن ذلك تعرف أجزاء الحج إذاوقف تقيّة مع المخالفين، ولم يقف في اليوم التاسع من دون فرق بين صورتى العلم بالمخالفة للواقع وعدمه (١).

هذا وأن مسألة ثبوت الهلال من المسائل المهمة والمختلف فيها، فقد ثبت في بلد ولا يثبت في آخر، وقد تسبب احراجاً ومشاكل وأذى للحاج نفسه وأخرى لغيره وللغة التي ينتمى إليها، ففي هذه الحالة اتكأ جمع من الفقهاء على قاعدة التقيّة، وأفتى بمتابعة إخوانه من الفرق الإسلامية الأخرى في أداء مناسك الحج؛ حفظاً لوحدهم ودرءاً لما تسببه المخالفة من آثار سيئة وعسر وخرج...

يقول السيد الامام الخميني قدس سره: لو ثبت هلال ذي الحجة عند القاضي من العامة وحكم به ولم يثبت عندنا، فإن أمكن العمل على طبق المذهب بلا تقيّة وخوف وجب، وإلّا وجبت التبعيّة عنهم، وصحّ الحج لو لم تتبين المخالفة للواقع، بل لا تبعد الصحة مع العلم بالمخالفة، ولا تجوز المخالفة، بل في صحة الحج مع مخالفة التقيّة إشكال... وأضاف في موقع آخر أنه لا يمكن العلم بالمخالفة لتباين الآفاق...

ص: ١٢٠

وإن كان الاختلاف بيومين كما ورد في جوابه عن سؤال وجهه لسماحته (١).

وقد لا يكون هناك خوف، وإنما هناك أمر آخر وهو حفظ وحدة المسلمين، والابتعاد من أي شيء يكون من شأنه إيجاد الفرقة، أو توجيه أصابع الاتهام للإمامية بشق الصف وما يستتبع هذا من إهانة... وهنا أيضاً تأتي التقيّة لحفظ الكيان الواحد...

يقول الشيخ اللكراني وهو أحد كبار طلبه الإمام الخميني قدس سره، ومرجع من مراجع التقليد: لا بدّ وأن يعلم أنه ربما لا يكون في البين خوف شخصي وخطر متوجه إلى الشخص نفساً أو غيرها، بل يكون في البين هتك حرمة الشيعة وانحطاط شأنهم، وجعلهم في معرض التهمة ومظنة السوء، كما إذا كانوا مجتمعين في الحج والوقوف - كما في هذه الأزمنة - فإنه لا بدّ في هذه الصورة من حفظ مقامهم، لئلا يقعوا في معرض الاتهام، وينظر الناس إليهم بعين الابتعاد عن الإسلام والالتزام بشؤونهم، فلا يجوز التخلف عنهم في الوقوف ونحوه، وإن لم يكن تقيّة ولا خوف في البين أصلاً.

ثم يعقب قائلاً: وكيف كان، ففي صورة التقيّة ومثلها، تجب المتابعة عنهم ورعاية شؤون التقيّة، ولا شبهة في هذه الجهة من حيث الحكم التكليفي (٢).

هذا إضافة إلى ما ذكرنا سابقاً من روايات متواترة، بل فوق حدّ التواتر في مشروعية التقيّة ولزوم رعايتها، وعدم جواز مخالفتها.

وختاماً

لا بدّ من القول: لقد صدرت دعوات التقارب بين المذهب الشيعي والمذاهب الإسلامية الأخرى، عن عدد من كبار فقهاء الإمامية بدءاً بالشيخ

١- تحرير الوسيلة ١: ٤٤١، وانظر آراء المراجع في الحج: ٤٣٢، ومناسك الحج المحشي.

٢- انظر كتاب الحج للشيخ اللكراني.

ص: ١٢١

المفيد، الذي راح يدرّس فقه المذاهب الإسلاميّة الأخرى إلى جانب الفقه الجعفري في بغداد، وظلّ مرجعاً للسنة والشيعة، ومروراً بالشيخ الطوسي وكتابه «الخلافة» الذي تضمّن فتاوى المذاهب الإسلاميّة المختلفة مشيراً فيه إلى مواطن الاتفاق والاختلاف بين المذاهب، حتّى نصل إلى السيّد البروجردي الذي كان له في الدعوة إلى الوحدة بين المسلمين دور كبير وبارز، ويشهد له موقفه من دار التقريب بين المذاهب في القاهرة. وكان يتعرّض في دروسه إلى وجهات نظر تلك المذاهب.

والإمام الخميني هو الآخر الذي دعا المسلمين جميعاً إلى الوحدة والتلاحم حول محور الإسلام، وكان همّه الرئيس هو التقريب بين أبناء المسلمين وتمتين العلاقات بينهم بغضّ النظر عن مذاهبهم، فراح يدعو وكثير من فقهاء الإمامية أتباعهم إلى أن يشاركوا في صلاة الجمعة والجماعة لأهل السنة خصوصاً في الأماكن المقدّسة في مكّة والمدينة، مراعاةً للوحدة، التي هي إحدى أهداف قاعدة التقيّة، التي نحن بصددّها، وأن يتبعوهم في تحديد أوّل الشهر والوقوف في عرفات والمشعر ومناسك منى، كما أفتوا بصحّة جميع عباداتهم التي يخالفون في بعض أجزائها وشروطها فتاوى الفقهاء الشيعة ولا ضرورة لإعادتها. ففقهاء الشيعة أصحاب نداء تقريبي توحيدى هدفه الإسلام والسلام والوثام بين أتباع المذاهب الإسلاميّة، وليغلّقوا بهذا باب الاختلاف، الذي قد يفضي في بعض مواقفه إلى النزاع والافتتال. بل تجاوز الإمام هذا إلى دعوة أتباع الديانات الأخرى الإبراهيميّة ومستضعفى العالم إلى وحدة الموقف في قضاياهم وأمورهم الدينيّة والسياسيّة.

ص: ١٢٢

شخصيات من الحرمين الشريفين (١٤)

أبو طالب مأوى الرسول و الرسالة

حسن الحاج

بنو هاشم:

فى وادٍ تُحيط به الجبال، وتحفّ به التلال، وفى مجتمع ظلّت الجاهلية بتقاليدها تنخر فيه... نشأت قبيلة بنى هاشم من نسل إبراهيم الخليل عليه السلام، وراحت من بين ثلاث وعشرين قبيلة شكّلت قريشاً، تقف بكلّ شموخ وإباء؛ لتؤدى دورها التوحيدى ولتسطرّ أروع الصفحات وأجملها، وأفضل المواقف وأحسنها، فى تاريخ الإنسانية على الإطلاق... بما حملته من أخلاق عالية، وصفات محمودّة، وخصال نادرة، ومواقف فريدة، تميّزت بها على أقرانها قبائل ورجالاً ونساء...

فبنو هاشم، سادة قريش بل سادة الدنيا، فهم كما وصفهم الجاحظ: «ملح الأرض، وزينة الدنيا، وحلى العالم، والسنام الأضخم، والكاهل الأعظم، ولباب كلّ كريم، وسرّ كلّ عنصر شريف، والطينة البيضاء، والمغرس المبارك، والنصاب الوثيق، والمعدن الفهم، وينبوع العلم...» (١).

فقد كان منهم رسول الله صلى الله عليه و آله، الذى ولد على رمال مكّة، أكرم خلق الله تعالى

١- انظر شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد عن زهرة الآداب للجاحظ: ٥٩.

ص: ١٢٣

على الإطلاق وأفضلهم وأشرفهم وأعظمهم من الأولين والآخرين، فبه بزغ نور سرعان ما انتشر في الآفاق، حتى أضاءت له مشارق الأرض ومغاربها، فعدت الدنيا تيرةً بآيات الله تعالى، التي حملها، رحمةً للعالمين - داعياً إلى الله، بشيراً ونذيراً - شاخصاً بالعز والشموخ، نابضاً بالحياة، التي عدت تضحج بين جنبات ذلك المجتمع السادر في غيّه وشركه، الضال عن الصراط، الغارق في آلامه ومشاكله، وعدوانيته وغزواته، وظلمه وطغيانه، ولهوه وترفه... فوردت كل مفاصله ونواحيها؛ لتقلبه رأساً على عقب، وتخلق منه أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وزخرت بعطاء دائم وخير عميم، ما انفكت الأجيال المتعاقبة تنتفع منه وتقتطف ثماره ما دام ليل وبقي نهار، لا يعرف النضوب أبداً، ولا يحده شيء، ولا ينتهي بأمد، ظلّ معينها يتجدد وعطاؤها يتسع، وكيف لا يكون كذلك وهو عطاء السماء، الذي من الله به على رسوله صلى الله عليه وآله؛ لتباركه على يديه، فيضج كل ما بذره، ويدوم طويلاً، ويخلد ما شاء الله له الخلود والبقاء...

أبو طالب والنور اليتيم:

هذا النور العظيم اليتيم منذ ولادته، راحت قلوب طيبة تحتضنه، وأيدٍ مباركة ترعاه، يد جدّه عبدالمطلب الذي تشرفت برعايته واحتضانه، ثم كانت يد عمّه (أبو طالب) شيبه بنى هاشم، شيخ قريش وزعيمها، وسيد قومه، الذي انطوت نفسه على خصال كريمة كلّها شموخ وإباء وشهامة وعزّة...

فكان الكافل المدافع الذاب عن رسول الله صلى الله عليه وآله، والذي أحاطه بعناية عظيمة ورعاية قلّ نظيرها، خاصة إذا عرفنا مكانته في قبائل قريش وبين زعمائها، وما سببه ذلك من إحراج له، وضيق وأذى... ومع هذا كلّ، فقد صبر أيما صبر دفاعاً عن محمّد ورسالته، حتى أن قريشاً لم تكن قادرةً على أذى رسول الله صلى الله عليه وآله مع عظيم رغبتها في ذلك، وكانت تتحين الفرص للإيقاع به، لكنها لم تستطع حتى توفي أبو

ص: ١٢٤

طالب، فراحت تكيد له...

يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «والله ما نالت قريش مني شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب». ولم يهاجر إلى المدينة، إلا بعد وفاة عمه رضوان الله عليه.

*** فالحديث عن «أبو طالب» حديث عن الصمود والإباء، حديث عن الإيمان الواعي، والموقف الحكيم ونكران الذات، حديث عن الظلامة التي تلاحقه، وما زالت إلى يومنا هذا.

ولا يضر ولا يفتر في موقفه ما يقال هنا وهناك، من أن أبا طالب لم يكن مؤمناً وقد مات كافراً، إنه نتيجة من نتائج الصراع والنزاع الطويل والعميق في تاريخ كلا الأسرتين: أسرة الخير والعطاء أسرة بنى هاشم، وأسرة بنى أمية المعروفة بالكيد والشر، وتاريخ الأسرتين واضح بين لمن أراد الاطلاع عليه، إنه نزاع بين الخير والشر، بين الفضيلة والرديلة، بين المعروف والمنكر، وقد تمخض هذا الاختلاف، بل الصراع عن أمور كثيرة، كان منها إتهام شيخ الأسرة وعميدها، بل عميد قريش وزعيمها وحليمها وحكيمها بالكفر، مع تاريخه الناصع، وذبه العنيد عن الرسالة والرسول وموقفه الجليل، التي ملأت عصر الرسالة الأول عصر التأسيس قوة وثباتاً.

لقد حفل تاريخ الرسالة في صدر الإسلام بمواقف عظيمة وأقوال جليئة لشيخ قريش وسيدها بلا منازع، أثرت أثرها وتركت بصماتها على مسيرة الرسالة، فقد راحت موقفه تتصدر أولى مراحل الرسالة، تضحيةً وصبراً وثباتاً، وبما تحمله بين طياتها من آلام ومأساة تعرض لها شيخ قريش وسيدها، فكان الملاذ الأول لرسول الله صلى الله عليه وآله وكان الحصن الأول لدعوة السماء، حيث كانت الدعوة تأخذ مسارها بفضل ما قتيضه الله لها من رجال يحمونها ويضحون في سبيلها وكان أبو طالب أولهم، فحمايته لابن أخيه رسول الله صلى الله عليه وآله، والدفاع عنه وعن رسالته، أمر لا

ص: ١٢٥

يرتاب فيه أحد، ولا ينكره منكر، وهذا ما يراه كل باحث في حوادث العصر الأول للإسلام، وما سنلخصه في مقالتنا هذه.
اسمه:

اختلفت الأقوال في اسمه: فقول ذهب إلى أن اسمه هو كنيته «أبو طالب»، وقول ذهب إلى أن اسمه «عمران»، وقول ثالث: ذهب إلى أن اسمه «شيبه» وقول أخير، ويبدو أنه الأصح، ذهب إلى أن اسمه «عبدمناف»، وقد استدلت أصحاب هذا القول بقول أبيه عبدالمطلب وهو يوصيه بحفيده يتيم بنى هاشم رسول الله صلى الله عليه وآله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله: أوصيك يا عبد مناف بعدي بواجد بعد أبيه فرد وقال أيضاً:

وصيت من كنيته بطالب عبد مناف وهو ذو تجارب

بابن الحبيب أكرم الأقارب بابن الذي قد غاب غير آتب (١)

اللقابه:

هذا في اسمه، وأما ألقابه فكثيرة، منها: شيخ الأبطح، سيد البطحاء، رئيس مكة، بيضة البلد.
كنيته:

وأما كنيته فهي: «أبو طالب» وبها اشتهر حتى طغت على أسمائه.

إذن فهو أبو طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف بن قصي بن كلاب ابن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة،

١- انظر الاحتجاج للطبرسي ١: ٣٤١، وفي رحاب الأئمة الاثنى عشر لمحسن الأمين.

ص: ١٢٦

ابن مذكاة ابن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

ونحن إذ نقف على عدنان؛ لأنّ المُشتغلين بالأنساب اتفقوا على هذا النسب حتى عدنان، واختلفوا في عدد أجداده بعد عدنان حتى نبى الله اسماعيل. فقيل أربعة أجداد بين عدنان واسماعيل، وقيل سبعة، فيما ذهب فريق ثالث إلى أربعين أباً.

ولأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان إذا انتسب يقف على عدنان ولا يتجاوز، ويقول:

كذب النسابون، قال الله تعالى: وقروناً بين ذلك كثيراً (١)

صفاته:

عُرف أبو طالب بحكمته وحلمه وشجاعته الفذة، وشاعريته المستوقدة، التي إن لم يوقفها كلّها على خدمته وتأييد رسول الله صلى الله عليه وآله والدعوة إلى ما جاء به من الحق، فقد أوقف أكثرها من أجل ذلك، وكان وسيماً، جسيماً، عليه بهاء الملوكة، وقار الحكمه، وكانت قريش تسميه الشيخ، وكانوا يهابونه ويخافون سطوته، ويسمونه ببيضه البلد، ويلقبونه بشيخ الأبطح... (٢) قيل لأنكم

بن صيفى حكيم العرب: ممّن تعلمت الحكمه والرياسة، والحلم والسيادة؟

قال: من حليف الحلم والأدب، سيد العجم والعرب، أبو طالب بن عبدالمطلب.

وجرى ذات يوم كلام خشن بين معاوية وصعصعة وابن الكواء.

فقال معاوية: لولا أنّى أرجع إلى قول أبى طالب لقتلتكم وهو:

قابلت جهلهم حلماً ومغفرة والعفو عن قدره ضرب من الكرم

أبوه:

غنى عن التعريف، ولكنّ المقام يدفعنا إلى ذكر شىء من حياته ومناقبه، فهو عبد المطلب، شبيه الحمد، أمير مكة وشريفها، كان سيد قومه بلا- منازع، ومفزع قريش فى نوائبها، وملجأها، وكيف لا يكون كذلك، وهو حكيمها وحليمها وزعيمها... وكان موخّداً لم يعبد صنماً قط، وصاحب الأخلاق العالیه، التي خلقت منه إنساناً ذا مهابة وقار وهيبه وميل إلى الدين والنسك والكرم حتى سمى بمطعم الطير... وهو الذى قام بحفر ماء زمزم، التي تفجرت تحت قدمى جدّه اسماعيل من قبل، بعد أن غاب أثرها، ولم يهتد إليها أحد حتى هتف هاتف فى منامه، فراح يحفر حتى اهتدى إليها، مستعيناً بابنه الحارث، وحيداً يومذاك. كما كان صاحب الشرائع الفاضله، فهو الذى سنّ السنن التالية:

الوفاء بالنذر، قطع يد السارق، النهى عن قتل المؤودة، تحريم الخمر، تحريم الزنا، المنع من نكاح المحارم، حظر طواف العراء بالبيت الحرام، وهى سنّة كان يعمل بها عند بعض قبائل الجاهلية...

وكلها نالت قبول الإسلام وأمضاها، هذا إضافة إلى ما امتاز به من خصال فريده، وصفات جليله، راح يهذب أولاده ومن حوله على التحلى والالتزام بها.

ونكتفى هنا بذكر موقف عظيم له، يدل على عمق إيمانه وصدق توجهه نحو الله تعالى واليوم الآخر، وهو ما دار بينه وبين أحد طغاة عصره وهو ابرهه الحبشى:

فقد كانت لعبد المطلب ولاية البيت الحرام من السقاية والرفادة... فخذل الله على يديه ابرهه الحبشى وجنده، الذين جاؤوا لهدم الكعبة، وصرف الحاج عنها إلى بيت بناه فى اليمن، ليكون بديلاً عن الكعبة، ويجنى من عمله هذا مصالح ومنافع كثيرة... ولما التقى ابرهه بعبد المطلب، كان كلّ همّه أن يستميله إلى جانبه، وأن يجعل منه أداة لتحقيق ما جاء من أجله، إلا أنه- مع كل ما قدّمه أو توعدّه به- لم يجد منه إلا الرفض، وإلا الثقة العالیه بالله تعالى، مكتفياً بأن يردّ إليه إبله وشويهاته

-
- ١- انظر ابن عباس، فى تاريخ ابن عساكر، والطبقات لابن سعد...
 - ٢- انظر الاحتجاج للطبرسى ٢: ٣٤٢.

ص: ١٢٨

التي أخذها جنده. ممّا جعل ابرهه يسخر منه ويستخفّ به قائلاً:

كنت في نفسى كبيراً، وسمعت أنّك وجيه في قومك، فلما سألتك عن حاجتك، وذكرت الإبل والشيء، ونسيت بلدك وأهلك وبيتك المقدّس، سقطت من عيني.

فكان جواب عبد المطلب مملوءاً حكمهً وتسليماً مطلقاً إلى الله تعالى، وهو أمر لا يدركه إلّا من امتحن الله قلبه بالإيمان.

إنّها كلمات ما أقلّها، وما أعظمها!

«الإبل لى، ولليت ربّ يحميه».

فقال ابرهه: ما كان ليمنع منى.

فقال عبد المطلب: أنت وذلك، وصعد على الجبل، متضرّعاً، وهو ينشد:

يا ربّ عادٍ من عاداك وامنعهموا أن يهدموا حماك

ولم يكتف بهذا، بل راح يستحثّ قومه على ترك مكّة، واللجوء إلى الجبل، خشيةً بطش ابرهه وجيشه، ثم طلب منهم التوجّه إلى الله

بالدعاء وهو يرى أن لا قدرة لقومه على ردع ابرهه وجيشه إلّا بسلاح الدعاء... فحلّت الكارثة بإبرهه وجنده، وهو ما تكفّلت بيانه

سورة مباركة سميت بسورة الفيل عبر آياتها الخمس، فراحت تحكى ما حلّ بهذا الطاغية ومن معه... (١) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ

بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ

*** فى هكذا بيت يكتنفه التوحيد، ونبل الصفات، وجميل الخصال... ولد أبو طالب قبل ولادة رسول الله صلى الله عليه وآله بخمس

وثلاثين سنة، فاتصف بكل صفاته ومناقبه

ص: ١٢٩

فكان سيد بنى هاشم فى الجاهلية بل سيد قريش، فى وقت لا ينال أحد السيادة هذه بلا مال إلا أبو طالب. وترعرع ونشأ فى حجر زعيم هذا البيت وسيدته. فى هكذا أسرة وفى هكذا جو مفعم بالخير والعطاء والحكمة والشجاعة والتسليم المطلق إلى الله تعالى، شب أبو طالب وقد انصهرت فى نفسه شمائل هذه الأسرة المباركة، التى عرفت بتاريخها الحافل وأمجادها العظيمة، فجده هاشم هو الذى أسس الإيلاف لإيلاف قريش * إيلافهم رحمة الشتاء والصيف فهو الذى أنشأ هاتين الرحلتين، اللتين درتا بخيرات عظيمة على قريش، ومنافع كبيرة، وهو الذى نادى بالعدالة وحب الناس ورفع الظلم عنهم، ومن قبله جدّهم قصى ابن كلاب، الذى كان له الدور الكبير فى تنظيم المجتمع المكي، وجمع شتات قريش وشملها حتى سمى «مجمعاً».

وأبو طالب نفسه هو الذى سنّ القسامة (الأيمان) فى الجاهلية، وكانت أولاً فى دم عمر بن علقمة، ثم استمرت، وأمضتها الشريعة الإسلامية فيما بعد. كما كانت له السقاية بعد أبيه، بل كان شريكاً له فى خصائصه وأعماله. إذن فهى أسرة مشاريع كلها خير وعطاء، وهو وليد أسرة هاشمية مباركة، راحت بركاتها تعم الخافقين!.
أمه:

كانت لعبد المطلب زوجات خمس، وكان له منهنّ عشرة ذكور وست نساء، فأمّ عبد الله والذ النبيّ صلى الله عليه وآله، وأبى طالب والذ الإمام عليّ عليه السلام، والزبير، وجميع النساء غير صفيّة، كانت فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مّرة ابن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر.

فأبو طالب يلتقى مع رسول الله صلى الله عليه وآله من الام بجدّهم مّرة، فأمّ رسول الله صلى الله عليه وآله هى آمنه بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مّرة بن كعب بن لؤى بن غالب

ص: ١٣٠

ابن فهر بن مالك بن النضر.

قال ابن هشام: فرسول الله صلى الله عليه وآله أشرف ولد آدم حسباً، وأفضلهم نسباً من قبل أبيه وأمه (١). وما من شك أن هذه الأشرافية والأفضلية تشمل أبا طالب أيضاً.

زوجته:

إن الكلام عن «أبو طالب» يجزنا إلى الكلام عن زوجته الفاضلة الوحيدة (٢)، ابنة عمه، وهي أول هاشمية تزوجها هاشمي، وعلى بن أبي طالب يعدّ واخوته هاشميين أباً وأماً، فقد تعود بنو هاشم أن يصهروا إلى أسر أخرى.

لقد كانت هذه المرأة الجليدة ذات منزلة رفيعة جعلتها من اللاتي امتازت حياتهن بمواقف عظيمة في حركة الأنبياء ومسيرتهم عبر التاريخ، فقد أثنى عليها رسول الله صلى الله عليه وآله لاهتمامها به ورعايتها له طيلة سبعة عشر عاماً، مما جعله شاكراً لها ولمعروفها معه، حتى كان يدعوها «أُمِّي بعد أُمِّي التي ولدتنى» فقد كانت تفضله على أولادها الأربعة.

حظيت هذه السيدة والمرأة المؤمنة الطاهرة بمكانة عظيمة في قلب رسول الله صلى الله عليه وآله، وتركت في نفسه آثاراً طيبة، راح يذكرها طيلة حياته، ويترحم عليها، ويدعو لها... تقول الرواية:

لما ماتت فاطمة بنت أسد أم عليّ - وكانت قد أوصت لرسول الله صلى الله عليه وآله وقبيل وصيتها - ألبسها النبي صلى الله عليه وآله قميصه، واضطجع معها في قبرها، فقالوا: ما رأيناك يا رسول الله صنعت هذا!

فقال: «إنه لم يكن أحد بعد أبي طالب أبرّ بى منها، إنما ألبستها قميصي؛ لتكسى من حلل الجنة، واضطجعت معها؛ ليُهَوَّن عليها».

١- السيرة النبوية لابن هشام ١: ١١٠.

٢- قيل: إن له زوجة أخرى تُدعى «عَلَّة» ولدت له «طليق».

ص: ١٣١

وفي دعاء خاص لها، قال: «اللهم اغفر لأمي فاطمة بنت أسد، ولقنها حجتها، ووسع عليها مدخلها». وخرج صلى الله عليه وآله من قبرها وعيناه تذرغان دموعهما وكان هذا في السنة الرابعة من الهجرة النبوية.

لقد كانت رضوان الله عليها لرسول الله صلى الله عليه وآله طيلة سبعة عشر عاماً قضتها معه بمنزلة الام، بل كانت أمّاً بكلّ ما تعنيه هذه الكلمة من معنى، وقد كانت بازةً برسول الله صلى الله عليه وآله «لم يكن بعد أبي طالب أبّ بي منها» فحنانها وشفقتها ورعايتها له، بلغت مبلغاً عظيماً حتى فاقت رعايتها لأبنائها، وكأنّها تعلم أنّ له مكانة عظيمة وشأناً جميلاً، تقول بعض الروايات كان أولادها يصبحون شعناً رمصاً، ويصبح رسول الله صلى الله عليه وآله كحليلاً دهنياً.

هذا في مداراتها لرسول الله صلى الله عليه وآله وحبها له. أمّا في إيمانها، فقد كانت بدرجة عظيمة، ومن السابقات إلى الإسلام بعد عشرة من المسلمين، ومن المهاجرات الأول إلى المدينة، ثم هي بعد هذا بدرية وهي كرامه عظيمة لها (١).

بدأ أبو طالب حياته مع هذه السيدة الهاشمية المباركة بخطبته التي قال فيها:

«الحمد لله رب العالمين، ربّ العرش العظيم، والمقام الكريم، والمشعر والحطيم، الذي اصطفانا أعلاماً وسادةً، وعرفاء خالصاً وقادةً، وحجّة بهاليل، أطهاراً من الخنا والريب، والأذى والعيب، وأقام لنا المشاعر، وفصّلنا على العشائر، نخب إبراهيم وصفوته، وزرع إسماعيل، وقد تزوجت فاطمة بنت أسد، وسقت المهر، وأنفدت الأمر، فاسألوه واشهدوا».

فقال أسد: زوجناك ورضينا بك.

وأولم أبو طالب سبعة أيام متواليه، ينحر فيها الجزر، وفي ذلك يقول أمية بن السلط:

١- انظر في هذا وغيره مقالتنا في ميقات الحج ١٤.

ص: ١٣٢

أغمزنا عرس أبي طالب وكان عرساً لين الجانب
إقراؤه الضيف بأقطارها من رجل خفّ ومن راكب
فنازلوه سبعة أحصيت أيامها للرجل الحاسب
أولاده:

كان لأبي طالب من الأولاد الذكور أربعة، أكبرهم طالب ثم عقيل، ثم جعفر ثم عليّ، وكلّ واحد أكبر من الذي بعده عشر سنوات، وكان عليّ أصغر أولاده.

ومن الإناث: أمّ هاني. وكلّهم من فاطمة بنت أسد، التي لم يتزوج غيرها.

أبو طالب ورسول الله صلى الله عليه وآله:

بعد هذا الاستعراض السريع، نعود إلى علاقته برسول الله صلى الله عليه وآله كفالاً وحبّاً ودفاعاً وإيماناً بما جاء به؛ أمانة السماء التي حملها رسول الله صلى الله عليه وآله بشيراً ونذيراً، ورحمةً للعالمين.

فإنّه يحسّ بشرف!

لقد تكفّل جدّه عبد المطلب محمداً تربيته وتنشئته... وحفظه ورأف به رأفةً لم يرأفها بأولاده أبداً. فقد كان عبد المطلب لا يأكل طعاماً إلّا أحضره معه وشركه فيه... وليس هذا فقط، بل كان يقربه ويدنيه إلى مجالسه العامة والخاصة؛ لأنّه كان يستبشر به خيراً كثيراً، فكان لعبد المطلب مجلس خاص به في حجر إسماعيل، وهو مكان تعود العرب أن لا يجلس فيه إلّا زعمائهم وأشرفهم وكبرائهم دون غيرهم من الناس مهما كانت منزلتهم وعلت مكانتهم، فهذا المكان كان خاصاً بأولئك الأشراف.

قال عطاء: سمعت ابن عتّاس يقول: سمعت أبي يقول: كان عبد المطلب أطول الناس قامه، وأحسن الناس وجهاً، ما رآه قط شيء إلّا أحبّه، وكان له مفرش في

ص: ١٣٣

الحجر لا يجلس عليه غيره، ولا يجلس معه عليه أحد، وكان الندى من قريش حرب بن أمية فمن دونه يجلسون دون المفرش. فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وهو غلام يدرج؛ ليجلس على المفرش، ف جذبوه فبكى.

فقال عبد المطلب، وذلك بعدما حجب بصره؛ ما لابنى يبكى؟!

قالوا له: إنه أراد أن يجلس على المفرش فمنعوه.

فقال عبد المطلب: دعوا ابني، فإنه يحسن بشرف، أرجو أن يبلغ من الشرف ما لم يبلغ عربى قط (١).

الكفالة المباركة:

كان عبد المطلب يرى فى ابنه «أبو طالب»- الذى حظى بوراثته جميع مناقبه- الشخصية اللائقة بما تملكه من صفات رفيعة وخصال جلية، بكفالة يتيم بنى هاشم، سيد الكائنات محمد بن عبد الله، الذى كان يترقب- كما ذكرنا- فيه شرفاً عظيماً وأمراً كبيراً ومستقبلاً باهراً لا يخلو من مخاطر وعقبات وآلام قد يتعرض لها فى مسيرته، وهو ما يلمسه كل قارئ لوصيته، التى أودعها ابنه البار أبو طالب، الذى رآه من دون الآخرين من بنى هاشم وغيرهم، جديراً بحمل هذه الأمانة، وهى أمانة ليست سهلة بما تحمله من آثار كبيرة ومشاكل جمة، قد يتعرض لها أبو طالب أيضاً، لهذا نرى عبد المطلب قد اختاره من دون اخوته الآخرين لهذه المسؤولية، فما إن نزل به المرض حتى نادى أبو طالب، وراح يعهد إليه كفالة حبيبه محمد، ويوصيه بقوله:

«انظر يا أبو طالب، أن تكون لهذا الوحيد، الذى لم يشم رائحة أبيه، ولم يذق شفقة أمه، انظر أن يكون منك بمنزلة كبدك، فإننى قد تركت بنى كلهم، وخصصتك به...»

١- انظر حجر اسماعيل فى تاريخ الأزرقي والفاكهى وغيرهما.

ص: ١٣٤

وفى قول آخر: يا أبا طالب إننى قد عرفت ديانتك وأمانتك، فكن له كما كنت له.

وفى قول ثالث: يا بنى قد علمت شدة حبى لمحمد ووجدى به، انظر كيف تحفظنى فيه.

ثم قال: «إن استطعت أن تتبعه فافعل، وانصره بلسانك ويدك ومالك، فإنه، والله سيسودكم، ويملك ما لم يملك أحد من آبائى».

ثم راح يصوب ناظره إلى وجه أبى طالب، كأنه يريد أن يستطلع ما يدور فى خلجات نفسه وردودها فيقول:

هل قبلت يا أبا طالب؟

فيجيبه قائلاً: قد قبلت، والله على ذلك شهيد.

ثم يضع يده بيد ابنه ويشد بقوة عليها، قائلاً: الآن خُف على الموت، وراح يغمض عينيه بهدوء، ويرحل هناك إلى حيث الدار الآخرة

بقلب راضٍ ونفس مطمئن، عن عمر ناهز مئة وعشرين عاماً.

فكان أبو طالب يؤثره بالنفقة والكسوة على نفسه وعلى جميع أهله، ويغدق عليه محبته وعطفه وحنانه، يقول ابن سعد فى طبقاته:

كان أبو طالب لا مال له، وكان يحب محمداً حباً شديداً لا يحبّه ولده، وكان لا ينام إلّا إلى جنبه، ويخرج فيخرجه معه، وصبّ به أبو

طالب صبابةً لم يصب بشىء مثلها قط، وكان يخصه بالطعام... (١) ثم واصل ابن سعد قوله:

وشبّ رسول الله صلى الله عليه وآله مع أبى طالب يكلؤه ويحفظه، ويحوطه من أمور الجاهلية ومصائبها (٢).

١- الاحتجاج ١: ٣٤٣.

٢- طبقات ابن سعد ١: ١١٩-١٢١.

ص: ١٣٥

وصحبه!

وقد صحبه إلى حرب الفجار، وكان غلاماً عمره أربعة عشر عاماً، وقد انتصرت فيها هوازن حليفه أبي طالب على كنانة بيمن محمد صلى الله عليه وآله، وفي خبر آخر... فإذا جاء أبو طالب هُزمت قيس، وإذا لم يجيء هُزمت كنانة، فقالوا لأبي طالب: لا أبا لك! لا تغب عنا. ففعل (١).

وصحبه في الاستسقاء لقومه داعياً ربّه أن يكشف عنهم القحط، وهنا بسط محمد كفيه، ودعا مع عمّه، فإذا الغيث ينهمر من السماء وافيةً كافيةً.

ذكر ابن عساكر من أن أهل مكة قحطوا، فخرج أبو طالب ومعه غلام كأنه شمس تجلت، فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكعبة، ولاذ الغلام باصبغه، وأوماً نحو السماء، فأقبل السحاب من هنا وهناك، وأغدق وأخصبت الأرض. وهنا أنشأ أبو طالب يقول:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

تلوذ به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل

وصحبه في رحلته إلى ذى المجاز، وفيها عطش أبو طالب حتى كادت حرارة العطش تلتهم كبده، فما كان من محمد إلا أن مدّ يده إلى صخرة شامخة، فإذا بالماء يتدفق منها عذبةً فراتاً.

وصحبه ليخطب له خديجة بنت خويلد الأسدی، المعروفة بشرفها وعفتها ومالها، فقد كانت تستأجر الرجال في تجارتها، وقد حظيت أخيراً برسول الله صلى الله عليه وآله ليخرج في تجارتها إلى الشام وهو ابن خمس وعشرين سنة مع

ص: ١٣٦

غلامها ميسرة، فباع بضاعتها بأضعاف ما كانت خديجة تربحه، فسرت بهذا كثيراً، وحدثت نفسها بالزواج منه... فابتدأ أبو طالب خطبتها بأن قال: الحمد لرب هذا البيت، الذي جعلنا من زرع إبراهيم، وذرية إسماعيل، وأنزلنا حرماً آمناً، وجعلنا الحكام على الناس، وبارك لنا في بلدنا الذي نحن فيه...

ما أجمل كلامك يا أبا طالب و أعظمه!

ثم إن ابن أخي هذا- يعنى محمد بن عبدالله- ممن لا يوزن برجل من قريش، إلا رجح به، ولا يقاس به رجل إلا عظم عنه، ولا عدل له فى الخلق، وإن كان مقلماً فى المال، فإن المال رفق جارٍ وظل زائل!

وله فى خديجة رغبة، وقد جئناك (ويقصد به ورقة بن نوفل عمها) لنخطبها إليك برضاها وأمرها، والمهر على فى مالى، الذى سألتموه عاجله وآجله، وله ورب هذا البيت حظ عظيم ودين شائع ورأى كامل...

ثم سكت أبو طالب، وتكلم عمها وتلجلج أى تردد فى الكلام وقصر عن جواب أبى طالب، وأدركه القطع والبهر (النفس من الأعياء). وهنا قالت خديجة مبتدئة: يا عمّاه إنك وإن كنت أولى بنفسى منى فى الشهود، فلست أولى بى من نفسى، قد زوجتك يا محمد نفسى والمهر على فى مالى، فأمر عمك، فلينحر ناقه فليولم بها، وادخل على أهلك.

وهنا قال أبو طالب: اشهدوا عليها بقبولها محمداً وضماتها المهر فى مالها.

فقال بعض قريش: يا عجباه المهر على النساء للرجال! فغضب أبو طالب غضباً شديداً، وقام على قدميه، وكان ممن يهابه الرجال، ويكره غضبه، فقال: إذا كانوا مثل ابن أخى هذا، طلبت الرجال بأغلى الأثمان وأعظم المهر، وإذا كانوا أمثالكم، لم يزوجوا إلا بالمهر الغالى.

ونحر أبو طالب ناقه، ودخل رسول الله صلى الله عليه وآله بأهله...

ص: ١٣٧

إظهار الدين الجديد:

فى السنة الرابعة من البعثة النبوية المباركة، جاء أمر السماء محمداً أن يظهر دعوته ويجهر بها، فبادر رسول الله صلى الله عليه وآله عمه العباس قائلاً له:

إن الله تعالى أمرنى بإظهار أمرى، فما عندك؟

فقال له العباس: يا ابن أخى، تعلم أن قريشاً أشدَّ حسداً لوالدك، وإن كانت هذه الخصلة الطامة الطماء، والداهية العظمى، ورمينا عن قوس واحد، لكن قرب إلى عميك أبى طالب، فإنه أكبر أعمامك، إن لا ينصررك، لا يخذلك ولا يسلمك، فأتياه، فلما رآهما أبو طالب قال: ما جاء بكما فى هذا الوقت؟ فأخبره العباس بالحال، فنظر إليه أبو طالب وقال: يا ابن أخى إنك الرفيع كعباً، والمنيع حزباً، والأعلى أباً، والله لا يسلكك لسان، إلأسلقتة ألسن جداد، واحتدمته سيوف حداد، والله لتذلن لك العرب، ولقد كان أبى يقرأ الكتب جميعاً، ولقد قال: إن من صلبى لنبياً، لوددت أنى أدركت ذلك فأمنت به، فمن أدركه من ولدى فليؤمن به.

وأندر عشيرتك الأقربين (الشعراء: ٢١٤):

وفى تفسير هذه الآية، بعض من المفسرين ومن أصحاب السير أن النبى صلى الله عليه وآله لما قام ليدعو أسرته، عارضه أبو لهب، فقال أبو طالب: اسكت يا أعور! ما أنت وهذا؟ ثم قال للنبى صلى الله عليه وآله: قم يا سيدى وتكلم بما تحب، وبلغ رسالة ربك، فإنك الصادق الصديق (١).

* وفود قريش:

تعاقبت وفود قريش على أبى طالب، بعد أن أعلن رسول الله صلى الله عليه وآله رسالة السماء، فكان يواجهها بمواقفه المعروفة بالحكمة.

١- انظر غايه السؤل عن ابراهيم الحنبلى بأسانيد عديدة، وغيره من المصادر.

ص: ١٣٨

* وفد قريش الأول:

ومضى رسول الله صلى الله عليه وآله على أمر الله، مظهراً لأمره، لا يردّه عنه شيء. فلما رأت قريش أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لا يعاتبهم (أى لا- يرضيهم) من شيء، أنكروه عليه، من فراقهم وعيب آلهتهم، ورأوا أنّ عمّه أبا طالب قد خدّب عليه، وقام دونه، فلم يُسلمه لهم، مشى رجال من أشرف قريش إلى أبي طالب، عتبّه وشيئاً ابناً ربيعاً ابن عبد شمس...، وأبو سفيان بن حرب بن أمية... وأبو البختری، والأسود بن عبدالمطلب ابن أسد، وأبو جهل والوليد بن المغيرة وبنيه ومته ابنا الحجاج والعاص بن وائل... فقالوا وهم على كلمه واحدة لا غيرها: إنّ ابن أخيك قد سبّ آلهتنا، وعاب ديننا، وسفّه أحلامنا، وضللّ آباءنا، فإمّا أن تكفّه عنّا، وإمّا أن تخلّى بيننا وبينه، فإنّك على مثل ما نحن عليه من خلافه، فنكفيكه، فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً، وردّهم ردّاً جميلاً، فانصرفوا عنه.

* وفد قريش الثانى:

ثم إنهم مشوا إلى أبي طالب مرّة أخرى، فقالوا له: يا أبا طالب، إنّ لك سنّاً وشرفاً ومنزلةً فينا، وإنّا استنهيناك من ابن أخيك، فلم تنهه عنّا، وإنّا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا، حتى تكفّه عنّا، أو ننازله وإياك فى ذلك، حتى يهلك أحد الفريقين...

وفى خبر آخر أنّ قريشاً حين قالوا لأبى طالب هذه المقالة، بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال له: يا ابن أخى، إنّ قومك قد جاؤونى، فقالوا لى كذا وكذا، للذى كانوا قالوا له، فأبى على وعلى نفسك، ولا تحمّلنى من الأمر ما لا أطيق، فظنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قد بدا لعمّه فيه بداء، أنّه خاذله ومسلّمه، وأنّه قد ضعف عن نصرته والقيام معه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عمّ، والله لو وضعوا الشمس فى يمينى،

ص: ١٣٩

والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يُظهره الله، أو أهلك فيه، ما تركته، ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وآله، فبكى ثم قام، فلما ولى ناداه أبو طالب، فقال: أقبل يا ابن أخى، قال: فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: إذهب يا ابن أخى، فقل ما أحببت، فوالله، لا أسلمك لشيء أبداً.

* وفد قريش الثالث:

ثم إن قريشاً حين عرفوا أن أبا طالب أبى خذلان رسول الله صلى الله عليه وآله مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة، فقالوا له: يا أبا طالب، هذا عمارة بن الوليد، أنهد (أشد وأقوى) فتى فى قريش وأجمله، فخذ، فلك عقله ونصره، واتخذه ولداً فهو لك، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا، الذى قد خالف دينك ودين آبائك، وفرق جماعة قومك، وسفّه أحلامهم، فنقتله، فإنما هو رجل برجل، فقال: والله لبئس ما تسومونى (تكلفونى) أتعطونى ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابنى تقتلونه؛ هذا والله ما لا يكون أبداً... (١) أبو طالب والموقف القرشى:

وأخيراً- وبعد أن يئست وفودها- تيقنت قريش وزعمائها أن أبا طالب لا يسلم ابن أخيه ولا يخذله، بل سيمنع محمداً صلى الله عليه وآله و آله منهم بكل ما أوتى من قوة، وما دام فيه عرق ينبض، بل راحوا يلمسون ويرون نشاطه الواضح فى الترويج للرسالة الجديدة، ويحرض أهله على الإيمان بها والوقوف بجانب محمداً صلى الله عليه وآله ونصرته.

فتارة: يأمر ابنه جعفرًا بالصلاة، حيث رأى محمداً صلى الله عليه وآله يصلى، وإلى جانبه على عليه السلام، فيقول لجعفر: صل جناح ابن عمك (٢).

١- انظر السيرة النبوية ١: ٢٦٤-٢٦٨ فيها تفصيل كثير.

٢- انظر الإصباح ٧: ١١٢.

ص: ١٤٠

وأخرى: يقول لأخيه حمزة حينما أعلن إسلامه:

فصبراً أبا يعلى على دين أحمد وكن مظهراً للدين وفقت صابراً

وثالثة: يخاطب محمّداً صلى الله عليه وآله بعد وفود قريش له، تستعين به على إيقاف جهد محمّد ونشاطه في تسفيه أحلامهم

ومعتقداتهم، ثم دعوتهم إلى الإيمان بالله تعالى وحده. فيقول له:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا

أبو طالب والحصار في الشعب:

لما رأى أبو طالب أن قريشاً يئست في كلّ محاولاتها من الوصول إلى هدفها في استمالة إلى جانبها ضد محمّد صلى الله عليه وآله

ودعوته، وبالتالي منع الدعوة الجديدة من الانتشار والاتساع في المجتمع المكي وأطرافه وقبائله، بدأت تغير أساليبها لتقويض الدين

الجديد، فراحت تفكر بإيذاء الرسول صلى الله عليه وآله بل بقتله، فما كان من أبي طالب إلّا أن يأمر بني هاشم وبني المطلب أن

يدخلوا برسول الله صلى الله عليه وآله الشعب، ليمنع ما قد تقدم عليه قريش من أذى لرسول الله صلى الله عليه وآله... أو أنه دخل

ورسول الله صلى الله عليه وآله وجمع معه الشعب، ثم انحاز إليهم بنو هاشم والمطلب إلّا أبا لهب فقد خرج من بني هاشم وظاهر

قريشاً.

الصحيفة وما آلت إليه:

حيث إن قريشاً ما إن رأت هذه الخطة الجديدة من أبي طالب حتى استقرّ رأيها على كتابة عهد يوقعه الجميع، يتضمّن مقاطعه شاملة

سياسية واقتصادية واجتماعية لبني هاشم والمطلب، وأن يضيقوا عليهم ويمنعوهم من حضور الأسواق، وأن لا يبايعوهم ولا يناكحوهم،

ولا يقبلوا لهم صلحاً أبداً، ولا تأخذهم بهم رافئ حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وآله. وبعد أن كتبوا هذه الوثيقة، وتعاهدوا

وتواثقوا فيها في

ص: ١٤١

جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم، وكان كاتب هذه الصحيفة منصور بن عكرمة ابن عامر، ويُقال النضر بن الحارث، فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وآله فسلَّ بعض أصابعه.

وقال أبو طالب شعراً:

ألا أبلغا عنى على ذات بيننا لؤياً وخُصاً من لؤى بنى كعب
 ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً نبياً كموسى خُطَّ في أول الكتب؟
 وأن عليه فى العباد محبةً ولا خير ممّن خصّه الله بالحب
 وأن الذى ألصقتم من كتابكم لكم كائن نحساً كراغبه السقب
 أفيقوا أفيقوا قبل أن يحفر الثرى ويصبح من لم يجن ذنباً كذى الذنب
 ولا تتبعوا أمر الوشاة وتقطعوا أواصرنا بعد المودة والقرب
 فلسنا ورب البيت نسلم أحمداً لعزّاء (لشدة) من عضّ الزمان ولا كرب
 أليس أبونا هاشم شدّ أزره وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب
 ولسنا نملّ الحرب حتى تملّنا ولا نشتكى ما قد ينوب من النكب

ظل بنو هاشم والمطلب ومن معهم ثلاث سنين، وقول آخر، مكثوا سنتين فى الشعب، فترك هذا الحصار أثره عليهم، وأصابتهم ضائقة شديدة، حتى جهدوا حيث لا- يصل اليهم شىء إلا سراً، وكان دور أبى طالب وأمّ المؤمنين خديجة عظيماً فى تخفيف المعاناة هذه داخل الشعب، حيث كانا يدخلان المؤمن والأقوات إلى داخل الشعب خفيةً، حتى هتأ الله تعالى الأرضة فأكلت معاهدة قريش، وأوصى الله تعالى إلى رسوله بهذا، فأخبر عمّه أبا طالب: يا عمّ إن ربي الله قد سلط الأرضة على صحيفة قريش، فلم تدع فيها اسماً هو لله إلا أثبتته فيها، ونفت منه الظلم والقطيعة والبهتان.

فقال: أربك أخبرك بهذا؟

قال: نعم.

ص: ١٤٢

قال: فوالله ما يدخل عليك أحد.

فبادر أبو طالب إلى مجالس قريش وأنديتها، ليخبرهم بما آلت إليه وثيقتهم، وبما صنع الله تعالى في صحيفتهم، وأن الذي أخبره بذلك هو رسول الله صلى الله عليه وآله.

ووضعهم بهذا أمام امتحان واختبار حيث قال لهم: إن كان الحديث كما يقول ابن أخي، فأفيقوا، وإن لم ترجعوا، فوالله لا نسلّمه حتى نموت عن آخرنا، وإن كان الذي يقول باطلاً، دفعنا إليكم صاحبنا.

فقالوا: قد رضينا بما تقول، وتعاقدوا على ذلك، ثم فتحوا الصحيفة، فوجدوا الأمر كما أخبر به الصادق الأمين.

وعندما رأت قريش صدق ما جاء به أبو طالب، قالوا: هذا سحر ابن أخيك، وما زادهم ذلك إلا بغياً وعتواً وعدواناً...

فقال لهم أبو طالب: علام نجس ونحصر، وقد بان الأمر، وتبين أنكم أولى بالظلم والقسوة والإساءة؟

ثم دخل يمين أستار الكعبة، ودخل معه بنو هاشم قائلين: اللهم انصرنا على من ظلمنا، وقطع أرحامنا، واستحل من يحرم عليه منا، ثم انصرفوا إلى الشعب.

وقال أبو طالب في هذا شعراً.

وقد كان في أمر الصحيفة عبرة متى ما يخبر غائب القوم يعجب

محا الله عنها كفرهم وعقوقهم وما نقموا من ناطق الحقّ معرب

فأصبح ما قالوا من الأمر باطلاً ومن يختلق ما ليس بالحقّ يكذب (١)

وفى نهاية هذا الموقف وافق أبو طالب قوم وآمنوا به وامتنع آخرون.

وقام أبو طالب يمدح أولئك نفر الذين قاموا- بعد أن اتضح لهم الحقّ- في

ص: ١٤٣

نقضها في ستة وعشرين بيتاً من الشعر كان منها:

فيخبرهم أنّ الصحيفة مرقّت وأنّ كلّ ما لم يرضه الله مفسد (١)

أبو طالب يستحث قومه:

وحيثما رأى أبو طالب ما تقوم به قريش من تعذيب أتباع رسول الله صلى الله عليه وآله ومريديه، وما يصنعونه في بني هاشم وبني المطلب، دعا قومه إلى المجيء إلى ما هو عليه، والانضمام إليه، من منع رسول الله صلى الله عليه وآله، والقيام دونه، فلبّى قومه دعوته، إلّا ما كان من تمرّد أبي لهب وعدم استجابته لهذه الدعوة.

وما إن رأى أبو طالب موقف قومه هذا وما سرّه في جهدهم معه، وحبهم عليه، حتى راح يمدحهم ويذكر قديمهم، وفضل رسول الله صلى الله عليه وآله فيهم، ومكانته الكبيرة بينهم، ليشدّ لهم رأيهم، وليحدّبوا معه على أمره، فقال:

إذا اجتمعت يوماً قريش لمفخر فعبد مناف سرها وصميمها

وإن حُصّلت أشراف عبد منافها ففي هاشم أشرافها وقديمها

وإن فخرت يوماً فإنّ محمداً هو المصطفى من سرها وكريمها

تداعت قريش عُثها وسمينها علينا فلم تظفر وطاشت حلومها (٢)

الوصية الأخيرة:

من على فراش مرضه، الذي يدثره وقد مات فيه، انطلقت كلمات رائعة، فكانت نوراً يدخل القلوب، وكانت وصايا تنبع الحكمة من أعماقها، وكانت كلمات تتفوّه بها بصيرة نافذة:

يا معشر قريش! أنتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب، وفيكم السيد

١- انظر القصيدة كاملة في السيرة النبوية لابن هشام ١: ٣٧٧-٣٨٠.

٢- انظر المصدر نفسه.

ص: ١٤٤

المطاع، وفيكم المقدم الشجاع، واعلموا أنكم لم تتركوا نصيباً في المآثر إلا أحرزتموه، ولا شرفاً إلا أدر كنتموه... وإني أوصيكم بتعظيم هذه البنية- الكعبة- فإن فيها مرضاة الرب، صلوا أرحامكم، ولا تقطعوها، فإن صلة الرحم منسأة في الأجل، وزيادة في العدد، واتركوا البغي والعقوق، ففيهما هلكت القرون قبلكم... أجيبوا الداعي، وأعطوا السائل، وعليكم بصدق الحديث، وأداء الأمانة.

ولم يقف عند هذا، بل راح يوصيهم برسول الله خيراً، فيقول:

وإني أوصيكم بمحمد خيراً، فإنه الأمين في قريش، والصديق في العرب، وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به، دونكم يا معشر قريش ابن أبيكم، كونوا له ولاء، ولحزبه حماة.

ثم راح يحدق بعيداً في مستقبل هذه الامة والرسالة، فيقول:

وأيم الله، لكأني أنظر إلى صعاليك العرب والمستضعفين من الناس، قد أجابوا دعوته، وعظّموا أمره، فحاض بهم غمرات الموت، ولكأني به، وقد محضته العرب ودادها، وأعطته قيادها...

ثم يلتفت إلى محمد ويخاطبهم بقوله:

والله لا يسلك أحد سبيله إلا رشد... ولا يأخذ أحد بهديه إلا سعد، انصروا محمداً فإنه الهادي الى سواء السبيل.

ولو أن الله تعالى أخر أجله وأمد في عمره، وقد عبّر عن أمنيته هذه بقوله:

ولو كان للنفس مدّة، وفي أجلّي تأخير؛ لكففت عنه الهزاهز، ولدافعت عنه الدواهي.

هذه هي وصيته في عامه الجالسين، وكان منهم المشركون الذين يتلهفون إلى موته، ليميلوا على محمد وصحبه، ميله واحده، ويبطشوا بهم.

ثم تحين منه التفاتة إلى بني هاشم، بعد أن خلا المجلس إلامنهم، فيقول:

ص: ١٤٥

يا معشر بنى هاشم! أطيعوا محمداً وصدّقوه، تفلحوا وترشدوا...
ثمّ راح يخصّ أربعة من الهاشميين وهم: ولداه: على وجعفر، وأخواه:
الحمزة والعباس، فيقول:
أوصى، بنصر نبي الله، أربعة ابني علياً، وعم الخير عباسا
وحمزة الأسد المخشّي صولته وجعفرأ، أن تذودوا، دونه الناسا
كونوا- فداء لكم أمي، وما ولدت في نصر أحمد، دون الناس، أتراسا (١)
و من كانت هذه وصاياها، أتظنه يموت كافراً، و عن هذا النعيم و الفلاح غافلاً...؟!
وفاء أبي طالب:

توفى بيضة البلد عن ستته وثمانين عاماً، في شهر رمضان، وقيل في النصف من شوال، وقيل في رجب من السنة العاشرة للبعثة النبوية الشريفة، أي قبل الهجرة بثلاث سنوات، قبل وفاة أم المؤمنين خديجة بثلاثة أيام، أو بشهور على قول ولهذا سمى الرسول هذا العام عام الحزن، وقال: «اجتمعت عليّ في هذه الأيام مصيبتان بأيهما أنا أشدّ جزعاً» (٢).
فما إن أغمض عينيه الساهرتين على رسول الله صلى الله عليه وآله حفظاً ورعايةً ومؤازرةً ودفاعاً ودعوةً إلى ما يحمله بين يديه، حتى أمر الرسول عليّاً أن يغسله ويكفنه، فعن علي أنه قال: أخبرت رسول الله صلى الله عليه وآله بموت أبي طالب، فبكي، ثم قال: «اذهب فغسله، وكفنه، وواره غفر الله له» (٣).
وفي خبر ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وآله يشيعه ويرثيه قائلاً:

- ١- انظر في هذا كله السيرة النبوية وغيرها من مصادر التاريخ وما كتب عنه وهو كثير.
- ٢- السيرة النبوية ٢: ٤١٦ وغيرها.
- ٣- طبقات ابن سعد ١: ١٢٣.

ص: ١٤٦

«وصلتك رحم يا عم، وجزيت خيراً، فلقد ربيت، وكفلت صغيراً... ونصرت، وآزرت كبيراً... أما والله لأستغفرنَّ لك، ولأشفعنَّ لك شفاعةً يعجب لها الثقلان...»

وا أبتاه! وا أبا طالباه! وا حزناه عليك يا عم كيف أسلو عنك، يا من ربيتني صغيراً، وأحبتني كبيراً، وكنتُ عندك بمنزلة العين من الحدقة، والروح من الجسد؟!!

بهذه العبارات والعبرات والقلب الحزين ودّع رسول الله صلى الله عليه وآله عمه، كما ودّعه الرسالة كذلك. بكاه الرسول والرسالة والناس أجمعون، بكته الجموع المؤمنة أباً رحيماً وعمّاً ودوداً ومربياً واعياً ومدافعاً حكيماً، ومؤمناً حليماً...

يقول البكري في كتاب مولد أمير المؤمنين عليه السلام عن الحزن الذي ملأ أجواء مكة... شققن النساء على أبي طالب الجيوب، ونشرن الشعور، وشمل الحزن جميع شعاب مكة وشعوبها.

وراح أمير المؤمنين يرثي أباه:

أبا طالب عصمة المستجير وغيث المحول، ونور الظلم

لقد هدّ فقدك أهل الحفاظ فصلّى عليك ولّى النعم

ومما قيل عنه:

نذكر هنا بعض الروايات والأقوال الواردة بحقه رضوان الله عليه

عن الإمام عليّ عليه السلام أنّه قال:

كان والله أبو طالب... مؤمناً مسلماً، يكتم إيمانه مخافةً على بني هاشم أن تنابذها قريش (١).

... كان أمير المؤمنين يعجبه أن يروى شعر أبي طالب وأن يدون، وقال:

تعلّموه وعلموه أولادكم، فإنّه كان على دين الله، وفيه علم كثير.

١- انظر أبو طالب عملاق الإسلام الخالد، لمحمد عليّ أسد: ١٥٢ عن مجلة نهج الإسلام.

ص: ١٤٧

روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

إن أصحاب الكهف أسروا الإيمان وأظهروا الكفر، فأتاهم الله أجرهم مرتين، وإن أبا طالب أسرّ الإيمان وأظهر الشرك، فأتاه الله أجره مرتين، وما خرج من الدنيا حتى أتته البشارة من الله بالجنت، كيف يصفونه بهذا (أنه مات كافراً) وقد نزل جبريل ليلة مات أبو طالب، فقال يا محمد أخرج من مكة فما لك بها من ناصر بعد أبي طالب (١).

مما قالوا:

يقول ابن الأثير في جامع الاصول:.... فلما رأى المشركون ذلك- يعنى إظهار الدعوة- خالفوه وعاندوه، وأظهروا عداوته، وأجمعوا على أذاه، وهموا بقتله، فأجاره عمه أبو طالب، ودفع عنه وحماه، إلّا أنّ قريشاً تظافروا على بنى هاشم وبنى المطلب حتى حصروهم فى الشعب...

ثم قال: فمات أبو طالب بعد ذلك بستة أشهر، وماتت خديجة بعده بثلاثة أيام، وقيل: بخمسة أيام، وقيل: بأكثر من ذلك، فبان أثر موتها على النبي صلى الله عليه وآله، فخرج إلى الطائف (٢).

وقال الزمخشري: قال النبي صلى الله عليه وآله: «ما زالت قريش كاعه، حتى مات أبو طالب» أى جنباء عن أذى، جمع كائع (٣).
يقول الطبرى: ولما هلك أبو طالب، خرج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الطائف يلتمس من ثقيف النصر والمنعة له من قومه (٤).

١- راجع شرح نهج البلاغة ٣: ٤٦٦، و أعيان الشيعة ٣٩: ١٣٦، والغدير ٧: ٣٨١.

٢- جامع الأصول ١: ٢٩٦.

٣- انظر الفائق ٣: ٢٩٠.

٤- تاريخ الطبرى ١: ٥٥٤.

ص: ١٤٨

ويقول أيضاً، بعد أن يذكر أن أبا طالب وخديجة هلكا في عام واحد قبل هجرته صلى الله عليه وآله إلى المدينة بثلاث سنين: فعظمت المصيبة على رسول الله صلى الله عليه وآله، بهلاكهما؛ وذلك أن قريشاً وصلوا من أذاه بعد موت أبي طالب إلى ما لم يكونوا يصلون إليه في حياته حتى نثر بعضهم على رأسه التراب...

وقال ابن أبي الحديد: ومن أراد أن يقف على شدة بلاء أبي طالب في الدفع عنه والذب حين تعاقدت قريش على قطعه صلى الله عليه وآله، وكتبوا في ذلك الكتاب وعلقوه في الكعبة، ووثبت كل قبيلة على من أسلم منهم يعذبونهم على الصخر والصفاء في حرّ الشمس، وحين صدّوهم في الشعب سنتين أو ثلاثاً، ومع ذلك كله أبو طالب يحوط النبي صلى الله عليه وآله ويمنعه ويقوم دونه، فليراجع كتب السير، يقف على ما صنعه معه، بل لشاهد عياناً صدق قول الباقر عليه السلام، وقد سئل عن إيمانه: «ولو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان، وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى؛ لرجح إيمانه» (١).

وهنا يذكر ابن أبي الحديد: أن علي بن الحسين عليه السلام سئل عن هذا، فقال:

«واعجباً، إن الله تعالى نهى رسوله أن يُقرّر مسلمة على نكاح كافر، وقد كانت فاطمة بنت أسد من السابقات إلى الإسلام، ولم تزل تحت أبي طالب حتى مات» (٢).

روى عكرمة عن ابن عباس أنه قال: جاء أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وآله بأبي قحافة، يقوده وهو شيخ كبير أعمى، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لأبي بكر: ألا تركت الشيخ حتى نأتيه؟! فقال أبو بكر: أردت يا رسول الله أن يأجرني الله، أما والذي بعثك بالحقّ لأنا كنتُ أشدّ فرحاً بإسلام عمّك أبي طالب مني بإسلام أبي، التمس بذلك قرّة عينك. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: صدقت (٣).

١- شرح نهج البلاغة ٣: ٣١٦.

٢- شرح نهج البلاغة ٣: ٣١٦، الاستيعاب بهامش الإصابة ٤: ٣٨١.

٣- المصدر نفسه ٣: ٣٢٢.

ص: ١٤٩

وقد اشتهر عن المأمون العباسي أنه قال: واللّه أسلم أبو طالب بقوله:

نصرتُ الرسول رسول المليك بيض تلاًّلاً سمع البروق

أذبّ وأحمى رسول الإله حمایةً حامٍ عليه شفيق... (١)

أبو طالب ضحيّة مؤامرة قذرة!:

بدايتها:

في العصر الأوّل للإسلام لم يكن هناك أي اختلاف في إيمان أبي طالب، وإنّما بدأ هذا بعد أن تفاقم الخلاف حتى وصل إلى الصراع بين علي ومعاوية، فراحت الروايات الموضوعه تقوّض مناقب، وتخلّق أُخرى، وتميت مواقف، وتصنع غيرها، عبر أكثر من سبعين ألف منبر وخلال سبعين سنه تحت شعار أن برئت الذمّه ممن روى شيئاً في فضل أبي تراب وأهل بيته... ولا تتركوا خبراً يرويه أحدٌ من المسلمين في أبي تراب، إلّا وتأتوني بمناقض له في الصحابه، فإنّ هذا أحبّ إليّ وأقرّ لعيني، وأدحض لحجه أبي تراب وشيعته (٢)، حتى قيل له: أما آن لك - يا معاوية - أن تترك علياً وشأنه، وتأمّر بترك مسبته على المنابر؟

قال معاوية: لا، حتى يموت عليها الكبير ويربو عليها الصغير.

لم أجد وأنا أقلب صفحات التاريخ بحثاً عمّا يتعلّق بحياة شيخ قريش وسيدها أبي طالب، ثغرةً لنفاذ منها إلى تأييد ما ذهب إليه قوم من تكفيرهم له، وأنّه مات كافراً برسالة السماء، التي حملها ابن أخيه وهو ينطلق من بين يدي أبي طالب نبياً رسولاً، مبشّراً نذيراً، ويذا أبي طالب تبارك له عمله وكدحه وجهاده، ويقف سدّاً منيعاً ضد من يريد الكيد به قريباً كان أو بعيداً، لم أعر على شيء يؤيد قولهم

١- انظر شرح نهج البلاغه ٣: ٣١٧

٢- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ١١: ٤٤-٤٦.

ص: ١٥٠

هذا، ويقف دليلاً على ما زعموه، إلّا أنى خطر ببالي شيء، قد يكون هو لا غير وقلت فى نفسى: لو كان أبو طالب أبا أحد من رجالهم غير على، لما تجرأوا واتهموه بهذا، ولو صفوه بأجمل خصائص الإيمان، وهو فعلاً ما حصل لأبى سفيان وأمثاله، ولملئت كتبهم وحاجرهم مدحاً له واطراءً وثناءً عليه، ولكن الرجل كان ضحيّة بغضهم لابنه على، وكان جزءاً من تلك المؤامرة ومن ذلك النزاع، الذى نشب فى صفوف الأمة المسلمة بعد رحله رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الرفيق الأعلى، ثمّ تعاظم حتى اكتمل بمؤامرة الشتم والتسقيط، التى أسسها وقادها الحكم الأموى فى الشام، وسخروا لها كلّ ما من شأنه تزييف الحقائق وتضليل الناس، من مالٍ وسلاح وترغيب وتهديد، لتنال من المقام الشامخ للإمام على عليه السلام، حتى كاد أن يكون، بل صار فعلاً الهدف الأول والرئيسى لحكمهم.

إنّه صراع بين إسلام رسالى انتهجه على وبنوه وأتباعه، ونهج آخر سار عليه الأمويون يقدمهم معاوية بن أبى سفيان.

نعم أكملوها بالظعن بأبيه، والغريب أنّ رسائل معاوية إلى على عليه السلام خلت من هذا الظعن، بل وحتى أحاديثه، ولو وسعه - كما يقول عبد المفتاح عبد المقصود - لفعل، فأفحش فى القول، وأوفى الكيل، ثمّ لجاء من لدنه بكلّ ما يخسر ميزان الإمام...

ثمّ يتساءل قائلاً:

فلماذا لم يفعل؟

لا عن ولاء للقربى أحجم...

ولا - عن تعفف وتورّع، رعاية لنواميس الأخلاق. فمثله ما كان ليأخذ نفسه بالتفريط فى ذرة هباء تمتلكها يمينه، إن هو علم أنّ الناس سيحسبونها قطرة حقيقة فى خضم من الأكاذيب!

... فأما وقد كفّ ادعاءه، وابتلع خيلاءه، فذلك لأنّه لم يكن يملك فى إيمان أبى طالب أثارة شبهة أو دليل ينفذ من خلالها إلى نقض هذا الإيمان، سواء أكانت هذه

ص: ١٥١

الأثارة رأى شانى معاصر عايش شيخ بنى عبد مناف، أم رواية راوية لاحق آثر الانحراف!
 وراح عبد الفتاح يتحدث بقوله: ولمن يشاء أن يحاج فى هذا الذى نراه، فليأتنا من رسائل ابن أبى سفيان إلى الإمام، أو فى أحاديثه
 التى ملأ بها آذان مناصريه، بكلمة تشير، من قريب أو من بعيد، إلى ما يخذش إيمان أبى طالب، وينال من صدق إسلامه (١).
 أقول: وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على أن إيمان أبى طالب فى العصر الأول لا يمكن أن يرتاب به أحد، أو أن يسمع من أحد
 الطعن فيه أو التشكيك أبداً، فهو أمر واضح بين كرائعة النهار، لهذا لم يتجاسر معاوية على الإقدام على مثل هذا الطعن، الذى سينقلب
 عليه، ورغم أنه كان يتشبث بكل وسيلة للنيل من على عليه السلام والطعن فيه، رغم رسائل الإمام إليه، التى لم يستطع معاوية الرد
 عليها. ولو كان مرتاباً فى إيمان أبى طالب لكان موضع رده على الإمام.

يقول الإمام على عليه السلام فى رده على إحدى رسائل معاوية، التى يقول فيها:

«ونحن بنو عبد مناف، ليس لبعضنا على بعض فضل، إلفاضل يستدل به عزيز، ولا يُسرق حر... وقد أقذع الإمام له فى الرد:

«كنا ونحن وأنتم، على ما ذكرت من الإلفاء والجماعة ففرق بيننا وبينكم أمس أنا آمننا وكفرتم، واليوم أنا استقمنا وفتنتم...»

وإنك والله لأغلق القلب!... وقريب ما أشبهت من أعمام وأخوال، حملتهم الشقاوة وتمنى الباطل على الجحود بمحمد صلى الله عليه و
 آله، فصرعوا مصارعهم حيث علمت...

ثم واصل الإمام عليه السلام قوله:

١- انظر مقدمة عبد المفتاح لكتاب إيمان أبى طالب لشمس الدين بن معد الموسوى ت ٦٣٠ هـ ٢٢-٢٣.

ص: ١٥٢

منا النبي ومنكم المكذب، ومنا أسد الله ومنكم أسد الأحلاف، ومنا سيد شباب أهل الجنة، ومنكم صبيئة النار، ومنا خير نساء العالمين، ومنكم حمالة الحطب...

وأما قولك: إنا بنو عبد مناف، فكذلك نحن...

... ولكن ليس أمية لهاشم، ولا حرب كعبد المطلب، ولا أبو سفيان كأبي طالب، ولا المهاجر كالطليق، ولا الصريح كاللصيق، ولا المحق كالمبطل، ولا المؤمن كالمدغل، وبئس الخلف خلف ينبع سلفاً هوى في نار جهنم!..»

وهنا يقول عبد المفتاح معلقاً: إنها مفاضلة تغنى عن كل تعليق. فإن كان لا بد، مع هذا من إيضاح، فمن هو هذا الخلف، سوى معاوية المقصود بالخطاب...

ومن السلف، أقرب السلف، غير أبي سفيان؟! وهل من سبب لتفضيل أبي طالب على معاصره أبي سفيان - وحديث الإمام هنا يشير إلى الهوى في النار - سوى سبب يدرأ من شر جهنم عن الفاضل ما لا يدرأ عن المفضول؟! (١) وأقول: صحيح أنه لم يخض شخصياً فيما خاض به الذين عاصروه أو الذين جاؤوا من بعده، إلماً أنهم خريجو مدرسته وهم من مرتزقته ومريديه وأتباعه، فراحت ألسنتهم وأقلامهم تكيد كيدهم. ومن كيدها هذا اتهام أبي طالب بهذه التهمة الظالمة.

إن هذا لشيء عجاب:

كيف يموت كافراً - كما زعم الزاعمون - وهو يسمع ابن أخيه، الذي فداه بنفسه وماله وجاهه وأولاده... وعلى مساحة زمنية استغرقت عشر سنوات يردد «يا أيها الناس، إني رسول الله إليكم، لتعبده، ولا تشركوا به شيئاً» «إن هذه الأصنام لغو باطل، لا تملك لكم ضراً ولا نفعاً»، وهو المعروف بحكمته وحلمه...

ص: ١٥٣

فكيف يفرط بنفسه وعاقبته؟!

قرآن ينزل، آيات تتلى، كلمات رسول الله صلى الله عليه وآله تتردد هنا وهناك، صنوف من التعذيب يصبه مشركو قريش على المؤمنين، تهديد ووعيد، محاصرة،... أكل هذه الأمور لم تجد في قلب أبي طالب لمسة خير، ومنعطفًا لإيمانه..؟! إن هذا لشيء عجاب! فأبو طالب صاحب هذه الحياة المضيئة كيف يسوخ لنفسه أن يموت غير مؤمن بما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم تكن على قلبه غشاوة، ولطف الله لا شك قريب من هؤلاء الذين يملكون قلباً كقلب أبي طالب، وشهامة كشهامة أبي طالب، وحلمًا كحلم أبي طالب، قطعاً تدركه رحمة السماء وقد سارع الى اعتناق الرسالة من هو أدنى منه رتبة وأقل منه صفاء وعطاء؟!!

فهكذا إنسان هذه حياته بدءاً وخاتمةً، لا يستسيغ المنطق الرشيد ولا العقل السديد أن يُتهم بتهمه العزوف عن الله ورسالته، ليعيش كافرًا ويموت كافرًا، وهو صاحب الضمير الحي والقلب النابض عاطفةً وحبًا وحنانًا...

إن من يقرأ حياة هذا الرجل، يخرج بنتيجة عظيمة وحصيله كبيرة، لا يجد لها مثيلًا في حياة أقرانه ومعاصريه، بل لا يجدها حتى عند من جاؤوا بعده، اللهم إلا عند النخبة التي اصطفها الله وحبها برعايته واختياره، وارتضاه قدوةً صالحه للمؤمنين، وهذه قلة قليلة تمثلت بأهل بيت العصمة والطهارة، وعلني سيدهم.

النتيجة تلك والحصيله أن أبا طالب مات مسلمًا مضحياً مجاهدًا، لم يُراوده شك أبدًا في أحقية رسول الله صلى الله عليه وآله وما هو عليه من مبادئ السماء، دلتني على من هو أكثر تضحيةً وتحملًا وصبرًا وحكمةً وجهادًا من أبي طالب، وهو يعيش الأيام الأولى والسنين الأولى للتأسيس، والتأسيس من أخطر وأدق مراحل الدعوة الإسلامية خاصةً وهي تعيش في تلك الظروف، وذلك المجتمع الذي كان التعامل معه مريرًا وقاسيًا بما يمتلكه من طبقيّة وعادات وتقاليد وموروثات تجذرت في ترابه وفي نفوس أبنائه، فكيف يمكن انتشالهم من هذا الواقع المرير؟!

ص: ١٥٤

إذ يتنازعون بينهم أمرهم:

لقد تنازعوا أمرهم فيه، وهكذا هو شأن العظماء، فاختلقت آراؤهم، وتشدت كلماتهم، وتفرقت أقلامهم في الكتابة عنه فمنهم: من قال: إنَّ أبا طالب مات كافراً. إنَّ أبا طالب مات مؤمناً.

فيما توقّف فريق ثالث في أمره وتحيّر، كيف يقول بكفره وكلّ ما قدّمه يدلّ على إيمانه؟! وكيف يقول بإيمانه ولم يسمعه يردّد الشهادتين...؟! إلّا أنّهم جميعاً قد اتفقوا على أمر ثالث لا يراودهم الشكّ فيه ألا وهو: أنّ أبا طالب لم ييخل بجاه ولا مال ولا موقف ولا أى شىء إلّا وسخّره لخدمة الرسالة ورسولها الكريم، بل يكاد إجماعهم هذا يؤكد أن لا أحد خدم الإسلام كما خدمه أبو طالب طيلة عشر سنوات من الدعوة في مكّة قضاها عبر مواقف تتسم تارةً باللين وأخرى بالشدّة وثالثةً بالدعوة إلى الإسلام من خلال تسخير جميع مواقفه وما يمتلكه من وسائل ومنها وسيلة إعلامية لا ينكر أحد تأثيرها: كلماته البليغة وقصائده الشعرية الكثيرة، فقد كان الرجل مجيداً للشعر أكثراً منه، فسخّره في الدعوة إلى الله ورسوله، حتى كلفته هذه المواقف التضحية بما يمتلكه من شبكة اجتماعية وعلاقات كثيرة، فقدّ على أثرها طاعه قريش حتى تجرّأت على محاصرته والتضييق عليه.

وإنّ من اللافت المؤسف والمؤلم أنّ أبا طالب مع كلّ مواقفه وكدحه المتواصل في إرساء دعائم الإسلام وتثبيت أركانه، يموت كافراً- كما يزعم الزاعمون-، وأبا سفيان الذي كان من الطلقاء، ولم يقدم شيئاً يذكر في مسيرة الرسالة السماوية هذه، بل هو الذي عاش قبل نطقه الشهادتين وبعدهما زعيماً للتأمر على الإسلام ورسوله، ورجل الكيد والغدر، يموت مؤمناً!!

لقد تعرّض أبو طالب إلى مؤامرة قدرة رسمتها أيادٍ عرفت بالعداء للرسول ورسالته وبغضها لهذه العائلة الكريمة، فراحت تبذل قصارى جهودها وما تملكه من مال كثير وقدرات وخبرة في سبيل تقويض أى مجهود لرموز هذه الاسرة

ص: ١٥٥

الكريمة، فسخرت أعلامها ورجالها والطامعين والوضاعين لتحقيق غاياتها ومصالحها. فلم ينجو حتى شعر أبو طالب من الاتهام بالوضع والاختلاق، لما رأوا فيه من القوة والدعوة المخلصة إلى الإسلام، وغفل هؤلاء عن أن خصائص أبي طالب لو بقي منها جزء يسير، فإنه كافٍ في التدليل على عقيدته التوحيدية وإيمانه الخالص.

وإن تعجب فعجب قولهم:

لا- أظن أن هناك حاجة إلى ذكر أدلة القائلين بكفر أبي طالب، فحياته رضوان الله عليه دليل غني على إيمانه، وما قدمناه هو غيض من فيض، وإذا ركنا إلى أدلتهم فكأننا عدلنا من اليقين إلى الشك ومن العلم إلى الظن. ولكننا مع هذا نكتفي هنا بدليل واحد من أدلة القوم وبشكل مختصر، خوف الإطالة، ولمن أراد المزيد فعليه بما كتب عنه، وهو كثير جداً.

روى ابن سعد في طبقاته (١) بإسناده إلى علي بن أبي طالب، قال: أخبرت رسول الله صلى الله عليه وآله بموت أبي طالب، فبكى، ثم قال: اذهب فغسله وكفنه وواره، غفر الله له.

قال: ففعلت ما قال، وجعل الرسول يستغفر له أياماً، ولا يخرج من بيته، حتى نزل عليه جبريل بهذه الآية: مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ (٢)

فقد ذهب جمع من المفسرين - استناداً إلى هذه الرواية - إلى أن هذه الآية المذكورة نزلت في استغفار النبي صلى الله عليه وآله لعمه أبي طالب، واستغفار بعض الصحابة لأبويه المشركين (٣).

١- طبقات ابن سعد ١: ١٢٣.

٢- سورة التوبة: الآية ١١٤.

٣- انظر جلال الدين السيوطي في تفسيره وغيره.

ص: ١٥٦

أين تقف رواية ابن سعد؟!

بعد أن نقل هذه الرواية في الجزء الأول من طبقاته ص ١٢٣، انظر ما قاله في الصفحة ١٢٥ منها: «توفى أبو طالب للنصف من شوال في السنة العاشرة من حين بُئى رسول الله».

إذن:

فأبو طالب توفى في السنة العاشرة للبعثة النبوية.

هاجر النبي صلى الله عليه و آله في السنة الثالثة عشرة للبعثة، أى بعد وفاة أبي طالب بثلاث سنوات.

سورة التوبة نزلت في المدينة، فهي مدنية كلها باستثناء الآيتين الأخيرتين منها.

انظر ما يقوله عنها المفسرون ومنهم:

ابن كثير: هذه السورة من أواخر ما نزل على رسول الله صلى الله عليه و آله كما روى البخارى عن البراء يقول: آخر آية نزلت يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة و آخر سورة نزلت براءة (١).

الرازى في تفسيره: في عنوان السورة: سورة التوبة مدنية إلا الآيتين الأخيرتين فمكيتان (٢).

الآلوسى في تفسيره: سورة التوبة مدنية... (٣) الطبرسى في تفسيره: سورة التوبة مدنية كلها، وقال بعضهم: غير آيتين:

لقد جاءكم رسول من أنفسكم... إلى آخر السورة، نزلت سنة تسع من الهجرة،

١- انظر الأساس في التفسير لسعيد حوى ٤: ٢٢١٣.

٢- انظر التفسير الكبير للفخر الرازى ٨: ٢١٥.

٣- روح المعانى للآلوسى ٥: ٤٠.

ص: ١٥٧

... وقال قتاده ومجاهد: وهي آخر ما نزلت على النبي صلى الله عليه وآله بالمدينة.

نكتفى بهذا القدر من المفسرين، لنقول: إن الفترة الزمنية بين وفاة عم النبي صلى الله عليه وآله «أبو طالب» ونزول هذه الآية كانت اثني عشر عاماً. فأين تقف رواية ابن سعد، التي عمل بها كثير من المفسرين بلا تثبت ولا تحقيق، لأسباب لا أظنها تخفى على القارئ اللبيب؟!

وختاماً:

ماذا ترانى أقول فيك يا أبا طالب، وما إن فتحت ملفك التاريخي حتى انبهرت بكثرة ما فيه من مواقف عظيمة ومناقب جليئة... فألفت فيك كتب كثيرة تجاوزت أكثر من مئة كتاب بين مطبوع ومخطوط باللغاة العربية فضلاً عن اللغات الاخرى...، إضافة إلى المقالات والأشعار، التي قيلت بحقك.

وهذه مجموعته مما تيسر:

الكتب العربية المطبوعة:

- ١) أبو طالب بطل الإسلام، لحيدر محمد سعيد عرفى.
- ٢) أبو طالب بن عبد المطلب والد أمير المؤمنين عليه السلام، لحسين جواد الكديمي.
- ٣) أبو طالب حامى الرسول وناصره، للعلامة الميرزا نجم الدين جعفر عسكرى طهرانى.
- ٤) أبو طالب عم الرسول صلى الله عليه وآله، للمحامى محمد كامل حسن.
- ٥) أبو طالب عم النبي صلى الله عليه وآله، لعبد العزيز سيد الأهل.
- ٦) أبو طالب عملاق الإسلام الخالد، للشيخ محمد على أسبر.
- ٧) أبو طالب كفيل الرسول صلى الله عليه وآله، لسعيد عسيلي.
- ٨) أبو طالب كفيل الرسول صلى الله عليه وآله، لجمع من الكتاب.
- ٩) أبو طالب مؤمن قريش، لعبد الله الخنيزى.

ص: ١٥٨

- (١٠) أبو طالب المسلم، لأحمد مغنية.
- (١١) أبو طالب مع الرسول صلى الله عليه و آله، لأحمد مغنية.
- (١٢) أبو طالب وبنوه، للسيد محمد علي آل سيد علي خان الحسيني.
- (١٣) إسلام أبي طالب، للسيد مهدي مكي.
- (١٤) إسلام أبي طالب، لوجيه بيضون.
- (١٥) إسلام أبي طالب من خلال الآيات والأحاديث والأشعار والوقائع التاريخية، للبيب بيضون.
- (١٦) أسنى المطالب في إيمان أبي طالب، للشيخ كاظم حلفي.
- (١٧) أسنى المطالب في شرح خطبة أبي طالب، لعبد الكريم حبيب.
- (١٨) أسنى المطالب في نجاه أبي طالب، للسيد أحمد بن زيني دحلان.
- (١٩) إيمان أبي طالب، للشيخ المفيد.
- (٢٠) إيمان أبي طالب وموقف الشيخ المفيد منه، للدكتور محمد ابراهيم خليفة الشوشتری.
- (٢١) إيمان أبي طالب، لشمس الدين أبي علي فخار بن معد الموسوي.
- (٢٢) الرسول والرسالة في شعر أبي طالب، لمعوض عوض ابراهيم.
- (٢٣) زهرة الأدباء في شرح لامية شيخ البطحاء.
- (٢٤) الروض النزیه في الأحاديث التي رواها أبو طالب عن ابن أخيه صلى الله عليه و آله، لابن طولون الدمشقي.
- (٢٥) السهم الصائب بكبد من آذى أبا طالب، لأبي الهدى الصيادي.
- (٢٦) سيد البطحاء، للشيخ محمود البغدادي.
- (٢٧) شعر أبي طالب بن عبد المطلب وأخباره، لعبد الله بن أحمد بن حرب العبدی.
- (٢٨) شيخ الأبطح أبو طالب، للسيد محمد علي ابن السيد عبد الحسين شرف الدين.

ص: ١٥٩

- (٢٩) شيخ بنى هاشم أبو طالب، لعبد العزيز سيد الأهل.
- (٣٠) طلبه الطالب فى شرح لامية أبى طالب، لعلى فهمى.
- (٣١) عقيدة أبى طالب، للسيد طالب الرفاعى.
- (٣٢) غاية الطالب من شرح ديوان أبى طالب، للشيخ محمد خطيب المصرى.
- (٣٣) القصيدة الغراء فى إيمان أبى طالب شيخ البطحاء، للسيد أحمد خيرى پاشا.
- (٣٤) منية الراغب فى إيمان أبى طالب، للشيخ محمد رضا الطبسى النجفى.
- (٣٥) منية الطالب فى مستدرک ديوان سيد الأباطح أبى طالب، لمحمد باقر المحمودى.
- (٣٦) مواهب الواهب فى فضائل أبى طالب، للشيخ جعفر النقدى.
- (٣٧) بنوه أبى طالب عبد مناف، لمزمل حسين الغديرى الميثمى.
- ومن الكتب العربية المخطوطة:
- (١) أبو طالب كافل النبى وناصره، للسيد أحمد خيرى پاشا.
- (٢) اتحاف الطالب بنجاة أبى طالب، لمحمد بن عبد السلام جنون.
- (٣) إثبات إسلام أبى طالب، لمحمد معين بن محمد أمين السندى.
- (٤) إثبات إسلام أبى طالب، لعبد الرحمن بن أحمد الخزاعى النيشابورى.
- (٥) أخبار أبى طالب وعبد المطلب، للشيخ الصدوق.
- (٦) أخبار أبى طالب وولده، لأبى الحسن المدائنى.
- (٧) إسلام أبى طالب، للسيد حسن بن ابراهيم شبر الحسينى.
- (٨) إيمان أبى طالب، لأحمد بن القاسم.
- (٩) إيمان أبى طالب، لأبى الحسين أحمد بن محمد الكندى الجرجائى.
- (١٠) إيمان أبى طالب، لأبى على الكوفى.
- (١١) إيمان أبى طالب، للسيد أحمد بن موسى بن طاووس.

ص: ١٦٠

- (١٢) إيمان أبي طالب، لأبي محمّد الديباجي.
- (١٣) إيمان أبي طالب، للسيد ظفر حسن بن دلشاد النقوي.
- (١٤) إيمان أبي طالب، لأبي نعيم علي بن حمزة التميمي البصري.
- (١٥) إيمان أبي طالب، للقاضي نعمان بن محمّد المصري.
- (١٦) إيمان أبي طالب، للعلامة ميرزا محسن قره داغى التبريزي.
- (١٧) بحث في إسلام أبي طالب، مجهول المؤلف.
- (١٨) بغية الطالب في إسلام أبي طالب، للسيد مير محمّد عباس الشوشتری.
- (١٩) بغية الطالب في بيان أحوال أبي طالب، للسيد محمّد بن حيدر الموسوي العاملي.
- (٢٠) بغية الطالب لإيمان أبي طالب، لجلال الدين السيوطي.
- (٢١) بغية الطالب لإيمان أبي طالب، لمحمّد بن عبد الرسول البرزنجي الشافعي.
- (٢٢) بلوغ المآرب في نجاه آباءه عليه السلام وعمّه أبي طالب، للشيخ سلمان أزهرى لاذقي.
- (٢٣) البيان عن خيرة الرحمن، للشيخ علي بن بلال المصلبي.
- (٢٤) حاشية على حجة الذهاب إلى إيمان أبي طالب، للشيخ شير محمّد الهمداني.
- (٢٥) ديوان أبو طالب وشرح لاميته، للشيخ حيدر قلي سردار كابلی.
- (٢٦) رتبة أبي طالب وقريش، لأبي الحسن النسابة.
- (٢٧) رسالة في إسلام أبي طالب، للسيد ميرزا أبي القاسم أمين الدين الموسوي الزنجاني.
- (٢٨) رسالة في صحة إيمان أبي طالب، مجهول المؤلف.
- (٢٩) الرغائب في إيمان أبي طالب، للسيد مهدي الغريفي البحراني.
- (٣٠) شرح حديث إسلام أبي طالب بحساب الجمل، لملا علي بن ميرزا خليل المازندراني.
- (٣١) الشهاب الثاقب لرجم مكفر أبي طالب، لميرزا نجم الدين جعفر بن ميرزا محمّد

ص: ١٦١

عسكري الطهراني.

٣٢) صفات أبي طالب عبد مناف، لمزمل حسين الغديري الميثمي.

٣٣) فصاحة أبي طالب، للشريف حسن بن علي بن حسن بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

٣٤) فضل أبي طالب وعبد المطلب وأبي النبي صلى الله عليه وآله، لأبي القاسم سعد بن عبدالله بن أبي خلف الأشعري القمي.

٣٥) فيض الواهب في نجاه أبي طالب، للشيخ أحمد فيضي بن حاج علي عارف جورومي.

٣٦) القول الواجب في إيمان أبي طالب، للشيخ محمد علي بن ميرزا جعفر الهندي.

٣٧) كافل اليتيم أبو طالب، للعلامة ميرزا نجم الدين جعفر العسكري الطهراني.

٣٨) ما قيل في أبي طالب، للسيد علي بن الحسين الهاشمي الخطيب.

٣٩) مني الطالب في إيمان أبي طالب، للشيخ مفيد النيشابوري.

٤٠) منية الطالب في حياة أبي طالب، للسيد حسن بن علي القبانجي النجفي.

٤١) نجاه أبي طالب، للشيخ كاظم آل نوح النجفي.

٤٢) نسب أبي طالب، لهشام بن محمد بن سائب بن بشير الكلبي.

٤٣) نصّ أبي طالب على النبي صلى الله عليه وآله، لبعض الكتاب الإسماعيلية.

٤٤) واقع أبي طالب المؤمن، للسيد عبد الكريم آل سيد علي خان.

٤٥) الياقوتة الحمراء في إيمان سيد البطحاء، للسيد طالب آل سيد علي خان.

إضافة إلى عشرات الكتب المطبوعة والمخطوطة والمقالات وبلغات شتى.

لقد تنازعا أمرهم فيك، وبعد أن يئسوا من أن يجدوا شيئاً يلوذون به للطعن فيك بغضاً وحسداً، لجأوا إلى كتمان إيمانك، الذي ما

كان إلالمصالح كثيرة للرسالة والرسول، فعثروا على ضالتهم، - كما يظنون - أن أبا طالب مات كافراً،

ص: ١٤٢

فأنساهم شيطانهم أو أنهم تناسوا وتغافلوا عمّا قدّمت يداك المباركتان من خير عميم، ودعم كريم، ودفاع عظيم، وتضحية لا نظير لها عن الرسالة والرسول ومن تبعه من المؤمنين والصالحين، حتى ورد في الخبر الذي ذكره ابن أبي الحديد: «أنه لما توفى أبو طالب، أوحى الله إلى رسوله صلى الله عليه وآله أن أخرج فقد مات ناصرك». أكل هذا العطاء وطيلة عشر سنوات يأتي من كافر؟! أى عاقل يصدق دعواهم هذه ومزاعمهم تلك؟! إنه عطاء لا يمكن أن يأتي إلّا ممن آمن برسالة السماء!

ونختم حديثنا بما قاله عبد الفتاح عبد المقصود:

ثمّ ما حاجتنا إلى الإكثار من التدليل على إيمان رأس الطالبين، ولا حاجة ثمّة إلى تدليل؟

ثمّ يواصل قوله:

إنّ المنقول عن إيمانه، الذى توالى الجدل فيه أعصراً طويلاً، وما زال إلى اليوم موضوع نقاش جارٍ، لأحرى بأن يغنى عن المعقول. وإنّ المعقول الذى يوافق المنطق السوى، ولا ينافى واقع الحال، ليضاهى هذا المنقول... فإذا خطر لامرئ أن يعدل عن منقولات الأحاديث والأقوال الشاهدة بإيمانه، والواردة على ألسنة الثقات البررة من آل البيت وشيعتهم نقلًا عن الرسول صلى الله عليه وآله إلى الوقائع والأحداث، التى تصوّر مواقف عمّ النّبى وأبى الوصى، وترسم ألوان سلوكه، إذن لوجد من أفعال الرجل الجليل ما هو ترجمان صدق عملى لتلك الأقوال...

ثمّ يقول:

أمّا ما أثر عنه من شعر... دالاً على إيمانه، ومؤيداً ابن أخيه، وداعياً لدينه، فإنّه أدنى إلى قرينه منه إلى برهان قاطع، لأننا قد لا نعدم أن نجد من بعض النقاد من يرى فيه مجرد تصوير جمالى... أو من يدعى انتسابه إلى غير صاحبه، أو وقوعه فى مظنة التحريف والتغيير والإضافة، استناداً إلى مقاييس - إن هى اعتبرت

ص: ١٤٣

قرينة- فإنها لا تسلم من التبانى، وربما التضارب، نتيجة لاختلاف الأذواق، وكثيراً ما اتهم شعراء فى قصائد لهم بأنها منحولة، أو لا ترقى إلى مستواهم، أو لا توافق سمات عصرهم الشعريه...

ويتنازل عن هذا الدليل فيقول: ودع الشعر فإنه فى قضيتنا نافله... وكفانا أن نلقى نظرة عابرة إلى فضائل الشيخ التى تناقلتها الألسن ونفذت إلينا- على الرغم من القهر السياسى - كأنما من سم الخياط!

فليس منا من لا يعلم أن «السياسة» طوال عهود الإسلام وعلى تعدد دوله، قد افترست، أو كادت، كل كلمة إنصاف قيلت فى حق آل البيت النبوى الكريم.

لذلك بحسبنا فى «المقولات» - كمثال - أن بلغنا، عبد مؤخر القهر والنكال، التى ضربت حول شيعة الرسول، كلمة صفى محمد ووصيه، التى تقول:

«ما مات أبو طالب حتى أعطى رسول الله من نفسه الرضا»

وتلك شهادة من لا يكتفم الشهادة، ولا يلبسها بيهتان...

هذا ما ورد على السنة الشيعة وأئمتهم نقلًا عن على: فإذا كان لا بد من الوجه الآخر للعملة! فلنصغ إلى حديث أبى بكر، أول الخلفاء، إذ جاء بأبيه: أبى قحافة يقوده، وقد أسن وعمى، ليسلم بين يدى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال الرسول: ألا تركت الشيخ حتى نأتيه؟! نأتيه؟! نأتيه؟! نأتيه?!

قال أبو بكر: أردت يا رسول الله أن يأجرنى الله. ثم أضاف: أما والذى بعثك بالحق، لأننا كنت أشد فرحاً بإسلام عمك أبى طالب منى بإسلام أبى.

ثم يختم حديثه بقوله: ثم بحسبنا فى المعقولات - كمثال أيضاً - أن أباً طالب، بكل المعايير، قد نصر الإسلام ونيته، كما لم يكن مثله نصير فى العالمين...

فإذا رأى راء تحرى مواقف الشيخ - فداءً وحمايةً وتعزيزاً - تجاه الإسلام ورسول الله، فالمصادر تجل عن الحصر، والصحف المنيرة فيها كثيرة...

ثم راح يتساءل: أم ماذا يقال فى رجل يقف وحده فى وجه الشرك وقومه

ص: ١٦٤

أجمعين، ليدرأ عن ابن أخيه- مبعوث الله- أن يناله طاغية منهم بمكروه؟
 ما الرأى فيه إذ يحث آله على مساندة محمّد وشدّ أزره، واتباع دينه، ويدفع بولديه: على وجعفر ليكونا جناحيه، اللذين يحلق بهما فى
 سماء الدعوة؟

بأى معيار نعاير حرصه على سلامة رسول الله صلى الله عليه و آله إبان محنة الشعب، إذ يغمى على الناس مرقده، ليلة بعد ليلة، فينأبه
 عنه، ويأمر ولده علياً فيبيت فيه، ليكون هو المقتول لو سعى عدوّ إلى اغتيال الرسول؟... (١) وأخيراً لا- يسعنا إلّا أن نقول لهم ما قاله
 يعقوب لبنيه:

بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (٢).

١- المصدر نفسه.

٢- سورة يوسف: الآية ١٨.

أدب الحجّ في الحجاز و الجزيرة العربية

(من العصر الجاهلي وحتى نهاية العصر الاموي «١٣٢ هـ»)

د. ابراهيم بن عبد العزيز الجميح

تهدف هذه الدراسة إلى محاولة إلقاء الضوء على أدب الحجّ في الحجاز و الجزيرة العربية عموماً في الفترة من العصر الجاهلي إلى نهاية العصر الاموي (١٣٢ هـ). ويشمل أدب الحجّ في هذه الدراسة الشعر والأمثال والخطب.

وقد قسّمت هذه الدراسة إلى ثلاثة أقسام، يتناول القسم الأول تعريف معنى الحجّ في اللغة والدين. ويوضّح القسم الثاني أدب الحجّ في الشعر الجاهلي، والنثر كالأمثال والخطب. أمّا القسم الثالث فيركّز على أدب الحجّ في العصر الإسلامي من ظهور الإسلام وحتى نهاية العصر الاموي، ويشمل الشعر والخطب، وما ظهر في الحياة العلمية في مواسم الحجّ في العصر الاموي من نثر ديني تمثّل في تفسير القرآن والسنة النبوية والفتوى في أحكام الحجّ والعمرة.

١- الحجّ في اللغة والدين:

يُقصد بأدب الحجّ في هذه الدراسة ما صنّف وألّف عن الحجّ سواء كان ذلك شعراً أو نثراً. ويشمل الشعر الجاهلي والإسلامي والخطب والأمثال. وهو يُعبّر عن خواطر الأدباء وقرائح الشعراء في الحجاز و الجزيرة العربية عموماً.

ص: ١٦٦

وللحج مفهوم في اللغة العربية والدين الإسلامي، فما هو معنى الحج لغةً ودينياً؟
 إنّ الحج في اللغة هو القصد، يُقال: حجّ فلان أى قدم وحجّه يحجّه حجاً: أى قصده. وحججت فلاناً فى قصده. ورجل محجوج أى مقصود. وقد حجّ بنو فلان فلاناً إذا أطالوا الاختلاف إليه، وفى هذا المعنى يقول الشاعر الجاهلى:
 وأشهد من عوف حلولاً كثيرة يحجّون سب الزبرقان المزعفرا
 والمعنى هنا أى يقصدونه ويزورنه.

ثم أصبح الحجّ فى العرف يعنى القصد إلى مكّة للنسك والحج إلى البيت الحرام خاصة (١). وجمع الحج: حُجاج وحجيج، ويجمع أيضاً على حُج بالضم وحج بالكسر. يقول الشاعر:
 كأنما أصواتها بالوادى أصوات حج من عُمان عادى
 والمُفرد: حاج، والمفردة: حاجّة وجمعها حواج (٢).

وأشهر الحج هى شوال وذو القعدة وعشر من ذى الحجة وهى وقت الحج.
 يقول تعالى: الْحِجُّ أَشْهُرٌ مَّغْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحِجَّ فَلَا رَفْثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحِجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَغْلُمُهُ اللَّهُ وَتَزُودُوا
 فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولَى الْأَلْبَابِ (٣)

والحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام، التى يتحقّق بها استسلام العبد

١- انظر: محمّد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، بيروت: دار صادر، د. ت، ٢: ٢٢٦.

٢- محمّد بن أبى بكر الرازى، مختار الصحاح، ت. محمود خاطر، القاهرة: دار المعارف، د. ت: ١٢٢-١٢٣. ابن منظور، لسان ٢: ٢٢٦-٢٢٧.

٣- البقرة: ١٩٧.

ص: ١٦٧

وخضوعه لربه تعالى، وهو جامع لما تضمنته الأركان الأخرى، فهو عبادة بدنية كالصلاة والصيام، وعبادة مائية يشبه الزكاة؛ لما يتطلبه من الإنفاق في سبيل الله، وهو أيضاً مجاهدة للنفس والبدن.

والحج في اصطلاح الفقهاء: قصد البيت الحرام؛ لأداء الأفعال المفروضة من الطواف بالكعبة والوقوف بعرفة محرماً بنية الحج (١). وقد عرف العرب الحج قبل الإسلام، منذ أن أمر الله عزوجل نبيه إبراهيم عليه السلام بأن يشرعه للناس، وكانت العرب قبل الإسلام تحج البيت على دين إبراهيم عليه السلام، فتلبى تلبية الحج وتطوف البيت وتسعى وتقف بعرفة، وتؤدي جميع مناسك الحج من المبيت بمزدلفة ورمي الجمار والنحر وتعظيم الأشهر الحرم (٢).

ثم حَرَف العرب قبل الإسلام شريعة إبراهيم عليه السلام، فعبدوا الأصنام، وطاف بعضهم حول البيت عرايا (٣)، إلى أن جاء الإسلام، وفُرض الحج، فتغيّر مفهوم الحج وما كان عليه العرب قبل الإسلام.

وقد ورد ذكر الحج وما يتفرّع من لفظه في القرآن الكريم اثنتي عشرة مرّة منها ثمانى مرّات في سورة البقرة. ومن ذلك قوله تعالى: **إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ** (٤).

وجاء ذكر الحج في سورة «آل عمران» في موضع واحد في قوله تعالى: **وَلِلَّهِ**

١- نور الدين عتر، الحج والعمرة في الفقه الإسلامي، حلب: المكتبة العربية، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م: ٧-٨.

٢- انظر: محمّد بن عبد الله بن أحمد الأزرقى، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ت. رشدى الصالح ملحق، ط ٣، مكة المكرمة: مطابع دار الثقافة، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م: ١: ٦٦-٧٤. وانظر: أحمد بن جعفر بن وهب يعقوبى، تاريخ يعقوبى، بيروت: دار صادر، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م: ١: ٢٥٤-٢٥٥.

٣- يعقوبى، تاريخ: ١: ٢٥٤-٢٥٧.

٤- سورة البقرة: الآية ١٥٨.

ص: ١٦٨

عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (١)

وذكر الحج في سورة «التوبة» في موضعين، ومنهما قوله تعالى: وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ (٢).

وورد لفظ الحج في سورة الحج في قوله تعالى: وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٣).

وتحتوى الآيات القرآنية عن الحج على معانٍ أدبية عظيمة عن الحج، تشمل شعائر الحج كالصفا والمروة والطواف والأهله، والهدى، والمسجد الحرام، والبيت المطهر، وحرمة الله، والشعائر المقدسة، والمناسك وغيرها من معانى الحج ومناسكه وشعائره. وتحتوى آيات الحج أيضاً على معانٍ كبيرة عن آداب الحج، فلا رث ولا فسوق ولا جدال في الحج. كما تصوّر آيات الحج الحجاج، الذين يقدمون خاشعين من كل فجٍّ؛ ليشهدوا منافع لهم في الحج، وغيرها من الصور البيانية عن هذه الفريضة: الركن الخامس من أركان الإسلام.

وتحتوى كتب التفسير، كجامع البيان في تفسير القرآن للطبري، والكشاف للزمخشري، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، وتفسير القرآن الكريم لابن كثير وغيرهما من كتب التفسير على أدب نثرى يوضح آيات الحج، ويفسرها في صور بيانية نثرية راقية تربط نزول الآية بأسبابها ومكان نزولها. وما زالت تلك الصور البيانية عن الحج في كتب التفسير معيناً لمن أراد فهم هذه الفريضة؛ الركن الخامس من الإسلام.

١- سورة آل عمران: الآية ٩٧.

٢- سورة التوبة: الآية ٣.

٣- سورة الحج: الآية ٢٧.

ص: ١٦٩

٢- الحجّ في الأدب الجاهلي في الحجاز والجزيرة العربية:

ارتبط تاريخ اللغة العربية بتاريخ مَكَّة المكرمة منذ أن بنى إبراهيم عليه السلام الكعبة (البيت الحرام) في الوادي المبارك بمكَّة المكرمة، فنشأت اللغة العربية العدنانية نسبة إلى عدنان بن إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام، ولم تنشأ هذه اللغة مصادفة، بل لقد كان للحج دور في تكوينها وتطويرها وتحسينها، متفاعلاً في ذلك مع الأسواق العربية التجارية والأديبة التي تقام في مواسم الحج، في عكاظ ومجنة وذى المجاز وغيرها من الأسواق العربية (١)، التي كانت تُقام قريباً من مكَّة المكرمة وفي الطريق إلى الحج أو في الطريق من الحج، حيث يظل الحج أيضاً عاملاً هاماً في هذه الأسواق، وفي كل ما جلبته من الخير على اللغة العربية، فقد كانت تفعل فعلها البطيء في تجميع العرب وتقريب مجتمعاتهم، فكانت تعتبر إرهاباً ببوادر الدعوة النبوية على يد الرسول محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢).

وكانت أكثر هذه الأسواق حولية تُقام في أيام معلومات في كل عام، وكانت ميداناً لغير البيع والشراء والتجارة؛ فقد كان فيها تناشد الأشعار، وكان فيها تفاخر وتأثر، وتنافر ومقارعة ومعاضمة، فيفوز في هذا أقوام ويخسر آخرون، وتحتفل العرب لها الاحتفال اللائق بها، وكان لهم حكام معلومون يفضون المشاكل بين القبائل، ولهم محكمون يحتكم إليهم الناس في مناظراتهم وأشعارهم، كما لهم في هذه الأسواق خطباء (٣).

١- حول أسواق العرب في الجاهلية، انظر: سعيد الأفغاني، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، القاهرة: دارالكتب الإسلامي، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م: ١٩٣-٣٥٩.

٢- انظر: عبد العزيز الرفاعي، الحج في الأدب العربي، بحوث المؤتمر الأول للأدباء السعوديين، جامعة الملك عبد العزيز، جدة: شركة المدينة للطباعة والنشر، د. ت. ٣: ١٠٠٧-١٠٠٨. وانظر أيضاً: الرفاعي، الحج في الأدب العربي، ط ٢، المدينة المنورة ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م: ١٥-١٨.

٣- الأفغاني: أسواق العرب: ٢٠٥.

ص: ١٧٠

والمواقع، أنّ الاختلاط القائم بين القبائل العربيّة في أسواق الحج الموسميّة، أثر في اللّغة والدين والعادات، فقد ترتب على قيام قريش على هذه الأسواق لأعوام طويلة قبل البعث النبويّة، أن تتبوّأ في اللّغة المكان الأعلى؛ لأنّ لغات القبائل عامّة من اليمن وعمّان والشام والعراق ونجد وتهامة، تطرق مسامع قريش على الدوام، فتختار منها ما يحسن، وتنفي ما يقبح، وقد كانت على هذا الاصطفاء اللّغوي زمناً كافياً حتى خلصت لها هذه اللّغة الممتازة، وتهيأت لينزل بها القرآن الكريم على أفصح وجه وأبلغه وأتمّه كمالاً وسلاسةً وجمالاً (١).

وكان الشعراء الذين ينظمون الشعر؛ لينشدوه بعكاظ وغيرها من الأسواق في الجزيرة العربيّة، يتوخون اللّغة المجمع على فصاحتها، والتي صار لها النفوذ والشيوع، فكانت لهجة قريش هي اللهجة الرسميّة بين لهجات الجزيرة العربيّة كلّها (٢).

كما أثرت هذه الأسواق التي تُقام في مواسم الحج في التبادل اللّغوي، وفي العادات بين أبناء القبائل العربيّة في الجزيرة العربيّة، ذلك أنّ أيّ اختلاط بين فريقين لابدّ أن ينتهي بأثر في كلّ منهما، فاليمني يأخذ شيئاً من أخلاق الحجازي، والنجدى يحمل ألواناً من عادات العمّاني وهلمّ جرا (٣).

وبالإضافة إلى الأدب المّمثّل في الشعر والنثر، والعادات، لعبت الأسواق العربيّة التي تُقام في مواسم الحج، دوراً كبيراً في الدين لقيام جميع تلك القبائل بمناسك واحدة يؤمّمهم فيها قريش أهل الحرم (٤).

١- الأفغاني، أسواق العرب: ٢٠٦-٢٠٧.

٢- المصدر نفسه: ٢٠٧.

٣- المصدر نفسه: ٢٠٧.

٤- المصدر نفسه: ٢٠٧.

ص: ١٧١

الحج في الشعر الجاهلي:

كان للحج وما يتصل به من مشاعر، ومواطن، ومعان، مكانة رفيعة في شعر قريش، فهي إنما تصدر في ذلك عن طبيعة بيئتها، فلقد كان في مكة البيت الحرام، والمشاعر المقدسة، ولقريش تبعه حماية الكعبة وحرمتها والسقاية والرفادة، وكان كل ذلك مصدر اعتزاز قريش.

وكانت قريش في أشعارها تفتخر بمكانتها من البيت وتعتر بحمايته وخدمته، وكذلك فعلت قبيلة جرهم من قبل، التي تحسرت حينما فقدت هذه المكانة، يقول شاعرهم فضاض بن عمرو بن الحارث الجهمي:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

بلى نحن كنا أهلها فأزالنا صروف الليالي والجدود العواثر

وكنا ولاء البيت من بعد نابت نطوف بذاك البيت والخير ظاهر

فسحت دموع العين تبكي لبلده بها حرم آمن وفيها المشاعر

وتبكي لبيت ليس يوذي حمامه يظل به أمناً وفيه العصافر (١)

والواقع أن شعر قريش قد خلد مسميات الأماكن المقدسة، في المشاعر المقدسة وبعض الأماكن والمنازل، مما يحيط بمكة المكرمة أو يقرب منها، كما خلد الشعراء الآخرون المنازل التي تقع في طريق الحج وتتصل به.

ففي المشاعر المقدسة كان صفوان بن جناب بن شجنة بن عطارد بن سعد بن

١- انظر: أبو محمد عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، ت. مصطفى السقا وآخرون، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت ١: ١٢٠-

١٢١، وانظر: عبد الله بن محمّد اسحاق الفاكهي، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، ت. عبد الملك بن دهيش، ط ٢، بيروت: دار

خضر، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م ٣: ١٤٣.

ص: ١٧٢

زيد بن مناة بن تميم، هو الذي يجيز للناس بالحج من عرفه، وفي ذلك يقول أوس ابن تميم السعدي:

لا يبرح الناس ما حجوا مُعرفهم حتى يُقال أجزوا آل صفوانا (١)

وفي مكة أقام عبد المطلب سقاية زمزم للحجيج بعد حفره لبئر زمزم. يروي ابن اسحاق أنه قيل لعبد المطلب بن هشام حين أمر بحفر

زمزم:

ثم أدعُ بالماء الروي غير الكدر يسقى حجيج الله في كل تبر

ليس يخاف منه شيء ما عمر (٢) ويمدح الشاعر مسافر بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس، عبد المطلب بن هشام؛ لسقايته ورفادته

وحفره زمزم، فيقول:

فأى مناقب الخيرات لم تشدد به عضدا

ألم تسق الحجيج وتنحر المدلابة الرفدا

وزمزم من أرومته وتملاً عين من حسدا (٣)

وقال حذيفة بن غانم عن سقاية عبد المطلب بن هاشم، وهي أبيات من قصيدة يرثيه بعد وفاته:

وساقى الحجيج ثم للخير هاشم وعبد مناف ذلك السيد الفهري

طوى زمزماً عند المقام فأصبحت سقاية فخراً على كل ذي فخر (٤)

١- ابن هشام، السيرة ١: ١٢٧.

٢- ابن هشام، السيرة ١: ١٥٣، الفاكهي، أخبار مكة ٢: ١٨.

٣- الأزرقي، أخبار، مكة ٢: ٤٧.

٤- ابن هشام، السيرة ١: ١٥٩، ١٨٥.

ص: ١٧٣

وعند ظهور دعوة الرسول صلى الله عليه وآله، خاف عمّه أبو طالب أن تلحق قريش والعرب به وبقومه الأذى، فقال قصيدته التي تعوّد فيها بخرمه مكّة، رافضاً أن يسلم رسول الله صلى الله عليه وآله حتى يهلك دونه، ولعلّ هذه القصيدة أجمع قصيدة فى العصر الجاهلى ضمت ذكر مشاعر مكّة قبل الإسلام وهى القصيدة اللامية الطويلة التي أوردها ابن هشام فى السيرة النبوية، واحتوت على ذكر البيت والحجر الأسود والصفاء والمروة وحجاج البيت والمشاعر، كعرفه والمزدلفه ومنى والجمرة الكبرى.

ومن أبياتها ما يلى:

ولمّا رأيت القوم لأود فيهم وقد قطعوا كلّ العرى والوسائل
ثمّ يأخذ فى تعداد معالم مكّة ومشاعرها متعوذاً برّبّ الناس قائلاً:
أعوذ برّبّ الناس من كلّ طاعن علينا بسؤ أو ملّح باطل
وبالبيت، حق البيت، من بطن مكّة وباللّه إنّ اللّه ليس بغافل
وبالحجر المسود إذ يمسخونه إذا اكتنفوه بالضحى والأصائل
وموطى إبراهيم فى الصخر رطبه على قدميه حافياً غير ناعل
وأشواط بين المروتين إلى الصفا وما فيهما من صورة وتمائل
ومن حجّ بيت اللّه من كل راكب ومن كل ذى نذر ومن كل راجل

ص: ١٧٤

وبالمشعر الأقصى [المزدلفه] والمنازل من منى وهل فوقها من حُرمة ومنازل

وبالجمرة الكبرى إذا صمدوا لها يؤمون قذفاً رأسها بالجنادل (١)

وذكر الشعراء الجاهليون الحج في أشعارهم، وذلك لقدومهم لمكة، ولارتدادهم مناطق الحج حيث الملتقى الأدبي في عكاظ وغيره من أسواق العرب، وكانت الآمال تداعب مشاهيرهم؛ ليأخذ شعرهم طريقه إلى جوف الكعبة ويصبح من المعلقة.

ومن الشعراء الجاهليين الذين عنوا بذكر الحج وما يتصل به من مشاهد، الشاعر الجاهلي النابغة الذبياني، وينسب إلى قبيلة ذبيان الغطفانية القيسية، وتسكن شرق الجزيرة العربية. فهو في قصيدة له يعتذر للنعمان بن المنذر ويستعطفه حالفاً بمن أمن الطير في الحرم تمرّ به ركبان مكة:

والمؤمن العائذات السير تمسحها ركبان مكة بين الغيل والسعد (٢)

وهو يكرر هذا الحلف في اعتذاره أيضاً للنعمان بن المنذر، وهي من بديع اعتذاراته حيث يقول:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبه وهل يأثمن ذو أمه وهو طائع

بمصطبات من لصاف وثيرة يزرن إلا، سيرهن التدافع

١- ابن هشام، السيرة ١: ٢٩١-٢٩٣.

٢- شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ط ٥، القاهرة، دار المعارف، د. ت: ٢٨٦.

ص: ١٧٥

عليهم شعث عامدون لحجتهم فهم كأطراف الحنئ خواضع (١)

والنابغة هنا، يحلف بالنوق التي تجد في سيرها وتقطع الفيافي إلى الحج، تتدافع مدافعه، وقد أضمها طول السير، وعلى الإبل أناس شعث مغبرون يقصدون الحج.

وتشتمل قصيدة أخرى للنابغة الذبياني، على أبيات عديدة يُذكر فيها وصف رحلة الحج التي قام بها، ويذكر المواضع التي مرّ بها، ويعتذر لصاحبته؛ لأنه في رحلة مقدّسة لا- يحل له فيها لهو النساء، فهو عزم على الدين أو الحج، في ركب من إبل يرجون البرّ والمعروف، ويقول في قصيدته: إن إبله باتت ثلاث ليالي التشريق، ونفرت في الرابعة إلى سوق ذي المجاز. تلتمس لها طريقاً في الزحام، والأبيات هي كالتالي:

قالت: أراك أجا رحل و راحله تغشى متالف لن ينظرنك الهرما

حياك ودّ: فانا لا يحل لنا لهو النساء وإن الدين قد عزمنا

مشمريين على خوص مزمنة نرجو الإله ونرجو البرّ والطعما

ويقول عن إبله:

باتت ثلاث منى من ثم واحدة بذى المجاز تراعى منزلا زيمما (٢)

ويقسم الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى، وهو من قبيلة مُزينة التي تنزل بنجد شرقي المدينة، بالبيت، في معلقته، ويذكر الطواف حوله مُشيراً إلى قريش وجرهم الذين بنوه، فيقول:

١- ضيف، العصر الجاهلي: ٢٨٩.

٢- الرفاعي، الحج في الأدب العربي: ٢٨-٣٠.

ص: ١٧٦

فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله رجال بنوه من قريش وجرهم (١)

ويشير الشاعر عمرو بن كلثوم، في معلقته إلى الأبطح بمكة، ويفخر بقومه إذا ضرب العرب خيامهم بالابطح بمكة فيقول:

وقد علم القبائل من قصد إذا قُبُّ بأبطحها بُينا (٢)

أما الشاعر الجاهلي لبيد بن ربيعة العامري من قبيلة عامر بشرق الجزيرة، فيذكر في معلقته منى، والأشهر الحرم، فيقول:

عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبد غولها فرجامها

دمن تجرم بعد عهد أنيسها حجج خلون حلالها وحرامها

فهو هنا، يذكر توخش الديار بمنى بعد عهد الذين يسكنون بها، وحلالها وهي الشهور الحل، وهي ثمانية أشهر، وحرامها وهي الشهور

الحرم، وهي أربعة أشهر، رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم (٣) أما الشاعر الجاهلي امرؤ القيس بن حجر وهو من قبيلة كندة

اليمنية، فهو يحزن لفراق مكة والمحصب، فيقول:

فله عينا من رأى من تفرق أشت، وأناى من فراق المحصب (٤)

ويذكر الشاعر الجاهلي قيس بن الخطيم، وهو من الأوس بيثرب، في شعره

١- محمد بن القاسم الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ت. عبد السلام محمد هارون، القاهرة، ١٩٦٣: دار المعارف:

.٢٥٣

٢- الأنباري، شرح القصائد السبع: ٤١٧.

٣- الأنباري، شرح القصائد السبع: ٥١٧-٥٢١.

٤- الفاكهي، أخبار مكة ٤: ٧٧.

ص: ١٧٧

منى، فيقول:

ديار التي كانت ونحن على منى تحل بنا نجاها الركائب
تراءت لنا كالشمس تحت غمامة بدا حاجب منها وضنت بحاجب
ولم أرها إلّا ثلاثاً على منى وعهدى بها عذراء ذات ذوائب (١)

وبالإضافة إلى الشعر الجاهلي، وما يحتويه من مشاهد عن الحج والبيت الحرام وحرمة، والمشاعر في الحج كمنى وعرفات والمزدلفة، احتوى أيضاً النثر الجاهلي في الخطب والأمثال على العديد من معاني الحج ومشاهده.

الحج في النثر الجاهلي:

كان للحج تأثير في الأدب النثري عند العرب قبل الإسلام، وتمثل ذلك في الخطابة والأمثال. وكانت مكة والمشاعر المقدسة تنعكس في النثر الأدبي.

وتعتبر بعض الخطب في العصر الجاهلي عن دين العرب والأشهر الحرم والبيت المحجوج، فعندما قدم النعمان بن المنذر على كسرى خطب خطبة عدّد فيها مناقب العرب، وذكر دينهم وشريعتهم ومما قاله: «وأما دينها وشريعتها، فإنّهم متمسكون به، حتى يبلغ أحدهم نسكه بدينه، أنّ لهم أشهراً حرماً، وبلدةً مُحرماً، وبيتاً محجوجاً، ينسكون فيه مناسكهم، ويذبحون فيه ذبائحهم، فيلقى الرجل قاتل أبيه أو أخيه، وهو قادر على أخذ ثاره، وإدراك رَغمه منه، فيحجزه كرمه، ويمنعه دينه عن تناوله بأذى» (٢).

وافتنخر خطباء بني هاشم في مكة بحرمة البيت وزوّاره. فكان هاشم بن

١- محمّد بن سلام الجمحي، طبقات الشعراء، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م: ٨٩.

٢- أحمد بن محمّد بن عبد ربّه، العقد الفريد، ت. محمّد محيي الدين عبد الحميد، ط ٣، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م. ١: ٢٧٥-٢٧٧.

ص: ١٧٨

عبد مناف يقوم أول نهار اليوم الأول من ذى الحجة، فيسند ظهره إلى الكعبة ويخطب في قريش قائلاً: «يا معشر قريش، أنتم سادة العرب، أحسنها وجوهاً، وأعظمها أحلاماً... يا معشر قريش، أنتم جيران بيت الله... واسألكم بحرمه هذا البيت ألا يخرج رجل منكم من ماله، لكرامة زوار بيت الله ومعونتهم إلا طيباً...» (١).

وعندما تولى عبد المطلب بن هاشم السقاية والرفادة بعد عمه المطلب، وأصبح له الشرف في قومه وعظم شأنه. قام بحفر زمزم، وهي بئر إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، التي أسقاه الله منها. وتشير بعض الروايات في سبب حفرها أن عبد المطلب قال: «بينما أنا نائم بالحجر إذ أتاني آت... فقال: احفر زمزم، إنك إن حفرتها لا تندم، فقلت وما زمزم؟ قال: «تراث أبيك الأعظم، لا تنزف أبداً ولا تندم، تسقى الحجيج الأعظم...» (٢).

وحين خطب أبو طالب في زواج الرسول صلى الله عليه وآله بالسيدة خديجة رضي الله عنها قال: «الحمد لله الذي جعلنا من زرع إبراهيم، وذرية إسماعيل، وجعل لنا بلداً حراماً، وبيتاً محجوجاً...» (٣).

وبالإضافة إلى الخطب عند العرب قبل الإسلام، تحتوى كتب اللغة كلسان العرب لابن منظور وكتب الأمثال كمجمع الأمثال للميداني، على أمثال تتعلق بالحج، حيث ذكر الحج في أمثال العرب القديمة، فقول: «أقبل الحاج والداج»، والحاج هم الذين يحجون، والداج هم الذين يأتون معهم من الأجراء والمكارين والأعوان ونحوهم، وقيل هم الذين يدبّون في أثر الحاج من التجار وغيرهم ولم

١- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب العصر الجاهلي و عصر صدر الإسلام، ط ٢، القاهرة: مكتبة ومطبعة البابي الحلبي، ١٣٨١ هـ / ١٩٦٢ م، ١: ٧٤.

٢- ابن هشام، السيرة ١: ١٥١، صفوت، جمهرة خطب العرب ١: ١٠١-١٠٢.

٣- صفوت، جمهرة خطب العرب ١: ٧٧.

ص: ١٧٩

يكن الحجّ قصدهم (١). وفي نفس المعنى يُقال: «ما حجّ ولكنه دج» (٢).

ومن أمثال العرب أيضاً في الحجّ قولهم: «لجّ فحجّ»، ومن معانيه أن رجلاً خرج يطوف في البلاد، فاتفق حصوله بمكة فحجّ من غير رغبة منه، فقيل: لجّ في الطواف حتى حجّ، ويضرب المثل للرجل يبلغ من لجاجته أن يخرج إلى شيء ليس من شأنه (٣). ومن معانيه أيضاً أنه لجّ وتمادى به لجاجه، وأداه اللجاج إلى أن يحج البيت الحرام، وقيل في معناه أيضاً: إنه هاجر أهله بلجاجة حتى خرج حاجاً (٤).

ومن أمثال العرب في الحجّ قولهم: «كارهاً حجّ بيطر» وبيطر اسم رجل، ويضرب هذا المثل لمن يصنع المعروف كارهاً لا رغبة له فيه (٥). واستمرت هذه الأمثال تستعمل عند العرب بعد الإسلام، وما زال بعضها يستعمل حتى اليوم.

ومن أمثال العرب المولدة، التي استحدثت ولم تكن من كلامهم فيما سبق، قولهم: «أنفقت مالى وحجّ الجمل» وقولهم: «من تلذذ الحجّ ضرب الجمال» (٦).

٣- الحجّ في الأدب الإسلامي في الحجاز والجزيرة العربية إلى نهاية العصر الاموي:

يحتوى أدب الحجّ الإسلامي في الحجاز والجزيرة العربية، سواء كان شعراً أو نثراً على العديد من الألفاظ والمعاني التي تتناول الحجّ والبيت الحرام، والمشاعر، كمنى وعرفة ومزدلفة والجمرات؛ وركب الحجّ، والتغزل بالحاجات.

١- ابن منظور، لسان العرب ٢: ٢٢٧، ٢٦٣-٢٦٤.

٢- أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال، ت. محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة: مطبعة السنيّة المحمديّة، ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م،

٢: ٢٨٥. ابن منظور، لسان العرب ٢: ٢٢٧.

٣- الميداني، الأمثال: ١٩٧.

٤- ابن منظور، لسان العرب ٢: ٢٢٨.

٥- الميداني، الأمثال ٢: ١٦٠.

٦- المصدر نفسه ٢: ٣٢٩، ٣٥٨.

ص: ١٨٠

والجدير بالذكر، أن شعر الحج في عصر النبوة والراشدين يختلف عن شعر الحج في العصر الاموى. حيث ظهر في العصر الاموى الشعر الذى يتغنى بالحاجات، والذى سجّله كتب التاريخ والأدب.

الحج في الشعر الإسلامى في عصر النبوة والراشدين:

كان الشعر في عصر الرسول صلى الله عليه و آله ينصبّ على الدفاع عن الرسول صلى الله عليه و آله ودعوة الإسلام، والردّ على مشركى قريش وشعرائهم. ولكن الحج ومشاهده مع ذلك ورد في شعر ذلك العصر بالرغم من أنّ المشركين كانوا يتولون الحج إلى العام التاسع من الهجرة (٦٣١ م)، وهى أول حجة في الإسلام، وقد أناب الرسول صلى الله عليه و آله أبا بكر أولاً ثم أرسل مكانه على بن أبى طالب؛ ليقرا عليهم سورة براءة (١)، التى يتبرأ فيها الرسول صلى الله عليه و آله ممن يحجّ من المشركين بعد هذا العام إلى مكّة.

وبعد هجرة الرسول صلى الله عليه و آله واستقراره بالمدينة وظهور الدين الإسلامى، يذكر الشاعر أبو قيس صرّمة فى قصيدة له ما خصّ الله سبحانه وتعالى أهل يثرب وأكرمهم بنزول الرسول صلى الله عليه و آله عليهم، فيقول:

ثوى فى قريش بضع عشرة حجة يذكّر لو يلقى صديقاً مواتياً

ويعرض فى أهل المواسم نفسه فلم ير من يؤوى ولم ير داعياً

فلما أتانا أظهر الله دينه فأصبح مسروراً بطيبة راضياً (٢)

وخلال غزوات الرسول صلى الله عليه و آله لنشر الإسلام وتدعيم الدعوة الإسلامية والحفاظ على سيادتها فى الجزيرة العربية، تناول بعض الشعراء انتصارات الرسول صلى الله عليه و آله شعراً، وذكروا فيه معانى ومشاهد عن الحج. فهذا الشاعر حسان بن

١- سورة التوبة، الآية ٩.

٢- ابن هشام، السيرة ٢: ١٥٨، الأزرقى، أخبار مكّة ٢: ١٤٧-١٤٨.

ص: ١٨١

ثابت يحلف في قصيدة له برَبِّ الإبل الماشية في منى بالمشعر الحرام. حيث يقول:

كَلَّا وَرَبِّ الرَّاغِصَاتِ إِلَى مَنَى يَقَطَعْنَ عُرْضَ مَخَارِمِ الْأَطْوَادِ (١)

وعندما قدم الوفود على الرسول صلى الله عليه وآله بالمدينة في العام التاسع من الهجرة، كان منهم وفد همدان، فعاهدوا الرسول صلى الله عليه وآله وبايعوه، فكتب لهم الرسول صلى الله عليه وآله كتاباً، فقال في ذلك أحدهم وهو مالك بن نَمَطٍ أحياناً يمدح فيها

الرسول صلى الله عليه وآله ويحلف برَبِّ الإبل التي تسير في منى، حيث يقول:

حَلَفْتُ بِرَبِّ الرَّاغِصَاتِ إِلَى مَنَى صَوَادِرَ بِالرَّكْبَانِ مِنْ هَضْبِ مَرْدِدٍ

بَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ فِينَا مُصَدِّقُ رَسُولٍ أَتَى مِنْ عِنْدِ ذِي الْعَرْشِ مَهْتَدِي (٢)

وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله قام حسان بن ثابت يبكي الرسول صلى الله عليه وآله في قصيدة طويلة، ومنها أبيات يذكر فيها الحرم والجمرة الكبرى، فيقول:

أَمَسَتْ بِلَادَ الْحَرَمِ وَحَشَا بَقَاعَهَا لَغِيْبَهُ مَا كَانَتْ مِنَ الْوَحَى تَعْهَدُ

وَبِالْجَمْرَةِ الْكُبْرَى لَهُ ثُمَّ أَوْحَشَتْ دِيَارًا وَعَرَصَاتٍ وَرَبْعٍ وَمَوْلِدٍ (٣)

وفي عهد الخلفاء الراشدين يرد الحج على لسان الشعراء في مناسبات عديدة.

ففي عهد الخليفة عمر بن الخطاب، يشتكى أحد الشعراء الخليفة من بعض الولاة فيقول:

١- ابن هشام، السيرة ٣: ٢٩٨.

٢- ابن هشام، السيرة ٤: ٢٤٥-٢٤٦.

٣- ابن هشام، السيرة ٤: ٣١٧-٣١٩.

ص: ١٨٢

نحج إذا حجّوا ونغزوا إذا غزوا فأنى لهم وفر ولسنا بذي وفر (١)

ويقول الشاعر المخضرم أمية بن حرثان الليثي، وكان شيخاً كبيراً، وكان ولداه هاجرا إلى البصرة زمن الخليفة عمر بن الخطاب، فقال يشتكى عمر ويطلبه أن يعيد له ابنه كلابا، ذاكراً الحج في شعره ويقول:

سأستعدى على الفاروق ربا له عمد الحجيج إلى بساق

إذا الفاروق لم يرد كلابا إلى شيخين هامهما زواقي (٢)

فلما سمع الخليفة هذين البيتين، أرسل إلى أمير البصرة أن يرد كلابا إلى شيخيه ففعل.

الحج في الشعر الإسلامي في العصر الاموي:

تطوّر الشعر وفنونه في العصر الاموي (٤١- ١٣٢ هـ) وازدهرت الحياة الأدبية في الحجاز خاصية والجزيرة العربية عامة. وصوّر الشعراء الحجّ ومناسكه ومشاعره في قصائدهم، وخاصّة في الشعر الغزلي بالنساء خلال أداء مناسك الحج، كالطواف ورمي الجمار وأيام منى.

وتحتوي كتب الأدب ودواوين الشعر على الكثير من هذا الشعر، الذي يصوّر الحج وما يحدث فيه من مشاهد.

وقد نشأ في مكة المكرمة والمدينة المنورة في العصر الاموي الشعر الغزلي وتناول في جوانبه مشاهد الحج، وكان الشاعر عمر بن أبي ربيعة المخزومي صاحب هذه المدرسة الشعرية الجديدة، تبعه في ذلك تلميذه العرجي وهو عبدالله بن عمرو

١- يحيى الجبورى، شعر المخضرمين، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٦٤ م، ص ٣٢٢. وانظر ايضاً: هزاع الشمري، الخلفاء الراشدون في الشعر العربي، ط ٢، القاهرة: مطابع التقدم، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م: ٨٩-٩٠.

٢- ابن سلام، طبقات الشعراء: ٧٢-٧٣.

ص: ١٨٣

ابن عثمان، الذي كان يسكن منطقة العُرج قرب الطائف، وغيرهما من الشعراء الذين صَوَّروا الحج ومشاهده في شعرهم. وكان طبيعياً أن يتأثر شعراء الحجاز بعمر بن أبي ربيعة والعرجي وغيرهما بالبيئة القرشية الجديدة، والتغير الذي أصاب الحياة في الحجاز نتيجة للفتوحات الإسلامية، وإنسياب الأموال على الحجاز، والتغير الاجتماعي الذي أصاب مجتمع الحجاز نتيجة لذلك. وقام أصحاب هذا الشعر الغزلي يصفون الحج، ويلهجون بأسماء مشاهد الحج وبعض النساء الحسنات من الحجاج، كما ذكروا أوصاف مواسم الحج والإبل والهواج، ومشاهد الحج في عرفة ومنى والصفاء والمروة والمطاف ورمي الجمرات، والإفاضة إلى آخر ما في الحج من مواقف ومشاهد (١).

ويحتوي ديوان الشاعر عمر بن أبي ربيعة على العديد من الأبيات الشعرية التي تصف الحج، كما توجد أشعاره التي تصف الحج في العديد من كتب الأدب.

ويتناول عمر بن أبي ربيعة في قصيدة له الحج ومشاهده، ويمتزج في هذه القصيدة الحنين إلى مكة، ومعالم الحج، بالذكريات التي اقترنت بمواقفه الغزلية، بعد أن قضى رداً من الزمن باليمن، وفي هذه القصيدة يقول عمر بن أبي ربيعة:

هيهات من أمه الوهاب منزلنا إذ حللنا بسيف البحر من عدن

واحتل أهلك «أجياداً» وليس لنا إلا التذكر أو حظ من الحزن (٢)

ويستمر عمر بن أبي ربيعة في قصيدته ذاكراً مشاهد الحج في غزله بمحبوبته فيقول:

١- الرفاعي، الحج في الأدب العربي: ٣٤-٣٦.

٢- انظر: علي بن الحسين الأصبهاني، كتاب الأغاني، طبعه مصورة عن طبعه دار الكتب، القاهرة: د. ت ١: ١١١.

ص: ١٨٤

ما أنسى لا أنسى يوم الخيف موقفها وموقفى وكلانا ثم ذو شجن

إن كنت حاولت دنيا أو ظفرت بها فما أخذت بترك الحج من ثمن (١)

وبالرغم من تغزل عمر بن أبي ربيعة بصاحباته في الأماكن المقدسة، إلا أنه كان يشعر بالتحرج والتأثم؛ لما يتطلبه الموقف العظيم في

الحج من خشوع، يقول في إحدى قصائده:

نظرت إليها بالمحصب من منى ولى نظر لولا التحرج عارم (٢)

وفي أبيات أخرى يقول عمر بن أبي ربيعة:

أفسد الحج علينا نسوة من عبد شمس كن للموسم زينا (٣)

وبالرغم من ذلك، يتمنى عمر بن أبي ربيعة أن يتكرر الحج على مدار السنة؛ لتعلق قلبه بحبيبته التي يراها في منى، حيث يقول:

أيها الراكب المجدد ابتكارا قد قضى من تهامة الأوطارا

من يكن قلبه صحيحاً سليماً ففؤادى بالخيف أمسى معارا

ليت ذا الدهر كان حتماً علينا كل يومين حجةً واعتماراً (٤)

ويتغزل الشاعر عمر بن أبي ربيعة بعائشة بنت طلحة بن عبيدالله التيمي، بعد أن رآها ترمى الجمار، وكان يطوف حولها ويتعرض لها،

وهي تكره أن يرى وجهها، وفيها يقول:

١- الأصبهاني، الأغاني ١: ١١١.

٢- المصدر نفسه ١: ١٢٧، ٢٦٠.

٣- الفاكهي، أخبار مكة ١: ٣١٤.

٤- الأصبهاني، الأغاني ١: ١٦٧.

ص: ١٨٥

فمكثن حيناً ثم قلن توجهت للحج، موعدها لقاء الأخشب

فلقيتها تمشى تهادى موهنا ترمى الجمار عشية في موكب (١)

أما الشاعر العرجى فيتغزل بمحبوبته وهي نافرة من منى فيقول معاتباً:

عوجى علىّ فلسمى جبرُ فيما الصدود و أنتم سفرُ

ما نلتقى إلّا ثلاث منى حتى يُفارق بيننا النفرُ (٢)

كما يذكر العرجى بعض النساء اللاتي يحججن ليفتن الرجال، حيث يقول:

أماطت كساء الخز عن حرّ وجهها وأدنت على الخدين برداً مهلاً

من اللاتي لم يحججن يبعين حسبه ولكن ليقتلن البرىء المُغفلا (٣)

وعندما تولّى الخلافة هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥ هـ) عيّن خاله محمّد بن هشام والياً على مكّة المُكرّمه، وكتب إليه أن يحج

بالناس، فهجاه العرجى بأشعار كثيرة، ومنها قوله:

كأن العام ليس بعام حجّ تغيّرت المواسم والشكول

ومنها قوله:

ألا قل لمن أمسى بمكّة قاطناً ومن جاء من عمق و نقب المسلل

١- الأصبهاني، الأغاني ١: ٢٠١.

٢- المصدر نفسه ١٨: ٣٣٢-٣٣٣.

٣- الفاكهي، أخبار مكّة ١: ٣١٤. الأصبهاني، الأغاني ١: ٤٠٤.

ص: ١٨٦

دعوا الحج لا تستهلكوا نفقاتكم فما حج هذا العام بالمتقبل
وكيف يُزكى حج من لم يكن له إمامٌ لدى تجميره غيرُ دلدلٍ (١)
ويشيب العرجى بجنداء وهي أم محمّد بن هشام ويذكرها بمنى فيقول:
نلبث حولًا كاملًا ما نلتقى إلّاعلى منهج
في الحجّ إن حجت وماذا منى وأهله إن هي لم تُحجّج
وعندما أنشد عالم مكّة عطاء بن أبي رباح قول العرجى هذا، قال:
الخير واللّه كلّه بمنى وأهله حجت أو لم تُحجّج (٢)
ويذكر الشاعر عبيد اللّه بن قياس الرقيات في شعره البيت الحرام ومنى والجمار وبعض طرق الحج ومناهله في قصيدة في ديوانه يمدح
فيها مصعب بن الزبير ويفتخر بقريش حيث يقول:
أفقرت بعد عبد شمس كداء فكدي فالركنُ فالبطحاء
فمنى فالجمار من عبد شمس مقفرات فبلدح فجِراء
فالخيام التي بعسفان فالجحفه منهم فالقاع فالابواء
قد أراهم وفي المواسم إذ يغدون حلّم ونائلٌ وبهاء
ليس لله حُرمة مثل بيت نحن حجابيه عليه الملاء
خصّه الله بالكرامة فالبادون والعاكفون فيه سواء (٣)

١- الأصبهاني، الأغاني ١: ٤٠٦.

٢- المصدر نفسه ١: ٤٠٧.

٣- عبيد اللّه بن قياس الرقيات، ديوان، ت. محمّد يوسف نجم، بيروت: دار صادر ودار بيروت، ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ م: ٨٧-٨٨، ٩٥.

ص: ١٨٧

وفي قصيدة أخرى في ديوانه، يمدح عبيدالله بن قيس الرقيات عبدالله بن الزبير، وقد خرج إليه وإفداً في مكة فيذكر البيت وعرفات حيث يقول:

أنت ابن مُعتلج البطح كديها فكدائها

فاليبت ذى الأركان فالمستنّ من بطحائها

فمحلّ أعلاها إلى عرفاتها فحرائها

أو في قريش بالعلی فی حکمها وقضائها (١)

ولم يخل ديوان عبدالله بن قيس الرقيات من الغزل في مواسم الحج. يقول في الثرياء:

حبذاء الحج والثريا ومن بالخيف من أجلها وملقى الرحال

دره من عقائل البحر بكر لم تنلها مثاقب اللال

قطنت مكة الحرام فشطت وَعَدَتني نواب الأَشغال (٢)

ويتناول الشاعر عمرو بن أذينة، واسمه يحيى بن مالك بن الحارث الليثي، وهو من شعراء المدينة، في شعره البيت الحرام، وزمزم

ومشاعر الحج كمنى، فيقول في أبيات:

نزلوا ثلاث منى بمنزل غبطة وهم على عَرَضٍ لعمرك ما همم

متجاورين بغير دار إقامة لو قد أجد رحيلهم لم يندموا

ولهنّ بالبيت الحرام لبانه والبيت يعرفهنّ لو يتكلّم

١- ابن قيس الرقيات، ديوان: ١١٧.

٢- ابن قيس الرقيات، ديوان: ١١٢-١١٣. الأصبهاني، الأغاني ١: ٢١٣.

ص: ١٨٨

ولو كان حياً قبلهنّ ظعائناً حيا الحطيم وجوهنّ وزمزم (١)

أمّا الشاعر الحجازي كثير وهو من خزاعة وينزل المدينة، فيذكر تفرّق الحجيج من منى بعد أيام التشريق حيث يقول:

تفرّق أهواء الحجيج على منى وصدعهم شعب النوى صُبح رابع

فريقان: منهم سالك بطن نخله وآخر منهم سالك بطن تضرع

فلم أر داراً مثلها دار غبطةٍ وملتقى إذا التفّ الحجيج بمجمع (٢)

وفى نفس المعنى يقول أحد الشعراء:

ولما قضينا من منى كلّ حاجةٍ ومسح بالأركان من هو ماسح

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطى الأباطح (٣)

ويتغزّل الشاعر ذو الرمة، وهو غيلان بن عقبه بن حارثه، بخرقاء إحدى نساء بنى عامر بن ربيعة أثناء حجّها، فيقول فيها:

تمام الحجّ أن تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام (٤)

أمّا الشاعر مجنون بنى عامر وهو قيس بن الملوّح، فقد تعلق قلبه بليلي وهام بها، وقد حجّ به أبوه ليشفيه، وفي منى سمع صائحاً يصيح

فى الليل قائلاً: يا ليلي،

١- الفاكهي، أخبار مكّة ١: ٣١٤-٣١٥. الأصبهاني، الأغاني ١٨: ٢١٣.

٢- الأصبهاني، الأغاني ١٨: ٣٣٢-٣٣٣.

٣- الفاكهي، أخبار مكّة ١: ٣٤٦. حيث يورد هذه الأبيات يتغنّى بها بعض الحجاج بعد أن أداء مناسك الحجّ. انظر أيضاً: ياقوت بن

عبد الله الحموي، معجم البلدان، بيروت: دار صادر، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م. ٥: ١٩٨-١٩٩.

٤- الأصبهاني، الأغاني ١٨: ٣٦-٣٨.

ص: ١٨٩

يبحث عن تائهة اسمها ليلي، فسقط مجنون ليلي مغشياً عليه، وعندما أصبح أنشد يقول:

وداعٍ دعا إذ نحن بالخيف من منى فهيج أحزان الفؤاد وما يدرى

دعا باسم ليلي غيرها فكأتما أطار بليلي طائراً كان في صدري

دعا باسم ليلي ضلل الله سعيه وليلي بأرضٍ عنه نازحه قفر (١)

وفى قصيدة أخرى، يقول مجنون بنى عامر عن ليلي، وهى بمنى ترمى الجمار الأبيات التالية:

ولم أر ليلي بعد موقف ساعهٍ بخيف منى ترمى جمار المحصبِ

ويبدى الحصى منها إذا قذفت به من البردِ أطراف البنان المخضبِ

فأصبحت من ليلي الغداة كناظر مع الصبح فى أعقاب نجم مُغربِ

ألا إنما غادرت يا أم مالكِ صدى أينما تذهب به الريحُ يذهب (٢)

ويصور شعراء النقائض كجرير والفرزدق الكثير من معانى الحج ومشاهده فى ديوانيهما. وذلك فى المدح والهجاء والفخر.

فالشاعر جرير المولود باليمامة من نجد، يُشير إلى الحج ومواسمه فى شعره، فيقول من قصيدة يمدح فيها الخليفة عمر بن عبد العزيز

الأبيات التالية:

كم بالمواسم من شعثناء أرملة ومن يتم ضعيف الصوت والبصرِ

يدعوك دعوةً ملهوف كأن به خبلاً من الجن أو خبلاً من النسرِ (٣)

١- الأصبهاني، الأغاني ٢: ٢١-٢٢. الرفاعي، أدب الحج: ٤١-٤٢.

٢- الأصبهاني، الأغاني ٢: ٣٣.

٣- جرير بن عطية الخطفي، شرح ديوان جرير، ط ١، ت. إيليا حاوي، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢: ٣٣٢-٣٣٤، الأصبهاني،

ص: ١٩٠

ويمدح الشاعر جرير، خالد بن عبد الله القسري- وكان والياً على مكّة في عهد الخليفة الاموي الوليد بن عبد الملك-، ويقول: إن أجداده كانوا يمتدحون عندما يجتمع الحجيج في مكّة، وفي أبيات من قصيدته يقول:

إذا عدّ أيام المكارم فافتخر بأبائك الشم الطوال السواعد
يسرّك أيام المحصب ذكرهم وعند مقام الهدى ذات القلائد (١)

ويمدح جرير الوالي الاموي الحجاج بن يوسف الثقفي، بأنّه أمن سبل الحجاج فلم يعد يغير عليهم اللصوص فيقول:

ولقد كسرت سنان كلّ منافق ولقد منعت حقائب الحجاج (٢)

ويفخر جرير على الفرزدق، ويطلب منه أن يسأل الحجاج عن مكانته ومكانة قبيلته فيقول:

وإذا الحجيج إلى المشاعر أوجفوا فسأل كنانة وأسأل الأنصارا (٣)

ويهجو جرير الفرزدق وقومه، ويقول: إنّ الحجاج بالمشاعر في منى وعرفه نادوا بغدرهم بعبدالله بن الزبير، فيقول:

ألم تر أنّ الله أخزى مجاشعاً إذا ضم أفواج الحجيج المعرف
ويوم منى نادت قريش بغدرهم ويوم الهدايا في المشاعر عكف (٤)

١- جرير، ديوان: ٢٠٧، ٢١٠.

٢- المصدر نفسه: ١١٢.

٣- المصدر نفسه: ٢٧٥.

٤- المصدر نفسه: ٤٦٠.

ص: ١٩١

أما الشاعر الفرزدق، فيحتوى ديوانه على العديد من صور الحج ومشاهده، ففي قصيده له في هجاء جرير يقول:

حلفت برّب مكّه والمصلّى و أعناق الهدى مقلدات (١)

ويهجو الشاعر الفرزدق الشاعر الطرمّاح الطائي، فيقول:

سألت حجيج المسلمين فلم أجد ذبيحه طائي لمن حج حلت (٢)

ويمدح الفرزدق الخليفة سليمان بن عبد الملك، فيقول: إنّ المسلمين نذروا أن يحجّوا حفاةً وبصوموا سنتين إذا ولىّ الخلافة، فيقول:

كم فيك إن ملكت يداك لنا يوماً نواصينا من النذر

من حجّ حافيةً و صائمه سنتين أم أفيرخ زعر (٣)

ويمدح الفرزدق الخليفة الاموى عمر بن عبد العزيز ويريد الحج وزيارته في مكّه فيقول:

تريد معه الحجّ ابن ليلي كلاهما لصاحبه خير تُرجى فواضله

زيارة بيت الله وابن خليفه تحلب كفاه الندى وأنامله (٤)

ويمدح الفرزدق والى البصرة، الحكم بن أيوب بن أبى عقيل فيقول:

١- همام بن غالب بن صعصعة الفرزدق، ديوان الفرزدق، ت. أكرم البستاني، بيروت: دار بيروت، ١٤٠٠ / ١٩٨٠ م، ١: ١٠٨.

٢- الفرزدق، ديوان ١: ١١٥.

٣- المصدر نفسه ١: ٢٦٣.

٤- المصدر نفسه ٢: ٨١.

ص: ١٩٢

حلفت بما حجت قريش و نحرت غداة مضى العشر المجللة الهدلا

لقد أدركت كفاك نفس بعدما هويت ولم تثبت بها قدمٌ نعلًا (١)

ولم تخل المشاعر من الفخر بين جرير والفرزدق، فقد التقى جرير والفرزدق بمنى وهما حاجان، فقال الفرزدق لجرير:

فإنك لاقٍ بالمنازل من منى فخاراً فخبّرني بما أنت فاخرٌ

فقال له جرير: «لييك اللهم لبيك» فاستحسن هذا الجواب من جرير وأعجب الناس برده (٢).

والملاحظ، أن بعض الولاة كانوا يتخذون مواقف نتيجة لشعراء الغزل في الحجاز. فعندما ولى خالد بن عبد الله القسري مكة المكرمة،

في عهد الخليفة الوليد ابن عبد الملك، بلغه قول الشاعر:

يا حبذا الموسم من موفد وحبذا الكعبة من مشهد

وحبذا اللاتي يزاحمننا عند استلام الحجر الأسود

فقال خالد: أما إنهن لا يزاحمنك بعد هذا، فأمر بالتفريق بين النساء والرجال في الطواف، فكان أول من فرق بين الرجال والنساء في

الطواف (٣).

وصور بعض الشعراء الأحداث السياسية التي حصلت في موسم الحج، وأشاروا إلى الحجاج في شعرهم، فعندما تغلب أبو حمزة

الخارجي على مكة المكرمة في موسم حج عام ١٢٩ هـ، وفرّ إليها عبد الواحد، وتركها لأبي حمزة

١- الفرزدق، ديوان ٢: ١٢٨.

٢- الأصبهاني، الأغاني ٨: ٣٣-٣٤.

٣- الأزرقى، أخبار مكة ٢: ٢٠-٢١.

ص: ١٩٣

الخارجي، قال أحد الشعراء في مكّة:

زار الحجيج عصابةً قد خالفوا دين الإله ففرّ عبد الواحد

ترك الحلائل والإمارة هارباً ومضى يخبط كالبعير الشارد (١)

الحج في النثر الإسلامي في عصر النبوة والراشدين:

كان للحجّ ومشاعره تأثير كبير في النثر الإسلامي منذ عصر النبوة والخلفاء الراشدين إلى نهاية العصر الاموي. وتمثّل ذلك في الخطب التي احتوت على العديد من معاني الحجّ وصوره.

وتشير كتب السيرة، كسيرة ابن هشام، وكتب التاريخ كتاريخ الطبري، وغيرها إلى خطب الرسول صلى الله عليه وآله عندما فتح مكّة وما ذكره من حرمتها، ثمّ براءته من المشركين في حج عام ٩ من الهجرة، وحجّة الوداع وخطبته فيها.

فعندما فتح الرسول صلى الله عليه وآله مكّة في العام الثامن من الهجرة، أبطل مآثر قريش ما عدا سدان البيت، أي خدمة الكعبة المشرفة، وسقاية الحج، فقال عليه الصلاة والسلام يوم فتح مكّة، وكان واقفاً على باب الكعبة:

«لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى، فهو تحت قدمي هاتين، إلّا سدان البيت، وسقاية الحاج...» (٢).

وبعد فتح مكّة أعاد الرسول صلى الله عليه وآله للبيت حرمة، ففي اليوم الثاني من فتح مكّة خطب الرسول صلى الله عليه وآله فبين حرمة مكّة، وكانت خزاعة قد عدت على رجل من هذيل فقتلوه وهو مشرك، فخطب الرسول صلى الله عليه وآله قائلاً:

١- محمّد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ت. محمّد أبو الفضل إبراهيم، ط ٤، القاهرة: دار المعارف، د. ت ٧: ٣٧٥-٣٧٦. الأصبهاني، الأغاني ٢٣: ٢٢٩.

٢- ابن هشام، السيرة ٤: ٥٤.

ص: ١٩٤

«يا أيها الناس، إنَّ الله حَرَّمَ مَكَّةَ يوم خلق السموات والأرض، فهي حرام من حرام إلى يوم القيامة، فلا يحلَّ لامرئٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيه دمًا، ولا يعضد فيها شجرًا، لم تحلل لأحد كان قبلي، ولا تحلَّ لأحد يكون بعدي، ولم تحلل لي إلَّا هذه الساعة، غضبًا على أهلها، ألا، ثمَّ قد رجعت كحرمتها بالأمس...» (١).

وفي السنة التاسعة من الهجرة النبوية، أصبح الحج إلى مكة يشمل عددًا كبيرًا من عرب الجزيرة، وعُرف «بالحج الأكبر» وهي أوَّل حجة في الإسلام، وقد بعث الرسول صلى الله عليه وآله وأبا بكر أميرًا على الحج ليقوم للمسلمين حجهم، وكان المشركون يحجون أيضًا، ثمَّ نزلت سورة براءة في نقض ما بين الرسول صلى الله عليه وآله وبين المشركين من عهد. يقول تعالى: بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٢)

ويقول تعالى: وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣)

ثمَّ دعا الرسول صلى الله عليه وآله على بن أبي طالب، فقال: «أخرج بهذه القصيدة من صدر براءة، وأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى، إنَّه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وآله عهد فهو إلى مدته»، ففعل على ذلك (٤).

وفي السنة العاشرة من الهجرة، قام الرسول صلى الله عليه وآله بحجته التي عُرفت بحجة الوداع، وكان يُحيط به عدد كبير من المسلمين العرب جاءوا من أنحاء الجزيرة.

١- ابن هشام، السيرة ٤: ٥٨.

٢- التوبة: الآية ١. وانظر: ابن هشام، السيرة ٤: ١٨٨.

٣- سورة التوبة: الآية ٣. وانظر: ابن هشام، السيرة ٤: ١٨٨.

٤- ابن هشام، السيرة ٤: ١٩٠-١٩١. الطبري، تاريخ ٣: ١٢٢-١٢٣.

ص: ١٩٥

فحج بالناس وأراهم مناسكهم وأعلمهم سنن حجهم، وخطب فيهم خطبته المشهورة في يوم عرفة (يوم الحج الأكبر) وقال فيها: «إِنَّ اللَّهَ حَزَمَ عَلَيْكُمْ دَمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ إِلَى أَنْ تَلْقُوا رَبَّكُمْ كَحَرَمِهِ بَلَدَكُمْ هَذَا». وقال: «إِنَّ اللَّهَ قَدَ حَزَمَ عَلَيْكُمْ دَمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ إِلَى أَنْ تَلْقُوا رَبَّكُمْ كَحَرَمِهِ يَوْمَكُمْ هَذَا» (١).

ويروى ابن هشام في السيرة النبوية، أن رسول الله صلى الله عليه وآله حيث وقف بعرفة قال: «هذا الموقف، للجبل الذي عليه، وكل عرفة موقف. وقال حين وقف على قُرح صبيحة المزدلفة: هذا الموقف وكل المزدلفة موقف. ثم لما نحر بالمنحر بمنى قال: هذا النحر، وكل منى منحر. ففضى رسول الله صلى الله عليه وآله الحج وقد أراهم مناسكهم، وأعلمهم ما فرض الله عليهم من حجهم: من الموقف، ورمى الجمار، وطواف البيت، وما أحل لهم من حجهم، وما حزم عليهم، فكانت حجة البلاغ، وحجة الوداع، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يحج بعدها» (٢).

ويروى الفاكهي في كتابه أخبار مكة، عن عمرو بن يثرب الضمري قوله: «رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يخطب قبل التروية بيوم بعد الظهر، ويوم عرفة بعرفة حين زاغت الشمس على راحته قبل الصلاة، والغد من يوم النحر بمنى بعد الظهر» (٣). وكان رسول الله صلى الله عليه وآله في المدينة يصلي صلاة عيد الأضحى، ثم يعظ الناس ويوصيهم ويأمرهم. يروى البخاري عن أبي سعيد الخدري أنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلى، فأول شيء يبدأ به الصلاة، ثم ينصرف، فيقوم مقابل الناس - والناس جلوس على صفوفهم - فيعظهم ويوصيهم،

١- ابن هشام، السيرة ٤: ٢٥١-٢٥٢. الطبري، تاريخ ٣: ١٥١-١٥٢.

٢- ابن هشام، السيرة ٤: ٢٥٣. الطبري، تاريخ ٣: ١٥٢.

٣- الفاكهي، أخبار مكة ٣: ١٣٢.

ص: ١٩٦

ويأمرهم. فإن كان يريد أن يقطع بعثاً قطعه أو يأمر بشيء أمر به، ثم ينصرف» (١).

والواقع أنّ الخطابة تطوّرت بعد ظهور الإسلام، فقد اتخذها الرسول صلى الله عليه وآله أداءً للدعوة إلى الدين والوعظ والإرشاد، وكانت خطابة الرسول صلى الله عليه وآله متممةً للذكر الحكيم، ومن ثم كانت فرضاً مكتوباً في صلاة الجمعة والأعياد ثم مواسم الحج (٢).

وتحتفظ كتب الحديث بما اتخذته الرسول صلى الله عليه وآله من أحكام الحج وتعاليمه وسننه، التي يسير عليها المسلمون إلى اليوم. ففي صحيح البخاري وموطأ الإمام مالك بن أنس، ومسنند الإمام أحمد، والمسنند الصحيح لمسلم بن الحجاج، والشيخين لأبي داود، وغيرها من كتب الحديث معلومات عن فريضة الحج، وشروطه، وأركانه، وواجباته، وسننه، ومحظوراته، والهدى والأضحية، وأنواع الحج والعمرة، وهي فرائض وتعليمات وآداب مبيته على القرآن وسنة الرسول محمد صلى الله عليه وآله. وهي تصوّر أدب الحج في عهد الرسول صلى الله عليه وآله وعهد الخلفاء الراشدين وعصر الصحابة والتابعين.

وكان الخلفاء في العصر الراشدي يقيمون للناس حجّهم ويخطبون فيهم، وإذا لم يحجّوا يخطبون فيهم ويصلّون بهم في المدينة المنورة صلاة العيد. يقول عبدالله بن عباس: «شهدت العيد مع رسول الله وأبي بكر وعمر وعثمان، فكلّهم كانوا يصلّون قبل الخطبة» (٣). وفي مواسم الحج كان الخلفاء الراشدون والولاة يخطبون في اليوم السابع من ذي الحجة بمكة لتعليم الحاج مناسك الحج وسننه، وذلك اقتداءً بما كان يفعله الرسول صلى الله عليه وآله، فقد خطب قبل التروية بيوم في حجة الوداع، وعندما بعث على بن أبي طالب في العام التاسع للهجرة، قام على قبل التروية بيوم فعلم

١- محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ت. عبد العزيز بن بار، بيروت: دار الفكر، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م، ١: ١٠٥.

٢- انظر هنا: شوقي ضيف، العصر الإسلامي، ط ٦، القاهرة: دار المعارف، د. ت: ١٠٦-١٠٧.

٣- البخاري، صحيح ١: ٦.

ص: ١٩٧

المسلمين مناسكهم (١).

الحج في النثر الإسلامي في العصر الأموي:

كان الولاة والخلفاء يقومون بالخطبة يوم التروية ويوم عرفة في العصر الأموي (٤١-١٣٢ هـ). فعندما حجّ عبّ بن أبي سفيان بالناس سنة ٤١ هـ، خطب بعرفة فقال:

«أما بعد، أيّها الناس فقد وليت هذا الأمر الذي يُضاعف الله فيه للمُحسن الأجر، وعلى المسيء فيه الوزر، ونحن على طريقة قصدنا، فأقبلوا العافية فينا ما قبلناها منكم، وأنا أسأل الله - تعالى - أن يعين كلاً على كلّ» (٢).

وعندما سيطر عبدالله بن الزبير على مكّة المكرّمة (٦٤-٧٣ هـ)، كان يخطب في الناس يوم السابع من ذى الحجة يعلمهم المناسك (٣). يروي أبو نعيم الأصبهاني في كتابه حلية الأولياء عن محمّد بن عبدالله الثقفي قوله:

«شهدت خطبة ابن الزبير بالموسم، خرج علينا قبل التروية بيوم وهو محرم، فلبّي بأحسن تلبية سمعتها قط، ثمّ حمد الله وأثنى عليه ثمّ قال:

أمّا بعد فإنكم جئتم من آفاق شتّى وفوداً إلى الله عزّوجلّ، فحقّ على الله أن يكرم وفده. فمن كان جاء يطلب ما عند الله فإنّ طالب الله لا يخيب، فصدقوا قولكم بفعل، فإنّ ملاك القول الفعل، والتّية التّية القلوب القلوب، الله الله في أيامكم هذه، فإنّها أيام تُغفر فيها الذنوب. جئتم من آفاق شتّى في غير تجارة ولا طلب مال ولا دنيا، ترجون ما هنا. ثمّ لبّي ولبّي الناس، فما رأيت يوماً قط كان أكثر

١- الفاكهي، أخبار مكّة ٣: ١٣١-١٣٢.

٢- المصدر نفسه ٣: ١٣٦-١٣٧.

٣- المصدر نفسه ٣: ١٣٣.

ص: ١٩٨

باكياً من يومئذ» (١).

وكان الخلفاء الأمويون يحجّون، فيخطبون يوم السابع من ذي الحجة، ففي أول حجة حجّها الخليفة عبدالملك بن مروان (٦٥-٨٥هـ) في خلافته سنة ٧٥هـ خطب في المسلمين في اليوم السابع من ذي الحجة، وكان المسلمون قد أشكل عليهم الهلال لشهر ذي الحجة. يروى الفاكهي في أخبار مكة، أن الخليفة عبدالملك خطب فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال:

«أيّها الناس، إنّ الله - عزّوجل - جعل أمر الأمم من غيركم إلى أنفسهم يدبرون الأوان، وقيّمون الزمان، فيصرفون أعيادهم أنى شاءوا بظن وحسبان، ألا - إنّ الله - عزّوجل - ملك عليكم أمركم، فجعل الأهلّة مواقيت الناس، ألا وإنّ الله - عزّوجل - أخفى عليكم هذا ليبتليكم...» (٢).

وكان الولاة الأمويون عندما يحجّون يخطبون في أهل مكة، يقسمون المال عليهم وقت الضيق والحاجة، وإن لم يجدوا مالاً يستدينون من الحجّاج. يروى الفاكهي، أن الحجّاج بن يوسف الثقفي - عامل بني أمية - خطب عندما قدم إلى مكة المكرمة وهو والى الحجّ فقال في خطبته:

«يا أهل مكة، إنّنا قد أرمنا، ولكنى سأبعث إليكم - إن شاء الله - فأنظرونا.

فقام رجل فقال: لا - أنظر الله من أنظرك، ولا - عذر من عذرک، أمير العراقيين، وابن عظيم القريتين، ويقول: انظروني!! قال: فقال الحجّاج: صدقت، لا عذر الله من عذرني، وما أنظر من نظرنی، ثم نزل، فتسلّف من وجوه اهل العراق ممن وافى الحجّ أربعين منهم، فجمع مالاً فقسّمه على أهل مكة» (٣).

١- أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط ٥، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م، ١: ٣٣٥-٣٣٦.

٢- الفاكهي، أخبار مكة ٣: ١٣٢-١٣٣.

٣- المصدر نفسه ٣: ١٣٧-١٣٨.

ص: ١٩٩

وشهد العصر الأموي ازدهار النثر الديني في مواسم الحجّ، والقائم على تفسير القرآن الكريم، وتوضيح السنّة النبويّة والفتوى في مناسك الحجّ والعمره، حيث انتعشت في مواسم الحجّ في العصر الأموي العلوم الإسلاميّة كالتفسير والسنّة والفتوى (١). وتحتوي المصادر التاريخيّة على الكثير من أدب الحجّ المتعلّق بهذه العلوم، وهو أدب نثرى يتناول كلّ علم من هذه العلوم. ولا يتسع المجال هنا، للتوسّع في هذه العلوم وأبرز علمائها، ولكن ستعطى أمثلة على كل علم من العلوم الدينيّة في مواسم الحجّ في العصر الأموي، وأبرز من اشتهر فيه من الصحابة والتابعين.

ففي علم تفسير القرآن الكريم كان الصحابة والتابعون في مكّة المكرّمه مقصداً للحجّاج لأخذ التفسير ومن هؤلاء عبدالله بن العباس (ت ٦٨هـ)، وعبدالله ابن الزبير (ت ٧٣هـ)، وعبدالله بن عمر بن الخطاب، (ت ٧٤هـ).

وبرز من هؤلاء الصحابة في تفسير القرآن الكريم في مواسم الحجّ في العصر الأموي الصحابي الجليل عبدالله بن عباس (ت ٦٨هـ). حيث كان يخطب خلال المواسم في الحجّاج ويقرأ عليهم القرآن ويفسّره، يروي ابن سعد عن أبي وائل أنّه قال: «خطبنا ابن عباس وهو على الموسم فافتتح سورة البقرة فجعل يقرأ ويفسّر، فجعلت أقول: ما رأيت ولا سمعت كلام رجل مثله، لو سمعته فارس والروم لأسلمت» (٢).

وكان الحجّاج وطلبة العلم يقدمون لمكّة المكمّمة لأخذ التفسير من عبدالله

١- انظر: إبراهيم بن عبد العزيز الجميح، الحياة العلميّة في مواسم الحجّ في العصر الأموي ٤١-١٣٢ هـ / ٦٦١-٧٥٠، دراسة قُدمت إلى مجلس البحث العلمي ومُعَدّة للنشر، جدة: جامعة الملك عبد العزيز، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م: ١-١١١.

٢- الأصبهاني، حليّة الأولياء ١: ٣٢٤، وانظر أيضاً: يوسف بن عبدالله النمرى القرطبي، جامع بيان العلم وفضله، بيروت: دار الكتب العلميّة، د. ت ١: ١١٥.

ص: ٢٠٠

ابن العباس، كما كان عبدالله بن العباس أيضاً مقصداً لعلماء المسلمين من اليمن وأنحاء الجزيرة والعراق، حيث يقدمون للحجّ ويستفيدون من علم ابن عباس بالسماع والمحاورة، ومن هؤلاء عالم اليمن طاوس بن كيسان (ت ١٠٦ هـ) (١).

وعندما سُئل بأنّه ترك أكابر الصحابة ولزم ابن عباس قال: «إني رأيت سبعين من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وآله إذا تدارؤوا [اختلفوا] في أمر صاروا إلى قول ابن عباس» (٢).

ومن التابعين الذين برزوا في تفسير القرآن الكريم مجاهد بن جبر المكي (ت ١٠٤ هـ) وهو مقرئ ومفسر، وقد استفاد من ابن عباس وأخذ عنه تفسير القرآن. يقول مجاهد: «عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات، من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كلّ آية منه وأسأله عنها» (٣).

وكانت السُّنَّة النبويّة من العلوم الدينيّة المزدهرة في مواسم الحجّ في العصر الأموي. وقد استحوذت السُّنَّة النبويّة على اهتمام المسلمين في العصر الأموي.

وكانت مواسم الحجّ فرصة لدراسة السُّنَّة النبويّة وفهمها حيث يلتقي المسلمون، علماء وطلبة بأصحاب الرسول صلى الله عليه وآله - والتابعين في مكّة المكرّمة والمدينيّة المنورة؛ لسؤالهم والأخذ منهم عن سُنَّة رسول الله - صلى الله عليه وآله - عن الحجّ ومناسكه وسُنَّته.

واشتهر في مواسم الحجّ في العصر الأموي عدد من أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله والتابعين بفهم السُّنَّة النبويّة وحفظها، ومن هؤلاء عبدالله بن العباس، وعبدالله بن عمرو بن العاص (ت ٦٥ هـ)، وعبدالله بن الزبير (ت ٧٣ هـ) وغيرهم. وكان يحدثون في الحجّ ويجيبون عن أسئلة الحُجّاج اعتماداً على سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله.

١- انظر: محمّد بن سعد بن منيع البصرى، الطبقات الكبرى، بيروت: دار صادر، د. ت ٢: ٣٦٦-٣٦٧. و ٥: ٥٤٠.

٢- ابن سعد، الطبقات ٢: ٣٦٦-٣٦٧.

٣- الأصبهاني، حلية ٣: ٣٧٩-٣٨٠.

ص: ٢٠١

وتحتوي كُتب الحديث والتاريخ والطبقات على الكثير من النثر الديني المتعلق بشيئ الحُجّ وأحكامه، الذي احتوته صدور الصحابة أخذاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

وعلى سبيل المثال لا الحصر، كان عبدالله بن عمرو بن العاص، مقصداً للحُجّاج خلال مواسم الحُجّ. حيث يقدمون للحج، وفي نفس الوقت يستمعون إليه يحدث عن رسول الله - صلى الله عليه وآله - يقول عروة بن الزبير (ت ٩٤هـ): إنه جلس إلى عبدالله بن عمرو بن العاص - عن حجّ وسمعه يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله (١). وقد كتب عبدالله بن عمرو بن العاص الكثير من أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله في صحيفة كان يسميها «الصادقة» (٢).

ومن تابعي المدينة الذين برزوا في فهم سُنّة الرسول صلى الله عليه وآله وحدثوا بها في مواسم الحجّ في العصر الأموي، سعيد بن المسيب (ت ٩٤هـ)، وأبان بن عثمان بن عفان (ت ١٠٥هـ)، والقاسم بن محمد بن أبي بكر (١٠٨هـ).

ومن تابعي مكة المكرمة الذين برزوا في فهم السنّة النبويّة، وكانوا مقصداً للحُجّاج عمرو بن دينار (ت ١٢٦هـ). (٣). كما نصح عالم اليمن طاوس بن كيسان (ت ١٠٦هـ) ابنه إذا قدم لمكة أن يلزم عمرو بن دينار حيث قال له: «إذا قدمت مكة فعليك بعمرو بن دينار...» (٤).

وفي الفتوى في مواسم الحجّ في العصر الأموي، اشتهر بعض الصحابة

١- القرطبي، جامع ٢: ١٣٣.

٢- ابن سعد، الطبقات ٤: ٢٦٢.

٣- محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ١٢١-١٤٠هـ، ت. عمر عبد السلام التدمري، ط ١، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م. : ١٨٨.

٤- ابن سعد، الطبقات ٥: ٤٧٩.

ص: ٢٠٢

والتابعين في مكّة المكرمة والمدينة المنورة بالفتوى، وكانوا مقصداً للحجّاج حيث يفتوهم ويبينون لهم مناسك الحجّ والعمرة. ومن الصحابة الذين اشتهروا بالفتوى عبدالله بن العباس، وعبدالله بن الزبير وعبدالله بن عمر بن الخطاب. وعلى سبيل المثال لا الحصر، كان عبدالله بن الزبير يفتي المسلمين خلال مواسم الحجّ، فعندما صُرع معبد بن حزابه المخزومي وهو في طريقه إلى الحجّ، أفناه عبدالله بن الزبير: «أن يبدأ بما لا بدّ منه ويفتدى، ثم يجعلها عمرة، ويحجّ عاماً قابلاً ويهدى» (١).

واشتهر من تابعي الصحابة في الفتوى عطاء بن أبي رباح (ت ١١٥ هـ) وإليه انتهت فتوى أهل مكّة المكرمة في زمانه (٢). ولقد وصلت شهرة عطاء بن أبي رباح الآفاق حتى أنه ما قال شيئاً بالحجاز إلّا وقبل منه (٣). وترتّب على شهرته المبنية على معرفته بأحكام الحجّ ومناسكه، أن قدر الخلفاء الأمويون له ذلك. فقد كان الخلفاء الأمويون في تلك الفترة يأمرّون في الحاجّ صائحاً يصيح بأن لا يفتي الناس إلّا عطاء بن أبي رباح (٤).

خاتمة:

كان الهدف من هذه الدراسة هو محاولة إعطاء صورة عن أدب الحجّ، شعراً ونثراً في الحجاز والجزيرة العربية من العصر الجاهلي إلى نهاية العصر الأموي (١٣٢ هـ).

١- انظر: محمّد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م، ٢: ٢٢١.

٢- ابن سعد، الطبقات ٥: ٤٧٠.

٣- انظر: يعقوب بن سفيان البسوي، المعرفة والتاريخ، ت. أكرم ضياء العمري، ط ٨، المدينة المنورة: مكتبة الدار، ١٤١٠ هـ. ٢: ١٨.

٤- الفاكهي، أخبار مكّة ٢: ٣٤٧.

ص: ٢٠٣

وقد بينت الدراسة في بدايتها معنى الحجّ في اللغة العربية والدين. فوضّحت أنّ الحجّ كان يعنى القصد والزيارة، ثمّ تطوّر ليصبح مفهومه زيارة البيت الحرام وأداء نسك الحجّ في المشاعر المقدّسة على أساس دين إبراهيم عليه السلام.

ثمّ وضّحت الدراسة ما طرأ على الحجّ من تغيير بعد الإسلام، حيث أبطل الإسلام عادات العرب وتقاليدهم عن الحجّ، فأصبح الحجّ ركناً من أركان الإسلام الخمسة، وفريضة على المسلمين من استطاع إليه سبيلاً.

ووضّحت الدراسة أنّ أدب الحجّ في الجاهلية يشمل الشعر والنثر والأمثال.

ففي الشعر الجاهلي ذكر العرب البيت الحرام وسقاية الحاج والمشاعر، كمنى وعرفات ومزدلفة، وأشاروا إلى بعض مشاهد الحجّ كالإبل التي تحمل الحجاج قادمين لمكة لأداء الحجّ، وكرمي الجمار. وغيرها من مشاهد الحجّ وأيامه.

وفي النثر عبّر العرب قبل الإسلام عن فخرهم وسيادتهم، وحرمة البيت الذي يلونه، وعن حفر بئر زمزم وسقائتهم للحجيج ورفادتهم له. وفي أمثالهم كان الحجّ عنصراً مؤثراً، فذكروه في أمثالهم التي ما زالت متداولة إلى اليوم.

ثمّ وضّحت الدراسة أدب الحجّ في الحجاز والجزيرة العربية في العصر الإسلامي. فتناولت أدب الحجّ المتمثّل في الشعر والنثر في عصر الرسول صلى الله عليه وآله وعصر الخلفاء الراشدين والعصر الأموي إلى نهايته.

ففي عصر الرسول صلى الله عليه وآله، ذكر الشعراء العرب الحجّ في شعرهم، حيث تناولوا القسم بالله سبحانه وتعالى، رب الإبل القاصدة بالحجاج منى لأداء مناسك الحجّ، والحرم، والجمرة الكبرى.

وبينت الدراسة تطوّر أدب الحجّ المتمثّل في الشعر في العصر الأموي، وذلك لتغيرات اجتماعية طرأت على الحياة في الحجاز. فذكرت شعراء الحجاز وشعرهم الغزلي الذي يصفون فيه الحجّ ومشاعره ومشاهده، كعرفه ومنى ورمي الجمرات

ص: ٢٠٤

والطواف، وما يحثّ في هذه المشاهد وغيرها من لقاء وفراق ووصل وهجر.

وأشارت إلى شعراء النقائض كجرير والفرزدق وما يحتويه شعرهما ممّا يتعلّق بالحجّ ومناسكته، كمنى والنعم المقلّدة، والطواف واستلام الحجر الأسود وغيرها من صور الحجّ ومشاهده.

ثمّ تناولت الدراسة الحجّ في النثر الإسلامى فى عصر النبوة والراشدين، فبينت احتواء هذا النثر على معانى الحجّ الإسلامى، التى أرساها القرآن الكريم وأكّدها الرسول صلى الله عليه و آله، فعندما فتح الرسول صلى الله عليه و آله مكّة أبطل عادات العرب الجاهليّة، ولم يبقِ إلّا على سقاية الحاجّ وسدانة البيت، ثمّ حرمة البيت الحرام.

وفى أوّل حجّة فى الإسلام فى العام التاسع للهجرة، أبطل الرسول صلى الله عليه و آله عادات العرب الدينيّة عن الحجّ، فأمر على بن أبى طالب، أن يقرأ على الناس فى منى سورة براءة، التى يتبرأ فيها المسلمون من المشركين، وأن يعلمهم بأنّه لا يدخل الجنّة كافر، ولا يحجّ بعد هذا العام مُشرك، ولا يطوف بالبيت عريان.

وفى حجّة الوداع أكّد الرسول صلى الله عليه و آله حرمة البيت الحرام ودماء المسلمين، وبيّن للناس مناسكهم، واعلمهم ما فرض الله عليهم فى حجّهم، من الوقوف بعرفة ورمى الجمار والطواف بالبيت وما يحلّ وما يُحرّم.

واستمر الخلفاء الراشدون يخطبون للمسلمين إذا حجّوا، فى منى فى اليوم التاسع، وإذا لم يحجّوا يخطبون للمسلمين فى المدينة المنورة بعد صلاة عيد الأضحى. وكذلك فعل العمال والولاة.

وبيّنت الدراسة أنّ الخلفاء الأمويين وولاتهم على مكّة، كانوا يخطبون فى الناس فى اليوم السابع ويعلمون الناس مناسك الحجّ.

كما أوضحت الدراسة ازدهار النثر الدينى المتمثل فى الخطب الدينيّة والمجالس العلميّة فى العصر الأموى، والذى شمل تفسير القرآن الكريم وتوضيح السنّة النبويّة والافتاء فى أحكام الحجّ وسننه. وهو أدب للحجّ يعكس تطوّر

ص: ٢٠٥

الحياة العلميه وازدهارها فى مواسم الحج فى العصر الأموى.

وهكذا، إذن، كان أدب الحج فى الحجاز والجزيرة العربية، منذ عصر ما قبل الإسلام إلى نهاية العصر الأموى، زاخراً وغنياً ومنتوعاً نظماً ونثراً. وتمثل فيه بعض ما ظهر من أسرار وحكم وفوائد الحج، بل كان فيه منفعه من عدّه منافع عن الحج ذكرها الله فى محكم كتابه حيث يقول: وَأَذِّنْ فِى النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (١)

١- سورة الحج: الآية ٢٧.

علل الحج في كتب الصدوق أبواب علل الأحكام وغيرها (٤)

فارس حسون كريم

٣٠- باب علّة إحرام رسول الله صلى الله عليه وآله من مسجد الشجرة، ولم يحرم دون ذلك

١- عن الحسين بن الوليد، عمّن ذكره، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: لأيّ علّة أحرم رسول الله صلى الله عليه وآله من مسجد الشجرة ولم يحرم من موضع دونه؟

قال: لأنه لما أسرى به إلى السماء وصار بحذاء الشجرة وكانت الملائكة تأتي إلى البيت المعمور بحذاء المواضع التي هي مواقيت سوى الشجرة، فلما كان في الموضع الذي بحذاء الشجرة نودي: يا محمد، قال: لبيك. قال: ألم أجدك يتيماً فأويت، ووجدتك ضالاً فهديت؟

قال النبي صلى الله عليه وآله: إن الحمد والنعمة والملك لك لا شريك لك لبيك، فلذلك أحرم من الشجرة دون المواضع كلها (١).

٢- عن معاوية بن عمّار، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: اعلم أنّ من تمام الحجّ والعمرة أن تحرم من الوقت الذي وقته رسول الله صلى الله عليه وآله لا تتجاوز إلّا وأنت محرم فإنّه

١- من لا يحضره الفقيه ٢: ٢٠٠ ضمن ح ٢١٣٤، علل الشرائع: ٤٣٣ ب ١٦٩ ح ١، روضة المتقين ٤: ٣٨، وسائل الشيعة ١١: ٣١١ ح ١٣، بحار الأنوار ١٨: ٣٧٠ ح ٧٦، و ٩٩: ١٢٨ ح ١٢.

ص: ٢٠٧

وَقَّت لأهل العراق ولم يكن يومئذ عراق بطن العقيق من قبل العراق، ووقت لأهل الطائف قرن المنازل، ووقت لأهل المغرب الجحفة وهي مكتوبة عندنا مهيعة، ووقت لأهل المدينة ذا الحليفة، ووقت لأهل اليمن يللمم ومن كان منزله بخلف هذا المواقيت مما يلي مكة فوقته منزله (١).

٣- عن أبي أيوب الخزاز، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: حدّثني عن العقيق وقت وقته رسول الله صلى الله عليه وآله أو شيء صنعه الناس؟

فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وقت لأهل المدينة ذا الحليفة، ووقت لأهل المغرب الجحفة، وهي عندنا مكتوبة مهيعة، ووقت لأهل اليمن يللمم، ووقت لأهل الطائف قرن المنازل، ووقت لأهل نجد العقيق وما أنجدت (٢).

٣١- باب علّة الأشعار والتقليد

١- عن السكوني، عن جعفر بن محمد عليه السلام أنه سئل: ما بال البدنة تقلد النعل وتشعر؟

قال: أمّا النعل فتعرف أنّها بدنة ويعرفها صاحبها بنعله، وأمّا الإشعار فإنّه يحرم ظهرها على صاحبها من حيث أشعرها، ولا يستطيع الشيطان أن يمسه (٣). (٤) ٢- عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: إنّما استحسنا (٥) الإشعار للبدن (٦).

١- علل الشرائع: ٤٣٤ ب ١٦٩ ح ٢، بحار الأنوار ٩٩: ١٢٨ ح ١٣.

٢- علل الشرائع: ٤٣٤ ح ٣، بحار الأنوار ٩٩: ١٢٨ ح ١٤.

٣- في بعض المصادر: يتسمها. أي يركب على سنامها حقيقة أو مجازاً بوسوسة أبدالها وركوبها والانتفاع بها أو ذبحها.

٤- من لا يحضره الفقيه ٢: ٢٠٠ ذ ح ٢١٣٤، علل الشرائع: ٤٣٤ ب ١٧٠ ح ١، تهذيب الأحكام ٥: ٢٣٨ ح ١٤٣، روضة المتقين ٤: ٣٩، وسائل الشريعة ١١: ٢٧٩ ح ٢٢، بحار الأنوار ٩٩: ١٠١ ح ٣، ملاذ الأخيار ٨: ٧٩ ح ١٤٣.

٥- أي جعله الله حسناً، أو النبي والأئمة صلوات الله عليهم.

٦- المراد: ليكون تعجباً للمغفرة، لأنّه إذا كان يغفر الله تعالى عند أول قطرة تقطر من دمها وهذا أيضاً من دمها يغفر الله لصاحبها معجلاً.

ص: ٢٠٨

لأنه أول قطرة تقطر من دمها يغفر الله عزوجل له على ذلك (١).

٣- عن الحلبي، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: أي رجل ساق بدنه فانكسرت قبل أن تبلغ محلها، أو عرض لها موت أو هلاك فلينحرها إن قدر على ذلك، ثم ليلطخ نعلها التي قلدت به بدم حتى يعلم من مَرَّ بها أنها قد ذكيت فيأكل من لحمها إن أراد، وإن كان الهدى الذي انكسر أو هلك مضموناً فإن عليه أن يتتاع مكان الذي انكسر أو هلك، والمضمون هو الشيء الواجب عليك في نذر أو غيره، وإن لم يكن مضموناً وإنما هو شيء تطوع به، فليس عليه أن يتتاع مكانه إلا أن يشاء أن يتطوع (٢).

٣٢- باب علة رمي الجمار

١- عن علي بن جعفر، عن أخيه موسى بن جعفر عليه السلام، قال: سألته عن رمي الجمار لم جعل؟ قال: لأن إبليس اللعين كان يتراءى لإبراهيم عليه السلام في موضع الجمار فرجمه إبراهيم، فجرت السنة بذلك (٣).

٢- عن معاوية بن عمارة، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: أول من رمى الجمار آدم عليه السلام وقال: أتى جبرئيل عليه السلام إبراهيم فقال: إرم يا إبراهيم، فرمى جمرة العقبة، وذلك إن الشيطان تمثل له عندها (٤).

-
- ١- من لا يحضره الفقيه ٢: ٢١٤ ح ٢١٩٣ وص ٣٢٣ ح ٢٥٧٠، علل الشرائع: ٤٣٤ ب ١٧٠ ح ٢، روضة المتقين ٤: ٦٨ و ٣٦٣، وسائل الشيعة ١١: ٢٧٨ ح ١٥، بحار الأنوار ٩٩: ١٠١ ح ١.
- ٢- علل الشرائع ٩٩: ١٠١ ح ٢، وسائل الشيعة ١٤: ١٤٢ ح ٤، بحار الأنوار ٩٩: ١٠١ ح ٢.
- ٣- قرب الاسناد: ٢٣٨ ح ٩٣٤، من لا يحضره الفقيه ٢: ٢٠٠ صدر ح ٢١٣٥، علل الشرائع: ٤٣٧ ب ١٧٧ ح ١، روضة المتقين ٤: ٤٠، وسائل الشيعة ١٤: ٢٦٣ ح ٣ وص ٢٦٤ ح ٧، بحار الأنوار ١٢: ١١٠ ح ٣٢، و ٩٩: ٢٧٣ ح ١٠.
- ٤- من لا يحضره الفقيه ٢: ٢٠٠ ذيل ح ٢١٣٥، علل الشرائع: ٤٣٧ ب ١٧٧ ح ٢، روضة المتقين ٤: ٤٠، وسائل الشيعة ١٤: ٢٦٤ ح ٤، بحار الأنوار ١٢: ١١٠ ح ٣٣، و ٩٩: ٢٧٣ ح ١١.

ص: ٢٠٩

٣٣- باب علّة الاضحية

١- عن إسماعيل بن مسلم السكوني، عن جعفر بن محمد، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّما جعل الله هذا الأضحى لتسّع (١) مساكينكم من اللحم، فأطعموهم (٢). (٣) ٢- عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: ما علّة الاضحية؟

فقال عليه السلام: إنّهُ يغفر لصاحبها عند أول قطرة تقطر من دمها إلى الأرض، ويعلم الله تعالى من يتقيه بالغيب، قال الله تعالى: لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ (٤)

، ثم قال: انظر كيف قبل الله قربان هابيل، وردّ قربان قابيل (٥).

٣- عن أبي جميلة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سألته عن لحم الأضاحي، فقال: كان عليّ بن الحسين وابنه محمد عليهم السلام يتصدّقان بالثلث على جيرانهما، وبثلث على المساكين، وثلث يمساكانه لأهل البيت (٦).

٣٤- باب علّة استحباب استفراه الضحايا

١- عن موسى بن إبراهيم، عن أبي الحسن موسى عليه السلام، قال: قال

١- في بعض المصادر: ليشع.

٢- المراد: إطعام البعض منهم، ويمكن أن يكون المراد: استحباب إطعام الزائد على المسمّى للأكل.

٣- من لا- يحضره الفقيه ٢: ٢٠٠ صدر ح ٢١٣٦، ثواب الأعمال: ٨٤ ح ٥، علل الشرائع: ٤٣٧ ب ١٧٨ ح ١، روضة المتقين ٤: ٤٠، وسائل الشيعة ١٠: ٥٠١ ح ١٢، و ١٤: ٢٠٥ ح ٤ و: ٢٠٦ ح ١٠، بحار الأنوار ٩٩: ٢٩٦ ح ١٥.

٤- سورة الحج: ٣٧.

٥- علل الشرائع: ٤٣٧ ب ١٧٨ ح ٢، وسائل الشيعة ١٤: ٤٠٧ ح ١١، بحار الأنوار ٧٠: ٢٧٦، و ٩٩: ٢٩٦ ح ١٧.

٦- الكافي ٤: ٤٩٩ ح ٣، من لا يحضره الفقيه ٢: ٤٩٣ ح ٣٠٥٤، المقنع: ٢٧٥، علل الشرائع: ٤٣٨ ح ٣، روضة المتقين ٤: ٤٠، و ٥:

١٦٠، وسائل الشيعة ١٤: ١٦٣ ح ١٣، بحار الأنوار ٤٦: ٣٠٠ ح ٤٠، و ٩٩: ٢٩٦ ح ١٦، مرآة العقول ١٨: ١٨١ ح ٣، عوالم العلوم ١٨:

١٣٤ ح ١.

ص: ٢١٠

رسول الله صلى الله عليه وآله: استفرهوا ضحايكم (١) فإنها مطاياكم على الصراط (٢). (٣) ٣٥- باب علة عدم جواز إطعام المساكين في كفارة اليمين من لحوم الأضاحي

١- عن إسماعيل بن أبي زياد، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عليه السلام أن علياً عليه السلام سُئِل: هل يطعم المساكين في كفارة اليمين من لحوم الأضاحي؟ قال: لا، لأنه قربان لله تعالى (٤).

٣٦- باب علة النهي عن حبس لحوم الأضاحي فوق ثلاثة أيام، ثم اطلق في ذلك

١- عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: كان النبي صلى الله عليه وآله نهى أن تحبس لحوم الأضاحي فوق ثلاثة أيام من أجل الحاجة، فأما اليوم فلا بأس به (٥).

٢- عن جميل بن دراج، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن حبس لحوم الأضاحي فوق ثلاثة أيام بمنى.

قال: لا بأس بذلك اليوم، إن رسول الله صلى الله عليه وآله إنما نهى عن ذلك أولاً لأن الناس كانوا يومئذٍ مجهودين، فأما اليوم فلا بأس.

وقال أبو عبد الله عليه السلام: كُنَّا ننهى الناس عن إخراج لحوم الأضاحي بعد ثلاثة أيام

١- أي اجعلوها نفيسة سمينه غير معيوبة.

٢- أي تحملكم بعينها أو بثوابها، فكلمًا كانت أنفس يكون جوازكم على الصراط بها أسهل.

٣- من لا يحضره الفقيه ٢: ٢١٣ ح ٢١٩٠، علل الشرائع: ٤٣٨ ب ١٧٩ ح ١، روضة المتقين ٤: ٤٧، وسائل الشيعة ١٤: ٢٠٩ ب ٤٢ ح ١، بحار الأنوار ٧: ٢٧٦، و ٩٩: ٢٩٧ ح ١٨.

٤- الكافي ٧: ٤٦١ ح ٩، علل الشرائع: ٤٣٨ ب ١٨٠ ح ١، وسائل الشيعة ١٤: ٢٠٩ ب ٤٣ ح ١، و ٢٢: ٣٩٠ ح ١، بحار الأنوار ٩٩: ٢٩٧ ح ٢٠، مرآة العقول ٢٤: ٣٥٥ ح ٩.

٥- المحاسن للبرقي ٢: ٤٠ ح ٥٦، علل الشرائع: ٤٣٨ ب ١٨١ ح ١، تهذيب الأحكام ٥: ٢٢٦ ح ١٠٣، الاستبصار ٢: ٢٧٤ ح ٩٧٣، وسائل الشيعة ١٤: ١٦٩ ح ٣ و ٤، بحار الأنوار ٩٩: ٢٨٥ ح ٤٣، ملاذ الأخيار ٨: ٥٩ ح ١٠٣.

ص: ٢١١

لقله اللحم وكثرة الناس، فأما اليوم فقد كثر اللحم وقل الناس، فلا بأس بإخراجه (١).

٣- عن محمد بن عبدالله بن موسى بن عبدالله، عن أبيه، عن خاله زيد بن علي، عن أبيه، عن جده، عن علي عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: نهيتكم عن ثلاث: نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها، ونهيتكم عن إخراج لحوم الأضاحي من منى بعد ثلاث ألا فكلوا وادخروا، ونهيتكم عن النيذ ألا فانيدوا، وكل مسكر حرام- يعنى الذى ينبذ بالغداة ويشرب بالعشى، وينبذ بالعشى ويشرب بالغداة، فإذا غلى فهو حرام (٢).

٣٧- باب علة جواز أن يعطى الضحية من يسلخها بجلدها

١- عن صفوان بن يحيى الأزرق (٣)، قال: قلت لأبي إبراهيم عليه السلام: الرجل يعطى الضحية من يسلخها بجلدها؟ قال عليه السلام: لا بأس به، إنما قال عز وجل: فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا (٤) والجلد لا يؤكل ولا يطعم (٥). (٦)

١- المحاسن للبرقي ٢: ٤٠ ح ٥٧، علل الشرائع: ٤٣٩ ح ٢، وسائل الشيعة ١٤: ١٧٠ ح ٥ و ٦، بحار الأنوار ٩٩: ٢٨٥ ح ٤٥ و ٤٦.

٢- علل الشرائع: ٤٣٩ ح ٣، وسائل الشيعة ١٤: ١٧٠ ح ٧، بحار الأنوار ٩٩: ٢٨٥ ح ٤٨.

٣- قال المجلسي رحمه الله: اعلم أن النسخ التي عندنا «عن صفوان بن يحيى، عن يحيى» لأنه لم يوصف صفوان ولا أبوه بالأزرق، بل صفوان يروى عن يحيى بن عبد الرحمان الأزرق، وهو أيضاً ثقة، وهذه الرواية في التهذيب وقعت مراراً، ويظهر من الفقيه أن صفوان يروى عن يحيى بن حسان الأزرق، وهو إن لم يكن موثقاً لكن الصدوق رحمه الله اعتمد على كتابه وذكر طريقه إليه.

٤- سورة الحج: ٣٦.

٥- يحتمل أن يكون المراد عدم جرى العادة بأكله لا حرمة، وأيضاً الجلد الذي يعطى الجزار، وهو ما عدا جلد الرأس، والذي يؤكل جلد الرأس.

٦- من لا يحضره الفقيه ٢: ٢٠١ ضمن ح ٢١٣٩، علل الشرائع: ٤٣٩ ب ١٨٢ ح ١، روضة المتقين ٤: ٤٢، وسائل الشيعة ١٤: ١٧٥ ح ٧ و

٨، بحار الأنوار ٦٦: ٤٢ ح ٢٢، و ٩٩: ٢٩٧ ح ٢١.

ص: ٢١٢

٣٨- باب علّة وجوب استقراض ثمن الاضحية على من لا يجد

١- عن موسى بن إبراهيم، عن أبي الحسن موسى عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأم سلمة وقد قالت له: يا رسول الله، نحضر الأضحى وليس عندي ما اضحى به فأستقرض واضحى؟

قال: فاستقرضني فإنه دين مقضى (١). (٢) ٢- عن شريح بن هانئ، عن علي عليه السلام أنه قال: لو علم الناس ما في الأضحية لاستدانوا وضحوها، إنه ليغفر لصاحب الأضحية عند أول قطرة تقطر من دمها (٣).

٣٩- باب العلّة التي من أجلها تجزئ البدنة عن نفس واحدة، وتجزئ البقرة عن خمسة أنفس

١- عن الحسين بن خالد، عن أبي الحسن عليه السلام، قال: قلت له: عن كم تجزئ البدنة؟

قال: عن نفس واحدة.

قلت: فالبقرة؟

قال: تجزئ عن خمسة إذا كانوا يأكلون على مائدة واحدة.

قلت: وكيف صارت البدنة لا تجزئ إلا عن واحدة، والبقرة تجزئ عن خمسة؟

قال: لأنّ البدنة لم يكن فيها من العلّة ما كان في البقرة، إنّ المذبح أمرؤا قوم موسى عليه السلام بعبادة العجل كانوا خمسة أنفس، وكانوا أهل بيت يأكلون على خوان

١- أي يقضيه الله تعالى.

٢- من لا يحضره الفقيه ٢: ٢١٣ ح ٢١٩١ و ٤٨٩: ح ٣٠٤٥، علل الشرائع: ٤٤٠ ب ١٨٣ ح ١، روضة المتقين ٤: ٤٧، و ٥: ١٥١، وسائل الشيعة ١٤: ٢١٠ ح ١، بحار الأنوار ٩٩: ٢٩٧ ح ١٩.

٣- علل الشرائع: ٤٤٠ ح ٢، روضة المتقين ٤: ٤٧، وسائل الشيعة ١٤: ٢١٠ ح ٢، بحار الأنوار ٩٩: ٢٩٧ ح ٢٢.

ص: ٢١٣

واحد، وهم: اذبيويه، وأخوه مذويه (١)، وابن أخيه وابنته وامرأته هم الذين أمروا بعبادة العجل، وهم الذين ذبحوا البقرة التي أمر الله تعالى بذبحها (٢). (٣) ٤٠- باب العلة التي من أجلها يجرى في الهدى الجذع من الضأن (٤)، ولا يجرى الجذع من المعز
١- عن حماد بن عثمان، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أدنى ما يجرى في الهدى من أسنان الغنم؟
قال: فقال: الجذع من الضأن.
قال: قلت: الجذع من المعز.
فقال: لا يجرى.

١- اختلف في ضبط هذين الاسمين، ففي بعض المصادر: اذينونه، ميذونه. وفي بعضها: اذينوه، ميذويه.
٢- قال الشيخ الصدوق رحمه الله: جاء هذا الحديث هكذا فأوردته كما جاء لما فيه من ذكر العلة، والذي افتى به وأعتمده ان البقرة والبدنة تجزئان عن سبعة نفر من أهل بيت واحد ومن غيرهم.
حدّثنا بذلك محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد، حدّثنا محمد بن الحسن الصفار، قال: حدّثنا محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن وهيب بن حفص، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: البقرة والبدنة تجزئان عن سبعة إذا اجتمعوا من أهل بيت ومن غيرهم.

[الخصال: ٣٥٦ ح ٣٨، بحار الأنوار ٩٩: ٢٩٥ ح ١٠].

حدّثنا أبي، قال: حدّثنا سعد بن عبد الله، عن بنان بن محمد، عن محمد بن الحسن، عن يونس بن يعقوب، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن البقرة يضحى بها.
قال: فقال: تجزئ عن سبعة متفرقين.

[الخصال: ٣٥٦ ح ٣٧، وسائل الشيعة ١٤: ١٢٢ ح ١٩، بحار الأنوار ٩٩: ٢٩٦ ح ١٣].

٣- المحاسن للبرقي ٢: ٣٦ ح ٤٤، من لا يحضره الفقيه ٢: ٢٠٠ ضمن ح ٢١٣٦، الخصال: ٢٩٢ ح ٥٥، علل الشرائع: ٤٤٠ ب ١٨٤ ح ١، عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٨٣ ح ٢٢، روضة المتقين ٤: ٤١، وسائل الشيعة ١٤: ١٢١ ح ١٨، بحار الأنوار ١٣: ٢١٦ ح ٨ و ٩٩: ٢٩٥ ح ٩.

٤- الجذع من الضأن هو ما كمل له ستّة أشهر؛ وقيل: إنّه ما كمل له سبعة أشهر؛ وقيل: إنّ ولد الضأن إنّما يجذع ابن سبعة أشهر إذا كان أبواه شائين ولو كانا هرمين لم يجذع حتّى يستكمل ثمانية أشهر.

ص: ٢١٤

قال: فقلت له: جعلت فداك، ما العلة فيه؟

قال: فقال: لأنّ الجذع من الضأن يلقح والجذع من المعز لا يلقح (١).

٤١- باب علة سقوط الذبح عن تمتع عن امه، وأهل بحجة عن أبيه

١- عن الحارث بن المغيرة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سألت عن رجل تمتع عن امه وأهل بحجة عن أبيه.

قال: إن ذبح فهو خير له، وإن لم يذبح فليس عليه شيء، لأنه تمتع عن امه وأهل بحجة عن أبيه (٢). (٣) ٤٢- باب العلة التي من

أجلها صير الموقف بعرفات ولم يصير بالحرم

١- عن سعد بن عبد الله، قال: حدثني محمد بن الحسن الهمداني، قال: سألت ذا النون المصري قلت: يا أبا الفيض، لم صير الموقف

بالمشعر (٤) ولم يصير بالحرم؟

قال: حدثني من سأل الصادق عليه السلام ذلك فقال: لأنّ الكعبة بيت الله والحرم حجابها والمشعر بابها، فلما أن قصده الزائرون وقفهم

بالباب حتى أذن لهم بالدخول، ثم وقفهم بالحجاب الثاني وهو مزدلفة، فلما نظر إلى طول تضرعهم أمرهم بتقريب قربانهم، فلما قربوا

قربانهم وقضوا تفثهم (٥) وتطهروا من الذنوب التي كانت لهم

١- المحاسن للبرقي ٢: ٧٠ ح ١٢٧، الكافي ٤: ٤٨٩ ح ١، من لا يحضره الفقيه ٢: ٢٠١ ضمن ح ٢١٣٦، علل الشرائع: ٤٤١ ب ١٨٥ ح

١، روضة المتقين ٤: ٤١، وسائل الشيعة ١٤: ١٠٣ ح ٤، بحار الأنوار ٩٩: ٢٨٧ ح ٥٢، مرآة العقول ١٨: ١٦٠ ح ١.

٢- قال الشيخ الحر العاملي: العمرة هنا محمولة على المفردة، والحج على حج الافراد، ووجه المجاز تقدم العمرة على الحج.

٣- علل الشرائع: ٤٤١ ب ١٨٦ ح ١، تهذيب الأحكام ٥: ٢٣٩ ح ١٤٦، وسائل الشيعة ١٤: ٨٠ ح ٥، بحار الأنوار ٩٩: ٢٨٦ ح ٥١، ملاذ

الأخبار ٨: ٨١ ح ١٤٦.

٤- قال المولى محمد تقى المجلسى رحمه الله: أى بعرفات، فإنه أيضاً مشعر العبادة، والظاهر أنه سهو من النسخ.

٥- التفث: ما يفعله المحرم عند إحلاله كقص الشارب والظفر. وقيل: هو ذهاب الشعث والدرن والوسخ مطلقاً. «مجمع البحرين ٢:

٢٣٨- تفث-».

ص: ٢١٥

حجاباً دونه أمرهم بالزيارة على طهارة قال: فقلت: فلم كره الصيام في أيام التشريق؟
فقال: لأنّ القوم زوّار الله وهم أضيافه وفي ضيافته ولا ينبغي للضيف أن يصوم عند من زاره وأضافه (١) قلت: فالرجل يتعلّق بأستار الكعبة ما يعنى بذلك؟

قال: مثل ذلك مثل الرجل يكون بينه وبين الرجل جنائياً فيتعلّق بثوبه يستخذي له رجاء أن يهب له جرمه (٢).

٤٣- باب علة عدم كتابة ذنب على الحاج أربعة أشهر

١- عن الحسين بن خالد، قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام (٣): لأى شىء صار الحاج لا يكتب لهم ذنب أربعة أشهر؟

قال: لأنّ الله تبارك وتعالى أباح للمشركين أشهر الحرم أربعة أشهر، إذ يقول: فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ (٤)

فمن ثم وهب لمن حجّ من المؤمنين البيت الذنوب أربعة أشهر (٥).

١- زاد في الفقيه: وروى أنّها أيام أكل وشرب وبعال.

٢- الكافي ٤: ٢٢٤ ح ١، من لا يحضره الفقيه ٢: ١٩٧-١٩٨ ح ٢١٢٩ وصدح ٢١٣٠، علل الشرائع: ٤٤٣ ب ١٩٠ ح ١، كتنز الفوائد ٢:

٨١، تهذيب الأحكام ٥: ٤٤٨ ح ٢١١، مناقب ابن شهر آشوب ٢: ٣٧٨، روضة المتّقين ٤: ٢٩، وسائل الشيعة ١٠: ٥١٧ ح ٦، و ١١: ٢٢٥

ح ١٨، بحار الأنوار ٩٩: ٣٤ ح ١٢ و: ٣٥ ح ١٣، مرآة العقول ١٧: ٦٧ ح ١، ملاذ الأخيار ٨: ٤٨٣ ح ٢١١.

٣- فى بعض المصادر: عن أبى عبد الله عليه السلام.

٤- سورة التوبة: ٢.

وقال المجلسى رحمه الله: هى أشهر السياحة وليس فى أشهر الحرم، وذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لما بعث سورة براءة مع

أمير المؤمنين عليه السلام إلى مكة أمره أن ينبذ إلى المشركين عهدهم ويمهلهم بعده أربعة أشهر ليرجعوا إلى بلادهم ومأمنهم،

وذلك من يوم النحر فى تلك السنة، العاشر من ربيع الآخر.

٥- الكافي ٤: ٢٥٥ ح ١٠، من لا يحضره الفقيه ٢: ١٩٨ ذيل ح ٢١٣٠، علل الشرائع: ٤٤٣ ب ١٩١ ح ١، عيون أخبار الرضا عليه السلام

٢: ٨٣ ح ٢٣، روضة المتّقين ٤: ٣١، وسائل الشيعة ١١: ٩٧ ح ٩، بحار الأنوار ٩٩: ١٧ ح ٦٠، مرآة العقول ١٧: ١٢٥ ح ١٠.

ص: ٢١٦

٤٤- باب العلة التي من أجلها أفاض رسول الله صلى الله عليه وآله من المشعر خلاف أهل الجاهلية

١- عن معاوية بن عمارة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: كان أهل الجاهلية يقولون:

أشرق ثبير- يعنون الشمس- كيما نغير (١)، وإنما أفاض رسول الله صلى الله عليه وآله من المشعر لأنهم كانوا يفيضون (٢) بإيجاف الخيل وإيضاع الإبل (٣)، فأفاض رسول الله صلى الله عليه وآله بالسكينة والوقار والدعة، وأفاض بذكر الله تعالى والاستغفار وحركة لسانه (٤).

٤٥- باب علة إقامة الحد على الجاني في الحرم، ولا يقام على الجاني في غير الحرم إذا فر إلى الحرم

١- عن حفص بن البختري، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الرجل يجنى الجناية في غير الحرم ثم يلجأ إلى الحرم يقام عليه الحد.

قال: لا، ولا يطعم ولا يسقى ولا يكلم ولا يباع، فإنه إذا فعل ذلك به يوشك أن يخرج فيقام عليه الحد، وإذا جنى في الحرم جناية اقيم عليه الحد في الحرم لأنه لم ير للحرم حرمة (٥).

٢- عن معاوية بن عمارة، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل قتل رجلاً في الحل ثم دخل الحرم؟

فقال عليه السلام: لا يقتل ولا يطعم ولا يسقى ولا يباع ولا يؤوى حتى يخرج من

١- أي نذهب سريعاً وقيل: أراد: نغير على لحوم الأضاحي من الاغارة والنهب؛ وقيل: أي نسرع إلى النحر. وثبير هو الجبل المعروف عند مكة.

٢- أي أنهم كانوا يسرعون في السير بعد الإفاضة في الموقف أيضاً قبل البلوغ إلى وادي محسر.

٣- أي إسراعها في سيرها.

٤- علل الشرائع: ٤٤٤ ب ١٩٢ ح ١، تهذيب الأحكام ٥: ١٩٢ ح ١٤، وسائل الشيعة ١٤: ٢٦ ح ٥، بحار الأنوار ٩٩: ٢٦٧ ح ٥، ملاذ الأخيار ٧: ٥٥٠ ح ١٤.

٥- تفسير القمي ١: ١٠٨، من لا يحضره الفقيه ٢: ٢٠٥ ذيل ح ٢١٤٨، و ٤: ١١٥ ح ٥٢٢٩، علل الشرائع: ٤٤٤ ب ١٩٣ ح ١، تهذيب الأحكام ١٠: ٢١٦ ح ٦، روضة المتقين ٤: ٤٩، و ١٠: ٣٤٣، وسائل الشيعة ١٣: ٢٢٧ ح ٤ و ٥، و ٢٨: ٥٩ ح ١، بحار الأنوار ٩٩: ٧٣ ح ٩، و: ٧٤ ح ١٠، ملاذ الأخيار ١٦: ٤٥٧ ح ٦.

ص: ٢١٧

الحرم فيقام عليه الحد.

قلت: فما تقول في رجل قتل في الحرم أو سرق؟

قال عليه السلام: يقام عليه الحد في الحرم صاغراً لأنه لم ير للحرم حرمة، وقد قال الله عز وجل: فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ (١)

فقال: هذا هو في الحرم، وقال: فَلَا عُذْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ (٢)

. (٣) ٣- عن الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سألته عن قول الله عز وجل:

وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا (٤)

قال: إذا أحوت العبد في غير الحرم جناية ثم فر إلى الحرم لم يسع لأحد أن يأخذه في الحرم ولكن يمنع من السوق ولا يبيع ولا يطعم ولا يسقى ولا يكلم، فإنه إذا فعل ذلك به يوشك أن يخرج فيؤخذ، وإذا جنى في الحرم جناية اقيم عليه الحد في الحرم، لأنه لم يدع للحرم حرمة (٥).

٤٦- باب علّة أكل المحرم الصيد إذا اضطر إليه، وعلّة من روى أنه يأكل الميتة

١- عن العمركي، عن علي بن جعفر، عن أخيه موسى بن جعفر عليه السلام، قال:

سألته عن المحرم إذا اضطر إلى أكل صيد وميتة، وقلت: إن الله تعالى حرّم الصيد وأحل الميتة، قال: يأكل ويفديه فإنما يأكل من ماله (٦).

٢- عن أبي أيوب، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل اضطر وهو محرم إلى صيد وميتة، من أيهما يأكل؟

١- سورة البقرة: ١٩٤.

٢- سورة البقرة: ١٩٣.

٣- الكافي ٤: ٢٢٧ ح ٤، تهذيب الأحكام ٥: ٤١٩ ح ١٠٢ و: ٤٦٣ ح ٢٦٠، روضة المتقين ١٠: ٣٤٣، وسائل الشيعة ١٣: ٢٢٥ ح ١، ملاذ الأخيار ٨: ٤٢٤ ح ١٠٢ و: ٥١٨ ح ٢٦٠.

٤- سورة آل عمران: ٩٧.

٥- الكافي ٤: ٢٢٦ ح ٢، وسائل الشيعة ١٣: ٢٢٦ ح ٢، مرآة العقول ١٧: ٧١ ح ٢.

٦- علل الشرائع: ٤٤٥ ب ١٩٥ ح ١، وسائل الشيعة ١٣: ٨٦ ح ٥، بحار الأنوار ٩٩: ١٥١ ح ١٩.

ص: ٢١٨

قال: يأكل من الصيد.

قلت: فإن الله قد حرّمه عليه وأحلّ له الميتة، قال: يأكل ويفدى فإنما يأكل من ماله (١).

٣- عن منصور بن حازم، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: محرم قد اضطرّ إلى صيد وإلى ميتة فمن أيهما يأكل؟ قال: يأكل من الصيد.

قلت: أليس قد أحلّ الله الميتة لمن اضطرّ إليها؟

قال: بلى، ولكن يفدى، ألا ترى أنه إنما يأكل من ماله و يأكل الصيد و عليه فداؤه.

وروى أنه يأكل الميتة، لأنها أحلت له، ولم يحلّ له الصيد (٢).

٤٧- باب علّة كراهة المقام بمكّة

١- عن أبي الصباح الكناني، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى:

وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُدَقُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ (٣)

فقال: كلّ ظلم يظلم به الرجل نفسه بمكّة من سرقة أو ظلم أحد أو شيء من الظلم فإنّي أراه إلحاداً ولذلك كان ينهى أن يسكن الحرم (٤).

٢- عن أحمد بن محمد السيارى، قال: روى جماعة من أصحابنا، رفعوه إلى أبي عبد الله عليه السلام أنه كره المقام بمكّة، وذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله اخرج عنها والمقيم بها يقسو قلبه حتّى يأتي في غيرها (٥).

١- علل الشرائع: ٤٤٥ ب ١٩٥ ح ٢، وسائل الشيعة ١٣: ٨٦ ح ٦، بحار الأنوار ٩٩: ١٥٢ ح ٢٠.

٢- علل الشرائع: ٤٤٥ ح ٣، وسائل الشيعة ١٣: ٨٦ ح ٧ و ٨، بحار الأنوار ٩٩: ١٥٢ ح ٢١.

٣- سورة الحجّ: ٢٥.

٤- الكافي ٤: ٢٢٧ ح ٣، من لا يحضره الفقيه ٢: ٢٥٢ ح ٢٣٣٠، علل الشرائع: ٤٤٥ ب ١٩٦ ح ١، روضة المتّقين ٤: ١٥٩، وسائل الشيعة ١٣: ٢٣٢ ح ٣، بحار الأنوار ٩٩: ٨٠ ح ٢٤، مرآة العقول ١٧: ٧٤ ح ٣.

٥- من لا يحضره الفقيه ٢: ١٩٤ ضمن ح ٢١٢١ و: ٢٥٤ ح ٢٣٣٩، علل الشرائع: ٤٤٦ ب ١٩٦ ح ٢، روضة المتّقين ٤: ٢١، وسائل الشيعة ١٣: ٢٣٤ ح ٨، بحار الأنوار ٩٩: ٨٠ ح ٢٥.

ص: ٢١٩

٣- عن محمد بن جمهور، رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا قضى أحدكم نسكه فليركب راحلته ويلحق بأهله فإنَّ المقام بمكَّة يقسى القلب (١).

٤- عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: لا ينبغي للرجل أن يقيم بمكَّة سنة قلت: فكيف يصنع؟ قال: يتحوَّل عنها إلى غيرها، ولا ينبغي لأحدٍ أن يرفع بناءه فوق الكعبة (٢).

٥- قال الصادق عليه السلام: لا أحب للرجل أن يقيم بمكَّة سنة، وكره المجاورة بها، وقال: ذلك يقسى القلب (٣).

٤٨- باب علَّة كراهة الاحتباء (٤) في المسجد الحرام

١- عن حماد بن عثمان، قال: رأيت أبا عبد الله عليه السلام يكره الاحتباء للمحرم.

قال: ويكره الاحتباء في المسجد الحرام إعظاماً للكعبة (٥).

٢- وإنما يكره الاحتباء في المسجد الحرام تعظيماً للكعبة (٦).

١- الكافي ٤: ٢٣٠ ذيل ح ١، علل الشرائع: ٤٤٦ ب ١٩٦ ح ٣، روضة المتقين ٤: ١٦٣، وسائل الشيعة ١٣: ٢٣٤ ح ٦ و: ٢٣٥ ح ٩، بحار الأنوار ٩٩: ٨١ ح ٢٦.

٢- الكافي ٤: ٢٣٠ ح ١، من لا يحضره الفقيه ٢: ٢٥٤ ح ٢٣٣٨، علل الشرائع: ٤٤٦ ب ١٩٦ ح ٤، تهذيب الأحكام ٥: ٤٤٨ ح ١٥٦٣ و: ٤٦٣ ح ١٦١٦، روضة المتقين ٤: ٢١ وص ١٦٣، وسائل الشيعة ١٣: ٢٣٣ ح ٥ و: ٢٣٥ ح ١، بحار الأنوار ٩٩: ٦٠ ح ٢٦ و: ٨١ ح ٢٧، ملاذ الأختيار ٨: ٤٨٣ ح ٢٠٩ و: ٥١٩ ح ٢٦٢.

٣- المقنعة: ٧٠، وسائل الشيعة ١٣: ٢٣٥ ح ١١.

٤- وقيل أيضاً: الاحتذاء.

قال المولى محمد تقى المجلسى رحمه الله: يقال: احتبى بالثوب: اشتمل وجمع بين ظهره وساقيه بعمامة، والظاهر أن كراهته لاستقبال العورة بالكعبة، سيما إذا لم يكن له سراويل.

وعلى الاحتذاء يكون المراد به لبس النعل مطلقاً، أو غير العربى، ولا ريب فى منافاته لتعظيم المسجد الحرام، بل للكعبة أيضاً.

٥- الكافي ٤: ٣٦٦ ح ٨، علل الشرائع: ٤٤٦ ب ١٩٧ ح ١، روضة المتقين ٤: ٣١، وسائل الشيعة ١٣: ٢٦٦ ح ٢ و: ٢٦٧ ح ٢، بحار الأنوار ٩٩: ٦٠ ح ٢٧.

٦- من لا يحضره الفقيه ٢: ١٩٨ ح ٢١٣١، روضة المتقين ٤: ٣١، وسائل الشيعة ١٣: ٢٦٧ ح ٥.

ص: ٢٢٠

٤٩- باب علّة كون الركوب في الحجّ أفضل من المشى

١- عن رفاعه بن موسى النخّاس، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه سئل عن الحجّ ماشياً أفضل أم ركباً. قال: بل ركباً فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله حجّ ركباً (١).

٢- عن سيف التمار، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّنا كنّا نحجّ مشاة فبلغنا عنك شيء فما ترى؟ قال: إنّ الناس يحجّون مشاة ويركبون.

قلت: ليس ذلك أسألك.

فقال: عن أيّ شيء تسألني؟

قلت: أيّما أحبّ إليك أن نصنع؟

قال: تركبون أحبّ إليّ فإنّ ذلك أقوى لكم على العبادة والدعاء (٢).

٣- عن أبي بصير، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن المشى أفضل أم الركوب.

فقال: إذا كان الرجل موسراً فمشى ليكون أقلّ لنفقته فالركوب أفضل (٣).

٤- عن سليمان، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّنا نريد أن نخرج إلى مكّة مشاة

١- الكافي ٤: ٤٥٦ ح ٤ و ٥، من لا يحضره الفقيه ٢: ٢١٨ ح ٢٢١٧، علل الشرائع: ٤٤٦ ب ١٩٨ ح ١-٣، تهذيب الأحكام ٥: ١٢ ح ٣١ و: ٤٧٨ ح ١٦٩١، روضة المتّقين ٤: ٧٥، وسائل الشيعة ١١: ٨١ ح ١ و ٢ و: ٨٢ ح ٤، حلية الأبرار ٣: ٥٧ ح ٨ بحار الأنوار ٩٩: ١٠٤ ح ٦-٨، مرآة العقول ١٨: ١١٠ ح ٤ و ٥، ملاذ الأخيار ٧: ٢٠٠ ح ٣١، و ٨: ٥٤٩ ح ٣٣٧.

٢- الكافي ٤: ٤٥٦ ح ٢، علل الشرائع: ٤٤٧ ب ١٩٨ ح ٤، تهذيب الأحكام ٥: ١٢ ح ٣٢ و: ٤٧٨ ح ١٦٩٠، وسائل الشيعة ١١: ٨٣ ح ٥، بحار الأنوار ٩٩: ١٠٤ ح ٩، مرآة العقول ١٨: ١٠٩ ح ٢، ملاذ الأخيار ٧: ٢٠٠ ح ٣٢، و ٨: ٥٤٨ ح ٣٦.

٣- الكافي ٤: ٤٥٦ ح ٣، من لا يحضره الفقيه ٢: ٢١٩ ح ٢٢١٨، علل الشرائع: ٤٤٧ ب ١٩٨ ح ٥، مستطرفات السرائر: ٣٥ ح ٤٦، روضة المتّقين ٤: ٧٥، وسائل الشيعة ١١: ٨٥ ح ١٠ و ١١، بحار الأنوار ٩٩: ١٠٤ ح ١٠، مرآة العقول ١٨: ١٠٩ ح ٣.

ص: ٢٢١

فقال: لا تمشوا، اخرجوا ركبانا.

فقلنا: أصلحك الله أنا بلغنا عن الحسن بن علي صلوات الله عليه أنه حجَّ عشرين حجَّةً ماشياً فقال: إنَّ الحسن بن علي عليه السلام كان يحجُّ وتساوق معه الرحال (١).

٥٠- باب علَّة كون التكبیر أيام التشريق بمنى في دبر خمس عشرة صلاة، وبالأمصار في دبر عشر صلوات

١- عن زرارة، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: التكبیر أيام التشريق في دبر الصلاة.

قال: التكبیر بمنى في دبر خمس عشرة صلاة من صلاة الظهر يوم النحر إلى صلاة الغداة، فقال: تقول فيه: الله أكبر الله أكبر لا إله إلَّا الله والله أكبر الله أكبر على ما هدانا والله أكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام، والحمد لله على ما أبلانا، وإنما جعل في سائر الأمصار في دبر عشر صلوات التكبیر، لأنه إذا نفر الناس في نفر الأول أمسك أهل الأمصار عن التكبیر وكبر أهل منى ما داموا بمنى إلى نفر الأخير (٢). (٣).

١- قرب الاستناد: ١٧٠ ح ٦٢٤، الكافي ٤: ٤٥٥ ح ١، علل الشرائع: ٤٤٧ ب ١٩٨ ح ٦، تهذيب الأحكام ٥: ١٢ ح ٣٣، الاستبصار ٢: ١٤٢ ح ٤٦٥، وسائل الشيعة ١١: ٨٣ ح ٦ و: ٨٤ ح ٧، حلية الأبرار ٣: ٥٧ ح ٧ و: ٥٨ ح ٩، بحار الأنوار ٩٩: ١٠٣ ح ١ و ٢، ملاذ الأخيار ٧: ٢٠١ ح ٣٣، مرآة العقول ١٨: ١٠٩ ح ١.

٢- قال المولى محمد تقي المجلسي رحمه الله: الظاهر أن المراد أنه شرع أصالة بمنى عوضاً عن تفاخر الناس في الجاهلية بآبائهم، فإذا نفر الناس من منى إلى مكة انقطع التكبیر، فانقطاعه في غيرها من البلدان أولى.

وقال ابنه محمد باقر المجلسي رحمه الله: حاصل التعليل أن أصل التكبیر إنما هو لأهل منى، وأهل الأمصار تبع لهم، فإذا سقط وجوب الكون بمنى عن بعضهم سقط عن أهل الأمصار لتلا يزيد الفرع على الأصل.

٣- الكافي ٤: ٥١٦ ح ٢، من لا يحضره الفقيه ٢: ١٩٩ صدر ح ٢١٣٣، علل الشرائع: ٤٤٧ ب ١٩٩ ح ١، الخصال: ٥٠٢ ح ٤، تهذيب الأحكام ٥: ٢٦٩ ح ٩٢١، و ٣: ١٣٩ ح ٣١٣، الاستبصار ٢: ٢٩٩ ح ١٠٦٩، روضة المتقين ٤: ٣٣، وسائل الشيعة ٧: ٤٥٨ ح ٢، بحار الأنوار ٩١: ١٢٤ ح ١٧ و: ١٢٥ ح ١٨، و ٩٩: ٣٠٧ ح ١٢، مرآة العقول ١٨: ٢٠٨ ح ٢، ملاذ الأخيار ٥: ١٩٥ ح ٤٥، و ٨: ١٣٧ ح ٣٤.

ص: ٢٢٢

٥١- باب علّة كون الركن الشامى متحرّكاً في الشتاء والصيف

١- عن العزمي، قال: كنت مع أبي عبد الله عليه السلام جالساً في الحجر تحت الميزاب ورجل يخاصم رجلاً وأحدهما يقول لصاحبه: والله ما ندرى من أين تهبّ الريح، فلما أكثر عليه قال له أبو عبد الله عليه السلام: هل تدرى من أين تهبّ الريح؟ فقال: لا، ولكنني أسمع الناس يقولون، فقلت أنا لأبي عبد الله عليه السلام: من أين تهبّ الريح؟ فقال: إنّ الريح مسجونه (١) تحت هذا الركن الشامى، فإذا أراد الله تعالى أن يرسل منها شيئاً أخرجه إما جنوباً فجنوب، وإما شمالاً فشمال، وإما صباء فصباء، وإما دبوراً فدبور، ثم قال: وآية ذلك إنّك لا تزال ترى هذا الركن متحرّكاً (٢) أبداً في الشتاء والصيف والليل والنهار (٣).

٥٢- باب علّة كون البيت مرتفعاً يصعد إليه بالدرج

عن أبان بن تغلب، قال: لما هدم الحجاج الكعبة فرّق الناس ترابها، فلما صاروا إلى بنائها وأرادوا أن يبنوها خرجت عليهم حية فمنعت الناس البناء حتى انهزموا، فأتوا الحجاج فأخبروه، فخاف أن يكون قد منع بناءها، فصعد المنبر، ثم أنشد الناس وقال: انشد الله عبداً عنده ممّا ابتلينا به علم لما أخبرنا به. قال: فقام إليه شيخ، فقال: إن يكن عند أحد علم فعند رجل رأيتك جاء إلى

١- يحتمل أن يكون كناية عن قيام الملائكة الذين بهم تهبّ تلك الرياح فوقه عند إرادة ذلك.

٢- أي حركة الثوب المعلق عليه.

٣- الكافي ٨: ٢٧١ ح ٤٠١، من لا يحضره الفقيه ٢: ١٩٣ ضمن ح ٢١١٦، علل الشرائع: ٤٤٨ ب ٢٠٠ ح ١، معاني الأخبار: ٣٨٤ ح ١، روضة المتقين ٤: ١٤، بحار الأنوار ٦٠: ٨ ح ٧، مرآة العقول ٢٦: ٢٧٦ ح ٤٠١.

ص: ٢٢٣

الكعبة فأخذ مقدارها ثم مضى.

فقال الحجاج: من هو؟

فقال: علي بن الحسين عليه السلام.

فقال: معدن ذلك. فبعث إلى علي بن الحسين عليه السلام، فأتاه فأخبره بما كان من منع الله إياه البناء، فقال علي بن الحسين عليه السلام: يا حجاج، عمدت إلى بناء إبراهيم وإسماعيل فألقيته في الطريق وانتهتته، كأنك ترى أنه تراث لك، اصعد المنبر فانشد الناس أن لا يبقى أحد منهم أخذ منه شيئاً إلّا ردّه. قال: ففعل، وانشد الناس أن لا يبقى أحد منهم أخذ منه شيئاً إلّا ردّه.

قال: فردّه، فلمّا رأى جميع التراب أتى علي بن الحسين فوضع الأساس وأمرهم أن يحفروا، قال: فتغييت الحية عنهم، وحفروا حتى انتهوا إلى موضع القواعد، فقال لهم علي بن الحسين عليه السلام: تنحوا، فتنحوا فدنا منها فغطّاها بثوبه، ثم بكى، ثم غطّاها بالتراب بيد نفسه، ثم دعا الفعل، فقال: ضعوا بناءكم، فوضعوا البناء، فلمّا ارتفعت حيطانه أمر بالتراب فالقى في جوفه، فلذلك صار البيت مرتفعاً يصعد إليه بالدرج (١).

٥٣- باب علّة هدم الكعبة من قبل قريش

١- عن ابن أبي عمير، عن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إنّما هدمت قريش الكعبة، لأنّ السيل كان يأتيهم من أعلى مكة فيدخلها فانصدعت (٢). (٣)

-
- ١- الكافي ٤: ٢٢٢ ح ٨، من لا يحضره الفقيه ٢: ١٩٣ ضمن ح ٢١١٦، علل الشرائع: ٤٤٨ ب ٢٠١ ح ١، روضة المتقين ٤: ١٥، وسائل الشيعة ١٣: ٢١٨ ح ١، بحار الأنوار ٩٩: ٥٢ ح ١، مرآة العقول ١٧: ٦٥ ح ٨.
- ٢- أي أنّ قريشاً لم يتعمدوا خرابها، بل انصدعت وانشقّت بسبب السيل فهدموها وأعادوا البناء من جديد.
- ٣- الكافي ٤: ٢١٧ ح ٤، من لا يحضره الفقيه ٢: ١٩٤ ح ٢١٢٠، علل الشرائع: ٤٤٩ ب ٢٠٢ ح ١، روضة المتقين ٤: ٢٠، وسائل الشيعة ١٣: ٢١٥ ح ١٠، بحار الأنوار ٩٩: ٥٣ ح ٤، مرآة العقول ١٧: ٥٧ ح ٤.

ص: ٢٢٤

٥٤- باب العلة التي من أجلها كان رسول الله صلى الله عليه وآله يمر في كل حجة من حججه بالمأزمين فينزل فيبول، وعلته كون الدخول إلى المسجد الحرام من باب بنى شيبه، وعلته كون التكبير يذهب بالضغاط (١)، وعلته كون الصلوة يستحب له دخول الكعبة، وعلته كون الحلق على الصلوة واجباً، وعلته الاستحباب للصلوة أن يطأ المشعر برجله

١- عن سليمان بن مهران، قال: قلت لجعفر بن محمد عليه السلام: كم حج رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال: عشرين مستتراً (٢) في حجه يمر بالمأزمين (٣) فينزل فيبول (٤).

فقلت: يا بن رسول الله، ولم كان ينزل هناك فيبول؟

قال: لأنه أول موضع عبد فيه الأصنام، ومنه اخذ الحجر الذي نُحت منه هبل الذي رمى به علي من ظهر الكعبة، لما علا ظهر رسول الله فأمر بدفنه عند باب بنى شيبه، فصار الدخول إلى المسجد من باب بنى شيبه سنة لأجل ذلك.

قال سليمان: فقلت: فكيف صار التكبير يذهب بالضغاط هناك؟

قال: لأن قول العبد: الله أكبر معناه الله أكبر من أن يكون مثل الأصنام المنحوتة والآلهة المعبودة دونه، وأن إبليس في شياطينه يضيق على الحاج مسلكتهم في ذلك الموضع، فإذا سمع التكبير طار مع شياطينه وتبعهم الملائكة حتى يقعوا في اللجة الخضراء، فقلت: فكيف صار الصلوة يستحب له دخول الكعبة دون من قد حج؟

فقال: لأن الصلوة قاضية فرض مدعو إلى حج بيت الله، فيجب أن يدخل البيت الذي دعي إليه ليكرم فيه.

١- الضغاط: الزحام. «مجمع البحرين ٤: ٢٦٠- ضغط».

٢- في بعض المصادر: مستتراً. ولعل الاستسرار بالحج من قومه- مع أنهم كانوا لا ينكرون الحج- للنسيء، لأنهم كانوا يحجون في غير أوانه، أو لمخالفة أفعاله لأفعالهم للبدع التي ابتدعوها في حجهم.

٣- المأزمين: موضع بين عرفه والمشعر.

٤- روى صدر الحديث في: الكافي ٤: ٢٤٤ ح ٢ و: ٢٥١ ح ١٢، من لا يحضره الفقيه ٢: ٢٣٧ ح ٢٢٩١، تهذيب الأحكام ٥: ٤٤٣ ح ١٥٤٢ و: ٤٥٨ ح ١٥٩٠، وسائل الشيعة ١٤: ٩ ح ٢.

ص: ٢٢٥

قلت: فكيف صار الحلق عليه واجباً دون من قد حجّ؟

فقال: ليصير بذلك موسماً بسمه الآمين، ألا تسمع الله تعالى يقول: لَتَيْدُخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسِهِمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ (١)؟

قلت: فكيف صار وطء المشعر (٢) عليه واجباً؟

قال: ليستوجب بذلك وطء بحبوحة الجنة (٣).

٥٥- باب علّة كون أيام منى ثلاثة

١- عن محمد بن أبي عمير، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال:

قال لي: أتدرى لِم جعلت أيام منى ثلاثاً؟

قال: قلت: لأيّ شيء - جعلت فداك - ولماذا؟

قال لي: من أدرك شيئاً منها أدرك الحجّ (٤). (٥)

١- سورة الفتح: ٢٧.

٢- الظاهر أنّ المراد بالمشعر: المسجد النبوي على قرح، أو أصل جبل قرح، والمراد بوطئه أن يكون راجلاً وإن لم يكن حافياً، فإن لم يمكنه فراكباً بغيره.

٣- من لا يحضره الفقيه ٢: ٢٣٨ ح ٢٢٩٢، علل الشرائع: ٤٤٩ ب ٢٠٣ ح ١، روضة المتقين ٤: ١٢٣، وسائل الشيعة ١٤: ٨ ح ١، بحار الأنوار ٢١: ٣٩٨ ح ٢٢، و ٩٩: ٤٠ ح ٢٢.

٤- أي ثوابه.

قال الشيخ الصدوق رحمه الله: جاء هذا الحديث هكذا فأوردته في هذا الموضوع لما فيه من ذكر العلّة، وتفرد بروايته إبراهيم بن هاشم، وأخرجه في نوادره، والنبوي أفتى به، واعتمده في هذا المعنى، ما حدّثنا به شيخنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي الله عنه، قال: حدّثنا محمد بن الحسن الصفّار، عن يعقوب بن يزيد، عن محمد ابن أبي عمير، عن جميل بن درّاج، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: من أدرك المشعر الحرام يوم النحر قبل زوال الشمس فقد أدرك الحجّ، ومن أدركه يوم عرفه قبل زوال الشمس فقد أدرك المتمتع.

[الكافي ٤: ٤٧٦ ح ٣، من لا يحضره الفقيه ٢: ٣٨٦ ح ٢٧٧٣ و ٢٧٧٤، تهذيب الأحكام ٥: ٢٩١ ح ٩٨٨، الاستبصار ٢: ٣٠٤ ح ١٠٨٧، وسائل الشيعة ١٤: ٤٠ ح ٨ و ٩، بحار الأنوار ٩٩: ٩٦ ح ٨ و ٣٢٤ ح ٢].

٥- الكافي ٤: ٤٧٦ ح ٤، علل الشرائع: ٤٥٠ ب ٢٠٤ ح ١، تهذيب الأحكام ٥: ٤٨١ ح ١٧٠٦، وسائل الشيعة ١٤: ٣٩ ح ٧ و ٤١ ح ١٢، بحار الأنوار ٩٩: ٣٠٦ ح ٤، مرآة العقول ١٨: ١٤٠ ح ٦، ملاذ الأخيار ٨: ٥٥٥ ح ٣٥٢.

ص: ٢٢٦

٥٦- باب علّة عدم جواز ادهان الرجل حين يريد الإحرام بدهن فيه مسك أو عنبر

١- عن عبيدالله بن عليّ الحلبي، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: لاتدهن حين تريد أن تحرم بدهن فيه مسك ولا عنبر، من أجل أن رِيحه تبقى في رأسك من بعدما تحرم، وادهن بما شئت من الدهن حين تريد أن تحرم، فإذا أحرمت فقد حرم عليك الدهن حتّى تحلّ (١).

٥٧- باب علّة عدم أخذ الطير الأهلّي إذا دخل الحرم

١- عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه سُئل عن طير أهليّ أقبل فدخل الحرم.

قال عليه السلام: لا يمَسّ، لأنّ الله تعالى يقول: وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا (٢)

(٣) ٥٨- باب علّة إذن رسول الله صلى الله عليه وآله للعَبّاس أن يلبث بمكّة ليالي منى

١- عن مالك بن أعين، عن أبي جعفر عليه السلام أنّ العَبّاس استأذن رسول الله صلى الله عليه وآله أن يلبث (٤) بمكّة ليالي منى، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وآله من أجل سقايّة الحاجّ (٥).

١- الكافي ٤: ٣٢٩ ح ٢، من لا يحضره الفقيه ٢: ٣١٠ ح ٢٥٤٠، علل الشرائع: ٤٥١ ب ٢٠٥ ح ١، تهذيب الأحكام ٥: ٣٠٢ ح ١٠٣١ و: ٣٠٣ ح ١٠٣٢، الاستبصار ٢: ١٨١ ح ٦٠٢ و ٦٠٣، روضة المتّقين ٤: ٣٠٢، وسائل الشيعة ١٢: ٤٥٨ ح ١، بحار الأنوار ٩٩: ١٦٨ ح ٤، مرآة العقول ١٧: ٢٥٤ ح ٢، ملاذ الأخيار ٨: ١٩٤ ح ٢٩ و: ١٩٥ ح ٣٠.

٢- سورة آل عمران: ٩٧.

٣- من لا يحضره الفقيه ٢: ٢٦٢ ح ٢٣٦٧، علل الشرائع: ٤٥١ ب ٢٠٦ ح ١ و: ٤٥٤ ح ٧، تهذيب الأحكام ٥: ٣٤٨ ح ١١٩، روضة المتّقين ٤: ١٧٩، وسائل الشيعة ١٣: ٧٥ ح ١، بحار الأنوار ٩٩: ١٥٢ ح ٢٤ و ٢٥، ملاذ الأخيار ٨: ٢٨٥ ح ١١٩. ويأتى الحديث فى الباب ٧١ ح ٧.

٤- فى بعض المصادر: بيت.

٥- من لا يحضره الفقيه ٢: ١٩٩ ضمن ح ٢١٣٤، علل الشرائع: ٤٥١ ب ٢٠٧ ح ١، روضة المتّقين ٤: ٣٧، وسائل الشيعة ١٤: ٢٥٨ ح ١، بحار الأنوار ٩٩: ٣٠٦ ح ٣.

ص: ٢٢٧

٥٩- باب علّة عدم ميّت أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بمكّة بعد أن هاجر منها حتّى قبض

١- عن جعفر بن عقبه، عن أبي الحسن عليه السلام قال: إنّ عليّاً عليه السلام لم يبت بمكّة بعد إذ هاجر منها حتّى قبضه الله عزّوجلّ إليه.

قال: قلت له: ولمّ ذاك؟

قال: يكره أن يبيت بأرضٍ قد هاجر منها رسول الله صلى الله عليه وآله فكان يصلّي العصر ويخرج منها ويبيت بغيرها (١).

٦٠- باب علّة عدم جواز إضلال المحرم على نفسه من غير علّة

١- عن عبد الله بن المغيرة، قال: قلت لأبي الحسن الأوّل عليه السلام: اظلل وأنا محرم؟

قال: لا.

قلت: فاظلل واكفر؟

قال: لا.

قلت: فإن مرضت؟

قال: ظلّ وكفر، ثم قال: أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ما من حاجّ يضخى ملئياً حتّى تغيب الشمس إلّا غابت ذنوبه

معها (٢)؟

٦١- باب علّة وجوب الدنوّ من الهضبات بعرفات

١- عن عبيد الله بن عليّ الحلبيّ، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا وقفت بعرفات

١- من لا يحضره الفقيه ٢: ٢٠١ ذيل ح ٢١٣٦، عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٨٤ ح ٢٤، علل الشرائع: ٤٥٢ ب ٢٠٨ ح ١، روضة المتّقين ٤: ٤٢، وسائل الشيعه ١٣: ٢٣٥ ح ١٠، بحار الأنوار ٤١: ١٠٧ ح ١١، و ٩٩: ٨٢ ح ٣٢.

٢- من لا يحضره الفقيه ٢: ٢٢٢ ح ٢٢٣٨ و: ٣٥٢ ح ٢٦٧٣، علل الشرائع: ٤٥٢ ب ٢٠٩ ح ١، تهذيب الأحكام ٥: ٣١٣ ح ١٠٧٥، الاستبصار ٢: ١٨٧ ح ٦٢٧، روضة المتّقين ٤: ٨٢ و ٤٣٠، وسائل الشيعه ١٢: ٣٨٧ ح ٢ و: ٥١٦ ح ٣، بحار الأنوار ٩٩: ١٧٨ ح ٧، ملاذ الأخيار ٨: ٢١٥ ح ٧٣.

ص: ٢٢٨

فادن من الهضبات (١) وهي الجبال، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أصحاب الأراك لا حج لهم - يعنى الذين يقفون عند الأراك (٢) - (٣).

٦٢- باب علّة منع الصيد

١- عن الحلبيّ، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيُبْلُوَنَكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ (٤).

قال: حشر عليهم الصيد من كلّ مكان حتّى دنا منهم ليلوهم الله (٥).

٦٣- باب علّة كراهة الكحل للمرأة المحرمة

١- عن الحلبيّ، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن المرأة تكتحل وهي محرمة. قال: لا تكتحل.

قلت: بسواد ليس فيه طيب.

قال: فكرهه من أجل أنّه زينته، وقال: إذا اضطرت إليه فلتكتحل (٦).

٢- عن حريز، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: لا تكتحل المرأة بالسواد، إنّ

١- الهضبة: الجبل المنبسط على الأرض، أو جبل خلق من صخرة واحدة.

٢- الأراك: القطعة من الأرض. وموضع بعرفة قرب نمره. ولا خلاف في أنّ الأراك من حدود عرفة وليس بداخل فيها.

٣- الكافي ٤: ٤٦٣ ح ٢، علل الشرائع: ٤٥٥ ب ٢١١ ح ١، تهذيب الأحكام ٥: ٢٨٧ ح ٩٧٥، الاستبصار ٢: ٣٠٢ ح ١٠٧٨، وسائل الشيعة ١٣: ٥٥١ ح ١١، بحار الأنوار ٩٩: ٢٥٢ ح ١٠، مرآة العقول ١٨: ١٢٠ ح ٢، ملاذ الأخيار ٨: ١٦٦ ح ١٢.

٤- سورة المائدة: ٩٤.

٥- تفسير العياشي ١: ٣٤٣ ح ١٩٤، الكافي ٤: ٣٩٦ ح ٢، علل الشرائع: ٤٥٦ ب ٢١٢ ح ١، تهذيب الأحكام ٥: ٣٠٠ ح ١٠٢٢، وسائل الشيعة ١٢: ٤١٦ ح ٦ و ٤١٨ ح ١٠، بحار الأنوار ٩٩: ١٥٤ ح ٣١، مرآة العقول ١٧: ٣٩٣ ح ٢، ملاذ الأخيار ٨: ١٩١ ح ٢٠.

٦- علل الشرائع: ٤٥٦ ب ٢١٣ ح ١، وسائل الشيعة ١٢: ٤٧١ ح ١٤، بحار الأنوار ٩٩: ١٦٨ ح ٥.

ص: ٢٢٩

السواد من الزينة (١). (٢) ٦٤- باب علّة وجوب البدنة على المحرم، الذي ينظر إلى ساق امرأة أو إلى فرجها فيمنى

١- عن أبي بصير، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن محرم نظر إلى ساق امرأة أو إلى فرجها حتى أمني.

قال: إن كان موسراً فعليه بدنة، وإن كان متوسّطاً فعليه بقرة، وإن كان فقيراً فشاء.

ثم قال: أما إنني لم أجعلها عليه لمنه إلا لنظره إلى ما لا يحلّ له النظر إليه (٣).

٦٥- باب علّة كون الحجّ أفضل من الصلاة والصيام

١- عن سيف التمار، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: كان أبي يقول: الحجّ أفضل من الصلاة والصيام، إنّما المصلّي يشتغل عن أهله

ساعه، وأنّ الصائم يشتغل عن أهله بياض يوم، وأنّ الحاجّ يتعب بدنه ويضجر (٤) نفسه، وينفق ماله، ويطلّ الغيبة عن

١- قال المجلسي رحمه الله: إنّ مقتضى التعليل التحريم مطلقاً سواء قصد الزينة أم لا. ولا خلاف أيضاً في أنّ الرجل والمرأة مساويان

في الحكم. وأما الاكتحال بما ليس بسواد وليس فيه طيب فهو جائز بلا خلاف.

٢- الكافي ٤: ٣٥٦ ح ١، علل الشرائع: ٤٥٦ ب ٢١٣ ح ٢، تهذيب الأحكام ٥: ٣٠١ ح ١٠٢٥، وسائل الشيعة ١٢: ٤٦٩ ح ٤، بحار الأنوار

٩٩: ١٦٨ ح ٦، مرآة العقول ١٧: ٣١٤ ح ١، ملاذ الأخيار ٨: ١٩٢ ح ٢٣.

وانظر تخريجات الحديث ١ في الباب ٦٨.

٣- المحاسن ٢: ٣٨ ح ٥١، الكافي ٤: ٣٧٧ ح ٧، من لا يحضره الفقيه ٢: ٣٣٢ ح ٢٥٩٠، المقنع: ٧٦، علل الشرائع: ٤٥٦ ب ٢١٤ ح ١ و:

٤٥٨ ح ١ و: ٥٩٠ ح ٣٩، تهذيب الأحكام ٥: ٣٢٥ ح ١١١٥، روضة المتّقين ٤: ٣٨٥، وسائل الشيعة ١٣: ١٣٣ ح ٢ و: ١٣٤ ح ٣ و: ١٣٥

ح ٤، بحار الأنوار ٩٩: ١٦٩ ح ٤ و: ١٧٠ ح ٦ و ٧، ملاذ الأخيار ٨: ٢٣٩ ح ٢٨، مرآة العقول ١٧: ٣٥٥ ح ٧.

ويأتي في الباب ٦٩ ح ١.

٤- في بعض المصادر: ويضحى نفسه. أي يجعلها بارزة للشمس بالسير والسلوك في ضاحية النهار.

ص: ٢٣٠

أهله، لا في مال يرجوه، ولا إلى تجارته.

وكان أبي يقول: وما أفضل من رجل يجيء يقود بأهله والناس وقوف بعرفات يميناً وشمالاً يأتي بهم الحج فيسأل بهم الله تعالى (١).
 ٢- عن الكاهلي، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يذكر الحج، فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: هو أحد الجهادين، هو جهاد الضعفاء ونحن الضعفاء، أما إنه ليس شيء أفضل من الحج إلا الصلاة في الحج، هاهنا صلاة وليس في الصلاة حج، لا تدع الحج وأنت تقدر عليه، أما ترى أنه يشعث فيه رأسك، ويقشف (٢) فيه جلدك، وتمتنع فيه من النظر إلى النساء؟ وأنا نحن ها هنا، ونحن قريب ولنا مياه متصلة ما نبلغ الحج حتى يشق علينا فكيف أنت في بعد البلاد وما من ملك ولا سوقه يصل إلى الحج إلا بمشقة في تغير مطعم ومشرب أو ريح أو شمس لا- يستطيع ردها وذلك لقوله تعالى: وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغِيَةِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (٣)؟ (٤)

٦٦- باب علّة الإطلاق للمحرم أن يطرح عنه القراد والحلم (٥)

١- عن الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سأله رجل فقال: رأيت إن كان عليّ قراد أو حلمه أطرحهما عني؟

١- من لا يحضره الفقيه ٢: ٢٢١ ح ٢٢٣٦، علل الشرائع: ٤٥٦ ب ٢١٥ ح ١، روضة المتقين ٤: ٨١، وسائل الشيعة ١١: ١١٢ ح ٥، بحار الأنوار ٩٩: ١٨ ح ٦٧.

٢- القشف: قدر الجلد، وراثثة الهيئة، وسوء الحال. «القاموس المحيط ٣: ١٨٥- قشق».

٣- سورة النحل: ٧.

٤- الكافي ٤: ٢٥٣ ح ٧، من لا يحضره الفقيه ٢: ٢٢٦ ح ٢٢٥٤، علل الشرائع: ٤٥٧ ب ٢١٥ ح ٢، تهذيب الأحكام ٥: ٢٢ ح ٦٤، روضة المتقين ٤: ٩٢، وسائل الشيعة ١١: ١٠٢ ح ٢٨ و: ١٠٧ ح ٤٤ و: ١١٠ ح ٢، بحار الأنوار ٩٩: ١٩ ح ٦٨، مرآة العقول ١٧: ١٢٣ ح ٧، ملاذ الأخيار ٧: ٢٢٢ ح ١٠.

٥- الحلم: هو القراد الكبار، واحده حلمة. «حياة الحيوان ١: ٢٣٧».

ص: ٢٣١

قال: نعم، وصغار لهما، لأنهما رقيا في غير مرقاهما (١). (٢) ٦٧- باب علّة عدم الجدل في بعض الأحيان
 ١- عن أبي بصير، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن المحرم يريد أن يعمل العمل فيقول له صاحبه: والله لا تعمله، فيقول: والله لأعملته، فيخالفه مرارا، أيلزم ما يلزم صاحب الجدل؟
 قال: قال: لا، لأنه أراد بهذا إكرام أخيه إنّما ذلك ما كان لله معصية.
 قال: وسأله عن محرم رمى ظيماً فأصاب يده فخرج منها.
 قال: إن كان الظبي مشى عليها ورعى فليس عليه شيء، وإن كان ذهب على وجهه فلم يدر ما يصنع فعليه الفداء لأنه لا يدرى لعله هلك (٣).

٦٨- باب علّة عدم جواز نظر المحرم في المرأة

١- عن حريز، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: لا تنظر في المرأة وأنت محرم، لأنه من الزينة (٤).

-
- ١- أي ليس مصعدهما الإنسان، بل الغنم والبعير، وحاصله: أنه لا ينبغي طرح دواب الإنسان كالقملة عن نفسه دون غيرها.
 ٢- الكافي ٤: ٣٦٢ ح ٤، من لا يحضره الفقيه ٢: ٣٥٨ ح ٢٦٩٨، المقنع ٧٥، علل الشرائع: ٤٥٧ ب ٢١٦ ح ١، تهذيب الأحكام ٥: ٣٣٧ ح ١١٦٢، روضة المتقين ٤: ٤٤٦، وسائل الشيعة ١٢: ٥٤١ ح ١، بحار الأنوار ٩٩: ١٥٥ ح ٣٦، مرآة العقول ١٧: ٣٢٤ ح ٤، ملاذ الأخيار ٨: ٢٦٣ ح ٧٥.
 ٣- الكافي ٤: ٣٣٨ ح ٥، من لا يحضره الفقيه ٢: ٣٣٣ ح ٢٥٩٢، علل الشرائع: ٤٥٧ ب ٢١٧ ح ١، مستطرفات السرائر: ٣٢ ح ٣٠، روضة المتقين ٤: ٣٨٩، وسائل الشيعة ١٢: ٤٦٦ ح ٧، بحار الأنوار ٩٩: ١٥٤ ح ٣٢ و: ١٧٠ ح ٥ و: ١٧٣ ح ١٥، مرآة العقول ١٧: ٢٧٧ ح ٥.
 ٤- من لا يحضره الفقيه ٢: ٣٤٧ ح ٢٤٦٩، علل الشرائع: ٤٥٨ ب ٢١٨ ح ١، تهذيب الأحكام ٥: ٣٠٢ ح ١٠٢٩، روضة المتقين ٤: ٤١٥، وسائل الشيعة ١٢: ٤٧٢ ح ١ و ٣، بحار الأنوار ٩٩: ١٦٨ ح ٧، ملاذ الأخيار ٨: ١٩٣ ح ٢٧.
 وانظر تخريجات الحديث ٢ في الباب ٦٣.

ص: ٢٣٢

٦٩- باب علّة قتل بعض الدواب

١- عن معاوية، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إذا أحرمت فاتق قتل الدوابّ كلّها إلّا الأفعى والعقرب والفأرة، فأما الفأرة فإنّها توهى السقاء، وتحرق على أهل البيت، وأما العقرب فإنّ نبيّ الله صلى الله عليه وآله مدّ يده إلى جحر فلسعته عقرب، فقال: لعنك الله لا- بزاً تدعيه ولا- فاجراً، والحية إذا أراذك فاقتلها، وإن لم تردك فلا تردها، والكلب العقور والسبع إذا أراذك وإن لم يرداك فلا- تردهما، والأسود الغدر (١) فاقتله على كلّ حال، وارم الغراب رمياً عن ظهر بعيرك، وقال: إنّ القراد ليس من البعير، والحلمة من البعير (٢).

٧٠- باب علّة زيارة النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام بعد الحجّ

١- عن إسماعيل بن مهران، عن جعفر بن محمد عليه السلام، قال: إذا حجّ أحدكم فليختم حجّه بزيارتنا؛ لأنّ ذلك من تمام الحجّ (٣).

٢- عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: تمام الحجّ لقاء الإمام (٤).

٣- عن الحسن بن عليّ الوشاء، قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول: إنّ لكلّ إمام عهداً في عنق أوليائه وشيعته، وإنّ من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم، فمن زارهم رغبةً في زيارتهم وتصديقاً بما رغبوا فيه كان أئمتهم

١- أى الحية العظيمة. «القاموس المحيط ١: ٣٠٤- سود».

٢- الكافي ٤: ٣٦٣ ح ٢، علل الشرائع: ٤٥٨ ب ٢١٩ ح ٢، تهذيب الأحكام ٥: ٣٦٥ ح ١٢٧٣، وسائل الشيعة ١٢: ٥٤٥ ح ٢-٤، بحار الأنوار ٩٩: ١٥٤ ح ٣٣، مرآة العقول ١٧: ٣٢٥ ح ٢، ملاذ الأخيار ٨: ٣٢٣ ح ١٨٦.

٣- عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٦٢ ح ٢٨، علل الشرائع: ٤٥٩ ب ٢٢١ ح ١، وسائل الشيعة ١٤: ٣٢٤ ح ٧، بحار الأنوار ٩٩: ٣٧٤ ح ١، و ١٠٠: ١٣٩ ح ١.

٤- الكافي ٤: ٥٤٩ ح ٢، عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٦٢ ح ٢٩، علل الشرائع: ٤٥٩ ح ٢، وسائل الشيعة ١٤: ٣٢٤ ح ٨، و: ٣٢٥ ح ١٢، بحار الأنوار ٩٩: ٣٧٤ ح ٢، مرآة العقول ١٨: ٢٥٨ ح ٢.

ص: ٢٣٣

شفعاء هم يوم القيامة (١).

٤- عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنما امر الناس أن يأتوا هذه الأحجار، فيطوفوا بها، ثم يأتوا فيخبرونا بولايتهم، ويعرضوا علينا نصرتهم (٢). (٣) ٥- عن المعلّى بن شهاب، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال الحسن بن عليّ عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا أبتاه، ما جزاء من زارك؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا بني، من زارني حيّاً وميتاً، أو زار أباك أو زار أخاك أو زارك، كان حقّاً عليّ أن أزوره يوم القيامة فاخّصه من ذنوبه (٤).

٦- عن زيد الشحام، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما لمن زار واحداً منكم؟ قال: كمن زار رسول الله صلى الله عليه وآله (٥).

١- الكافي ٤: ٥٦٧ ح ٢، كامل الزيارات: ٢٣٦ ح ٢، من لا يحضره الفقيه ٢: ٥٧٧ ح ٣١٦٠، عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٦١ ح ٢٤، علل الشرائع: ٤٥٩ ب ٢٢١ ح ٣، المقنعة: ٧٥، تهذيب الأحكام ٦: ٧٨ ح ١٥٥ و: ٩٣ ح ١٧٥، مناسك الحجّ للمحقّق الكركي: ٣١ المطبوع في مجلّة ميقات الحجّ، العدد ٩، روضة المتّقين ٥: ٣٦٠، وسائل الشيعة ١٤: ٣٢٢ ح ٥، بحار الأنوار ١٠٠: ١١٦ ح ١ و: ١١٧ ح ٢-٤، مرآة العقول ١٨: ٢٨٥ ح ٢، ملاذ الأخيار ٩: ١٩٨ ح ٣ و: ٢٤١ ح ٢.

٢- قال الشيخ الصدوق رحمه الله: هذه الأخبار إنّما وردت فيمن يملك الاختيار ويقدر على أن يبدأ بأيّهما شاء من مكّة أو المدينة، فأما من يؤخذ به على أحد الطريقتين فاحتاج إلى الأخذ فيه شاء أو أبي فلا خيار له في ذلك، فإن اخذ به على طريق المدينة بدأ بها، و كان ذلك أفضل له لأنّه لا يجوز له أن يدع دخول المدينة وزيارة قبر النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام بها وإتيان المشاهد انتظاراً لرجوعه، فربّما لم يرجع أو اخترم دون ذلك، والأفضل له أن يبدأ بالمدينة.

٣- الكافي ٤: ٥٤٩ ح ١، من لا يحضره الفقيه ٢: ٥٥٨ ح ٣١٣٩، عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٦٢ ح ٣٠، علل الشرائع: ٤٥٩ ب ٢٢١ ح ٤، مناسك الحجّ للمحقّق الكركي: ٣١، روضة المتّقين ٥: ٣١٤، وسائل الشيعة ١٤: ٣٢٠ ح ١، بحار الأنوار ٩٩: ٣٧٤ ح ٣، مرآة العقول ١٨: ٢٥٨ ح ١.

٤- الكافي ٤: ٥٤٨ ح ٤، كامل الزيارات: ٤٠ ح ٢ و: ٤١ ح ٥ و: ٤٧ ح ١٨ و ١٩، علل الشرائع: ٤٦٠ ح ٥، ثواب الأعمال: ١٠٧ ح ١، الأمالي للصدوق: ١١٤ ح ٤، بحار الأنوار ٩٩: ٣٧٣ ح ٨ و ١٠٠: ١٤٠ ح ٧ و: ١٤١ ح ٨-١٣، مرآة العقول ١٨: ٢٥٧ ح ٤.

٥- الكافي ٤: ٥٧٩ ح ١، كامل الزيارات: ٢٨٣ ح ٣، علل الشرائع: ٤٦٠ ح ٦، عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٦٢ ح ٣١، بحار الأنوار ١٠٠: ١١٧ ح ٥ و ٦، مرآة العقول ١٨: ٣٠٦ ح ١.

ص: ٢٣٤

٧- عن إبراهيم بن أبي حجر الأسلمي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أتى مكة حاجاً ولم يزرني إلى المدينة جفاني، ومن جفاني جفوته يوم القيامة، ومن جاءني زائراً وجبت له شفاعتي، ومن وجبت له شفاعتي وجبت له الجنة (١).

٧١- باب نوادر العلل

١- عن عبد الرحمان بن أبي عبد الله، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن ناساً من هؤلاء القصاص يقولون: إذا حج رجل حجة ثم تصدق ووصل كان خيراً له.

فقال: كذبوا، لو فعل هذا الناس لعطل هذا البيت، إن الله تعالى جعل هذا البيت قياماً للناس (٢).

٢- عن عمر بن اذينة، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى: وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا (٣) يعني به الحج دون العمرة؟

فقال: لا ولكنه يعني الحج والعمرة جميعاً لأنهما مفروضان (٤).

٣- عن أبي الربيع الشامي، قال: سئل أبو عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل:

وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، قال: فما يقول الناس؟

قال: فقل له: الزاد والراحلة.

١- الكافي ٤: ٥٤٨ ح ٥، كامل الزيارات: ٤٤ ح ٩، من لا يحضره الفقيه ٢: ٥٦٥ ح ٣٣٨، علل الشرائع: ٤٦٠ ح ٧، تهذيب الأحكام ٦: ٤ ح ٥، مناسك الحج للمحقق الكركي: ٣١، روضة المتقين ٥: ٣٢٥، وسائل الشيعة ١٤: ٣٣٣ ح ٣، بحار الأنوار ١٠٠: ١٤٠ ح ٥ و ٦، مرآة العقول ١٨: ٢٥٨ ح ٥، ملاذ الأخيار ٩: ١١ ح ٥.

٢- علل الشرائع: ٤٥٢ ب ٢١٠ ح ١، وسائل الشيعة ١١: ٢٢ ح ٨، بحار الأنوار ٩٩: ١٨ ح ٦٦.

٣- سورة آل عمران: ٩٧.

٤- تفسير العياشي ١: ١٩١ ح ١١٠، الكافي ٤: ٢٦٤ ح ١، علل الشرائع: ٤٥٣ ب ٢١ ح ٢، وسائل الشيعة ١٤: ٢٩٧ ح ٧، بحار الأنوار ٩٩: ٣٣١ ح ٣ و ٥، تفسير البرهان ١: ٦٦٢ ح ٢، مرآة العقول ١٧: ١٣٩ ح ١.

ص: ٢٣٥

فقال عليه السلام: هللك الناس إذن، لئن كان من كان له زاد وراحلة قدر ما يقوت على عياله، ويستغنى به عن الناس، ينطلق إليه فيسألهم إياه، لقد هللكوا إذن.

ف قيل له: فما السبيل؟

قال: فقال: السعة في المال إذا كان يحجّ ببعض ويبقى بعضاً يقوت به عياله، أليس قد فرض الله الزكاة، فلم يجعلها إلأعلى من يملك مائتي درهم؟ (١) ٤- عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان أبو عبد الله عليه السلام في المسجد الحرام، فقيل له: إن سبعا من سباع الطير على الكعبة ليس يمرّ به شيء من حمام الحرم إلأضربه.

فقال عليه السلام: انصبوا له واقتلوه، فإنه قد أهدى في الحرم (٢). (٣) ٥- عن محمد بن أبي عمير وفضالة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: شجرة أصلها في الحرم وفرعها في الحلّ.

فقال عليه السلام: حرّم فرعها لمكان أصلها (٤).

٦- عن إبراهيم بن ميمون قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: رجل نتف ريش حمامة من حمام الحرم، قال: يتصدّق بصدقه على مسكين ويعطى باليد التي نتف

١- تفسير العياشي ١: ١٩٢ ح ١١٣، الكافي ٤: ٢٦٧ ح ٣، علل الشرائع: ٤٥٣ ح ٣، تهذيب الأحكام ٥: ٢ ح ١، الاستبصار ٢: ١٣٩ ح ٤٥٣، وسائل الشيعة ١١: ٣٧ ح ١ و ٢، تفسير البرهان ١: ٦٦٣ ح ٥، بحار الأنوار ٩٩: ١٠٧ ح ٣ و: ١٠٨ ح ٤، مرآة العقول ١٧: ١٤٧ ح ٣، ملاذ الأخيار ٧: ١٨٢ ح ١.

٢- وهذا يدلّ على أنّ الظلم في الحرم حتّى من غير ذوى العقول إلحاد وكفر أو بمنزلته.

٣- الكافي ٤: ٢٢٧ ح ١، من لا يحضره الفقيه ٢: ٢٥١ ح ٢٣٢٨، علل الشرائع: ٤٥٣ ح ٤، روضة المتّقين ٤: ١٥٩، وسائل الشيعة ١٣: ٨٣ ح ١، بحار الأنوار ٩٩: ١٥٢ ح ٢٦، مرآة العقول ١٧: ٧٢ ح ١.

٤- الكافي ٤: ٢٣١ ح ٤، من لا يحضره الفقيه ٢: ٢٥٤ ح ٢٣٤١، علل الشرائع: ٤٥٣ ح ٥، تهذيب الأحكام ٥: ٣٧٩ ح ١٣٢١، روضة المتّقين ٤: ١٦٤، وسائل الشيعة ١٢: ٥٥٩ ح ١ و: ٥٦٠ ح ٣، بحار الأنوار ٩٩: ١٥٣ ح ٢٧، مرآة العقول ١٧: ٨٢ ح ٤، ملاذ الأخيار ٨: ٣٤٨ ح ٢٣٤.

ص: ٢٣٦

بها، فإنه قد أوجعه بها (١).

٧- عن معاوية، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن طير أهلى أقبل فدخل الحرم، فقال: لا يمسه إن الله تعالى يقول: وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ

آمناً (٢).

(٣).

١- الكافي ٤: ٢٣٥ ح ١٧، من لا يحضره الفقيه ٢: ٢٦١ ح ٢٣٦٣، علل الشرائع: ٤٥٣ ح ٦، تهذيب الأحكام ٥: ٣٤٨ ح ١٢١٠، روضة المتقين ٤: ١٧٧، وسائل الشيعة ١٣: ٣٦ ح ٥، بحار الأنوار ٩٩: ١٥٣ ح ٢٨، مرآة العقول ١٧: ٩٢ ح ١٧، ملاذ الأخيار ٨: ٢٨٧ ح ١٢٣.

٢- سورة آل عمران: ٩٧.

٣- تقدمت تخريجاته في الحديث ١ في الباب ٥٧.

ص: ٢٣٧

تعريف بكتاب: الحرم المكي.... (٢)

تعريف بكتاب: الحرم المكي.... (٢)

تأليف: أ. د. عبد الملك بن دهيش

تقديم وتعريف: محسن الأسدي

الحرم المكي الشريف والأعلام المحيطة به

بعد أن انتهينا من القسم الأول لتعريف هذا الكتاب القيم والذي به انتهى الفصل الأول من الباب الأول للكتاب المذكور، وقد تحدث فيه المؤلف عن تاريخ أعلام الحرم المكي الشريف، منهيًا ذلك بجدول يضم مجددى أعلام الحرم مرتبين حسب تاريخ التجديد، وقد قسم جدوله هذا بالشكل الآتي:

اسم مجدد الأعلام، من قام بالتجديد، سنة التجديد، الأعلام التي تم تجديدها مبتدئًا جدوله هذا بنبي الله إسماعيل عليه السلام، مروراً بعدنان بن أدد، وقصى بن كلاب، ثم قريش، فرسول الله صلى الله عليه وآله ذاكراً للخلفاء والأمراء... حتى يصل إلى العصر الحالي، فيختم جدوله المذكور بالملك فهد بن عبدالعزيز سنة ١٤٠٧ هـ. كل هذا ذكره المؤلف قبل أن ينتقل إلى الفصل الثاني من الباب نفسه، لنتقل معه إلى تعريفنا وقراءتنا، ولو بشكل مختصر جدًّا، للفصل الثاني وللاّتي بعده حتى النهاية.

الفصل الثاني

جهود المؤرخين المكيين في ضبط مواضع حدود الحرم الشريف.

ص: ٢٣٨

وقد ابتداء المؤلف بعد العنوان بعنوان صغير «جهود الإماميين الأزرقى والفاكهى»

ومن المعروف أنّ «أخبار مكة» للأزرقى، و «أخبار مكة فى قديم الدهر وحديثه» للفاكهى، يعدّان من أقدم ما وصلنا من دراسات تأريخية عن الحرم المكى الشريف.

فقد عاش كلا المؤلفين فى قرن واحد، وإن توفى الأزرقى قبل الفاكهى بعشرين سنة. وقد قام المؤلف الأزرقى بتحقيق كتاب الفاكهى وطبع فى خمسة مجلدات، فيما السادس وضع للملاحق والفهارس، وبسبب أنّهما أولفا فى قرن واحد، فقد تشابهت أبحاثهما، ونظراً لعدم وصول غيرهما، فقد عدّهما المؤلف أبحاثاً، وإلا فهى مجرد إشارات كما يذهب إلى ذلك المؤلف نفسه.

ثم راح المؤلف ابن دهيش يذكر مواضع الأعلام، التى ذكرها كلّ من الأزرقى والفاكهى، وهى وإن كانت قليلة، إلا أنّها كانت موضع اتفاق بينهما وموضع فائدة للمؤلف الدكتور فى كتابه هذا.

١- جبل نمره، وسماه الأزرقى (ذات السليم) وكذا الفاكهى، وقد تفرّد الأخير بأن ذكر أنّ عليه أعلام الحرم دون الأزرقى.

٢- طريق الطائف القديم المارّ على عرفه، وقال عنه الفاكهى: (ومن طريق الطائف على عرفه من بطن نمره على أحد عشر ميلاً).

٣- جبل المقطع، وهو منتهى الحرم من طريق العراق.

٤- ثنية خلّ، بطرف المقطع، منتهى الحرم من طريق العراق.

٥- جبل الستار (ستار لحيان)، وسمى بالستار؛ لأنّه ستر بين الحلّ والحرم.

٦- ثنية المستوفرة وهى ثنية على حائط ثرير، وعلى رأسها أنصاب الحرم، فما سال على ثرير حلّ، وما سال منها على الشعب فهو حرام.

٧- ثنية ذات الحنظل، أنصاب على رأس الثنية، وجهها حرم، ظهرها حلّ.

ص: ٢٣٩

٨- التخابر والأعشاش، بعضها في الحلّ وبعضها في الحرم...

٩- بشائم، وهي ردهة تمسك الماء، فيما بين أضواء لبن، بعضها في الحلّ، وبعضها في الحرم.

١٠- ثنية لبن، وهي على سبعة أميال من طريق اليمن.

١١- جبل نعيلة، (كبش: الجبل الذي دون نعيلة في طرف الحرم).

١٢- جبل غراب، بأسفل مكة بعضه في الحلّ وبعضه في الحرم.

١٣- الضحاضح، ثنية ابن كرز من وراء السلفين، تصبّ في النبعة، بعضها في الحلّ وبعضها في الحرم.

ثمّ ذكر كل من الأزرقى والفاكهى الأودية، وإن اختلفا في مصبها فالفاكهى ذهب إلى أنّها تسكب من الحلّ في أرض الحرم، فيما قرّر الأزرقى أنّ أودية الحرم تسكب في الحلّ إلّامن التنعيم، وبعد تتبع توصل الفاكهى إلى خلاف ما ذهب إليه الأزرقى ثم ذكر تلك المواضع. وقد نال ما ذهب إليه الفاكهى قبول الدكتور ابن دهب بعد تفصيّه لما قاله، مخطئاً ما رآه الأزرقى.

ثم انتقل إلى مداخل مكة الستة التي ذكرها الأزرقى والفاكهى، وأبعادها، وعليها أعلام الحرم، من طريق المدينة، واليمن، وجدة والطائف، والعراق، والجعرانة.

بعد هذا انتقل المؤلف إلى ما ذكره محبّ الدين الطبرى، وهكذا جهود الإمام تقى الدين الفاسى وضبطهما لمواضع من حدود الحرم، وهنا يمكن طرح سؤالين:

الأول: هل للقبائل دور في تحديد أعلام الحرم ومواقعها؟

الثانى: ما هو سبب التعرجات في الحرم؟

ويجب عنهما المؤلف:

يأنّ حرمة مكة المكرمة كانت يوم خلق السموات والأرض، وأعلام الحرم وجدت في عهد إبراهيم، وهو أول من علم مواضعها بدلالة جبريل عليه السلام.

ص: ٢٤٠

وليس للقبائل دور فيها، فهي لم تسكن الحرم والأماكن الواقعة على حدوده إلا بعد وضع أعلام الحرم بزمن طويل. إذ هي قبائل رُحُل، ولا علاقة لها بتحديد الحدود، نعم كان لها دور في تجديد هذه الأعلام وترميمها. هذا جواب السؤال الأول.

وأما الجواب عن السؤال الثاني، فإن المداخل التي تحدد بها الجبال الشامخة وتضيق مداخلها، يكون حدّها قريباً إلى الكعبة مثل التنعيم فهي منطقة أكثر جبالها متصلة بعضها ببعض وشاهقة في الارتفاع فهي أقرب المداخل ولا يزيد اتساعه عن ٩٠٠ م، فيما تكون منطقة الأعشاش الواقعة على طريق جدّه وتسمى بالحديبية أو الشميسى أبعد حدود الحرم من الكعبة. فالحد يبعد فيها عن الكعبة بحوالي عشرين كيلومتراً... وهكذا فكلما ضاق المدخل قرب الحد، وكلما اتسع المدخل بعد الحد تمشياً مع مظاهر السطح. هذا وأن حدود الحرم توقيفية، والأمر فيها لله تعالى وحده وليس للاجتهد نصيب فيه.

هذا وقد سكنت القبائل بالقرب من حدود الحرم:

الحدّ الشرقي: مساكن قبائل قريش.

الحدّ الغربي: مساكن قبائل لحيان.

الحدّ الشمالي: مساكن قبائل لحيان، ونزلت عليهم في بعض المواقع الآن قبائل حرب.

الحدّ الجنوبي: مساكن قبائل خزاعة.

واستفيد من هذه القبائل في إعادة بناء وترميم وتجديد أعلام الحرم الواقعة في جهتها؛ لسابق معرفتهم بوضع الأعلام وأماكنها. ومن واقع دراسته الميدانية تبين للدكتور ابن دهبش أن الأعلام المحيطة بالحرم تبلغ ٩٣٤ علماً على مداخل مكة أو على جبالها، فهي تحيط بالحرم المكي إحاطة تامة، أقامها أسلافنا على هذه الجبال، أكثر من ثلثها كان مبنياً قائماً، وبعضها الآخر كان متهدماً، وأثر النورة لاصق بأحجارها أو يتخللها.

ص: ٢٤١

وأن دائرة الحرم (١٢٧ كم) بدءاً بقرن الأعفر الواقع في أول الحدّ الشرقي من ناحية الجنوب، وانتهاءً به. وكان قياسه لمسافة الحرم من واقع الخرائط الجويّة فوجدها خمسمائة وخمسين كيلومتراً وثلاثمائة متر مربع. ثم ذكر المؤلف المسافات على الطرق القديمة، مبتدئاً من جدار المسجد الحرام حتى أعلام كل منطقة في مداخل مكة. ثم ذكر المسافات من جدار المسجد الحرام حتى أعلام كل منطقة على الطرق الحديثة لمداخل مكة المكرمة.

وقبل أن يدخل المؤلف في تفاصيل مواضع حدود الحرم، نبه إلى أمور يرى من الضروري معرفتها قبل الخوض في البحث الميداني لتلك المواضع، مبيّناً فيها أنّ للحدود المذكورة في هذا الباب الثاني من بحثه مسميات قديمة احتفظت بأسمائها القديمة إلى الآن، وهناك مسميات قديمة، تغير اسمها قليلاً مثل (ياجج) تُسمى الآن (ياج)، فيما هناك أسماء حديثة ذكرتها الخرائط الجويّة لمكة المكرمة لم يقف المؤلف على مسمياتها القديمة، وأيضاً ذكر المؤلف أنّ هناك مواضع ليس لها ذكر في الكتب ولا- في الخرائط وهي مشهورة بأسمائها عند القاطنين بها أو حوايلها. هذا بالنسبة للأسماء وما يتعلّق بها.

وأما بالنسبة للمسافات فكانت مقاساتها التي دوّنها تقريبيّة، بسبب وعورة الجبال والارتفاع والانخفاض ولانهدام غالبية الأعلام... وهذا لا ينطبق على الأعلام المهمة؛ لأنّها ما زالت قائمة ولسهولة طبيعة العمل فيها.

وأما بالنسبة إلى صور الأعلام فلكثرتها، وضع كلّ صورة في المكان الذي له إحالة عليها في ثنايا البحث. إضافةً إلى أنّه وضع ملحقاتاً للخرائط مبيّناً فيها مواضع الأعلام على كل جبل أو ثنية أو سهل... (١)

١- انظر هذا في ص ١٢٤-١٢٥ من الكتاب المذكور.

ص: ٢٤٢

ثم ذكر بعد هذا القواعد العامة في تحديد حدود الحرم المكي الأربعة، موضحاً المقصد (بالأعلام) وأنها علامات وضعت على جهاته الأربع، وأنها أمور توقيفية لم ينقل أن أحداً أخرها أو قدّمها، وكل عملهم كان ينصبّ على تحديدها... ذاكراً في صفحات بحثه هذا الضابط في وضع الأعلام، وهو أن يكون تابعا لاتجاه سيل هذه الجبال والثنايا، فتوضع الأعلام في النقطة القاسمة بين سيل الجبل والثنية يميناً ويساراً، إلّا في مواضع ذكرها العلماء... وذاكراً المسار الحقيقي لكل حدّ من الحدود الأربعة عبر ما يتضمنه كل حدّ من جبال وطرق وثنايا ابتداءً وانتهاءً... (١) تمهيداً لتفصيل الحديث عنها في الفصل الأوّل من الباب الثاني.

الباب الثاني: مواضع حدود الحرم المكي الشريف

وفي الباب المذكور، بدأ المؤلف رحلته الميدانية مستفتحاً جهوده ب (جبل قرن الأعفر) وخاتماً به رحلته، ليشكّل بهذا رحلة دائرية إن صحّ التعبير، مدوّناً كلّ ما حصل عليه في فصول أربعة يتضمنها هذا الباب.

الفصل الأوّل:

في هذا- وكما قلنا- راح المؤلف يشرح بشكل مفصل في المتن وفي الهامش كلّ ما يتعلّق بأعلام الحدّ الشرقي حيث إنّ الحدّ الشرقي يبدأ جنوباً ب (جبل قرن الأعفر) وعدد أعلامه ٣ مروراً بجبل عارض الحصن وعدد أعلامه ١٣، فجبل الخطم وعدد أعلامه ٣، فجبل الصفيراء وعدد أعلامه ٥، فجبل الستار (ستار قريش) وعدد أعلامه ٤، وجبل سُنَّير وعدد أعلامه ٧، وجبل أسلع، وشرفة أسلع وعدد أعلامه ٣ وجبل الطارقي (ثبير الأعرج) وعدد أعلامه ٢١، وثنية خلّ

١- انظر هذا و تفصيله في ص: ١٢٦-١٢٩ من الكتاب نفسه.

ص: ٢٤٣

وجبل المقطع وعدد أعلامه ٢، وجبل الستار (ستار لحيان) وعدد أعلامه ٧، وثنية المستوفرة وعدد أعلامه ٢، وينتهي ب (ربيع النقواء) والذي يحمل ٣٦ علماً.

وليوضح المؤلف هذا الحد مساراً وجبالاً وأوديةً وسهولاً وثنايا وأعلاماً فقد هتأ له ستة عشر مبحثاً، فيها تفاصيل دقيقة وواسعة، وقد توفّر هذا الحد على (١١٠) أعلام، الكثير منها مبنّى بالنورة (١).

الفصل الثاني:

وفي هذا الفصل، تناول الحد الشمالي، بدايةً هذا الحد غرباً ب (ثنية النقواء) وبعد أن يمرّ بجبل أم السلم وأعلامها ١٦ علماً، وجبل بُغبة وأعلامها ٢٥، وجبل ياج (ياجج) وأعلامه ٢٠، وجبل شرفة ياج وأعلامه ٢٠ أيضاً، وجبل حجلي وأعلامه ٢٣، وجبل أبو حية وأعلامه ٣٣، وجبل الوقير (أبويسر) وأعلامه ٤٧، وجبل صايف وأعلامه ١٤، وجبل نعمان (جبل العمرة) وأعلامه ١٦، ووداي التنعيم وأعلامه ٤، وجبل نعيم وأعلامه ١٥، وجبل الواتد أو (الجفر) وأعلامه ٢٩، وبعد شرفة اللفياء، جبل رحا وعدد أعلامه التي عثر عليها المؤلف ٤٧ علماً... ثم يصل الى ثنية ذات الحنظل (ربيع رحا) ثم جبل الرضيع وأعلامه ٤٨، وجبل أم القزاز وأعلامه ٧١، وجبل أم الشبرم وأعلامه ٥١، وجبل المرير (ام المرخ) وأعلامه ٤٠، وجبل أبو بقر (وادي الجوف) وأعلامه ٤٢، ونهاية هذا الحد ب (جبل الناصرية) وفي هذا الفصل اثنان وعشرون مبحثاً توضح هذا الحد مساراً وجبالاً وأوديةً وسهولاً وثنايا وأعلاماً...

وكما يقول المؤلف: إنّ هذا الحد نال من عناية المجددين السابقين أكثر ممّا ناله غيره من الحدود الثلاثة من حيث كثرة أعلامه أوّلًا، ومن حيث إنّ هذه الأعلام بُنيت بالحجر المنحوت والنورة البيضاء ثانياً، منتهاً من بحثه هذا إلى أنّ جملة أعلام الحد الشمالي هذا هي (٥٧٤) علماً، فيما مجموعها في الفهرس ص ٥٣٠

ص: ٢٤٤

كان ٥٨٣ علماً كلها بُنيت بالنورة، إلا القليل النادر منها لم يجد المؤلف عليه آثار النورة... (١).

الفصل الثالث:

ذكر فيه أعلام الحدّ الغربي، ويبدأ هذا الحدّ ب (أعلام الأعشاش وعددها ٥ أعلام) من الناحية الشمالية الغربية بزواوية، مروراً بجبل أظلم، وعدد أعلامه ٢٠، فجبل النغيرات، أو الحشفان وأعلامه ٢٧، فأرض الرصيفة وعدد أعلامها ١٧، وينتهي بجبل (الدومة السوداء)، وعدد أعلامه ٢٧، مشتقاً هذا الفصل على خمسة مباحث توضّح مسار هذا الحدّ وجباله وأوديته وسهوله وثناياه... منتهياً إلى أنّ جملة أعلام هذا الحدّ (٩٨ علماً)، بعضها مبنّى بالنورة فيما البعض الآخر رضوم (٢).

الفصل الرابع:

وتناول المؤلف فيه الحدّ الجنوبي، الذي يبدأ ب (جبل نعيلة الغربي) وأعلامه ١٣، من الناحية الجنوبية الغربية مروراً بجبل الدومة الحمراء وأعلامه ١٠ في المسار الأول، و ١٩ في المسار الثاني... فجبل بشيم (البشيمات) وأعلامه ٤، فريغ السيد وجبل الخشن الأوسط وأعلامه ١١ ثم جبل (أبو الصواعق) وأعلامه ١٢، فجبل لبن وجبل (لبن) وأعلامه ٢٣، فالبيبان (ثنية لبن) وأعلامه ٢، فجبل نعيلة الشرقى وأعلامه ١٨ فجبل غراب وأعلامه ٥، فجبل مبعر (الخاصرة) وأعلامه ٨، فريغ مهجرة (ثنية ابن كرز) (ريغ مبعر) وأعلامه ٤، فجبل المظالف وأعلامه ٨، فجبل الصويفة (جبل أبو عشاش) وأعلامه ٧، فجبل صيفة - (جبل

١- انظر الصفحات ١٦٥ - ٢٦٠.

٢- انظر الصفحات ٢٦١ - ٢٨٨.

ص: ٢٤٥

الأحمر) وأعلامه ٢٤، ولكن بنهاية العلم الثالث والعشرين ينتهي الحد الجنوبي، حيث انتهت أعلامه - كما يقول المؤلف - وبعده يتجه شمالاً باتجاه (قرن الأعفر) الذي بدأنا ذكر الحد منه (أى الحد الشرقى من ناحية الجنوب) وقبل هذا القرن يوجد العلم الأخير لهذا الحد الجنوبي وهو الرابع والعشرون....، حيث تنتهي أعلام هذا الحد بنهاية جبل صفيه، وبهذا ينتهي هذا الفصل عبر أربعة عشر مبحثاً، وجملة أعلام هذا الحد (١٥٢ علماً) إلّا أنّ مجموعها فى الفهرس ص ٥٣٠ - ٥٣١ كان ١٦٨ علماً، منتهياً بدراسته وبحثه هذا بقرن الأعفر وهو القرن الذى بدأ منه أول مرة فى بحثه الميدانى هذا فى أعلام الحد الشرقى، وبهذا يكون المؤلف - وكما يقول - قد دُرنا دورة كاملة تبلغ مئة وسبعة وعشرين كيلومتراً، محيطه بمواضع حدود الحرم (١).

وبهذا الفصل من الباب ينتهى الباب الثانى وبانتهائه يتم البحث الميدانى القيم هذا؛ لنتهى بعد ذلك إلى الخاتمة والنتائج.

الخاتمة والنتائج:

لقد خصّص المؤلف الكريم عدّة صفحات من كتابه هذا (٣٥٣-٢٦٣) ذاكراً فيها أهم ما توصل اليه من نتائج لرحلته الطويلة حول حدود الحرم الشريف، وللأبحاث التى عرضها فى كتابه عن أعلام الحرم وتاريخها.

لنبدأ معه فى نتائجه هذه، حتى نصل إلى فقرة أخرى ذكرها أيضاً فى آخر هذا الفصل وهى الاقتراحات:

أما أهم نتائجه، التى تمّددت على الصفحات ٣٥٣ - ٣٥٩، عبر ١٥ فقرة فهى:

(١) أنّ دراسته هذه تعدّ أول تقييد وتدوين شامل لمواضع الحرم وأعلامه،

ص: ٢٤٦

فإنَّ عِلْمَ (حدود الحرم الشريف) - والكلام للمؤلف - من العلوم، التي لم تكتب كتابه مستقلة، ولم تدوّن منذ أوّل وجودها على الأرض تدويناً قائماً بذاته، إلى يوم الناس هذا، فقد كان هذا العلم يؤخذ مشافهةً من أصحابه إذا احتيج إليه... ولهذا بقي غالب هذا العلم في صدور الرجال حتى الساعة (١).

ومن هذا نالت هذه الدراسة القيمة أهمية كبيرة وهو ما ذكرناه عنها في القسم الأوّل من تعريفنا لهذا الكتاب.

(٢) حدود الحرم هي المداخل المؤدية إلى مكّة، لا التي تحيط به إحاطة السوار بالمعصم، وهذه المداخل هي التي يريد مؤرخو مكّة وغيرهم، وكانوا يطلقونها على مواضع حدّ الحرم على الطرق المؤدية إلى مكّة، وكان عددها ستة مداخل، كما في زمن الأزرقى والفاكهي، واختفى منها اثنان في عهد الفاسي، وبها انحصر علم حدود الحرم.

(٣) تحديد حدود الحرم ووجود الأعلام، إنّما هو أمر توقيفي وضعها إبراهيم عليه السلام بدلالة جبريل عليه السلام ولا اجتهاد فيه.

والذين جدّدوا هذه الأعلام، لم يكن عملهم يتجاوز ذلك التجديد إلى تقديم مواضعها أو تأخيرها.

(٤) تجديد الأعلام والعناية بها، كان يعدّ من أعظم المهمّات وأشرفها، وما إن وطأت قدما رسول الله صلى الله عليه وآله أرض مكّة فاتحاً لها، حتى أمر أصحابه بتجديد الأعلام، على ضيق وقته الذي قضاه في مكّة وكثرة مشاغله ومسؤولياته، وعلى هذا سار غيره من الذين جاؤوا من بعده صلى الله عليه وآله.

(٥) منذ اثني عشر قرناً ونصف، لم تجدد أعلام الحرم الواقعة على الجبال، أي منذ سنة ١٦٠ هـ، في عهد الخليفة المهدي العباسي.

ص: ٢٤٧

(٦) وهي نتيجة مهمة جداً، توصل إليها الدكتور في رحلته العلمية النافعة هذه، هي حصيلة الأعلام، وهي كالآتي: (٩٣٤) علماء، وقف عليها ووصفها وصورها. بقي منها: ثلاثة عشر علماً موجودة على مداخل مكة، والفضل في بقائها يعود إلى المصلحين والمجددين. واثنان لازالا بقدره الله قائمين على رؤوس الجبال.

ويوجد (٦٣٠) علماً من مجموع ٩١٩ علماً متهدماً من زمن بعيد على رؤوس جبال يرتفع بعضها ٥٠٠ م فوق سطح البحر، عليها آثار النورة البيضاء القديمة، أما بقية الأعلام وعددها (٢٨٩) فهي عبارة عن رضوم متهدمة.

(٧) حد الحرم يسير على خمسة وأربعين جبلاً، صغيراً وكبيراً، تكاد تحيط بمكة إحاطة تامة ليست بينها فواصل سهيلة طويلة إلا قليلاً.

(٨) «١٦» ثنية وشرقة يمر بها حد الحرم، وعليها طرق سالكة للسيارات.

(٩) «٨» فواصل سهيلة بين جبال الحد، أكثرها لا يزيد عن كيلومترين.

(١٠) ننقل هذه الفقرة كما ذكرها المؤلف: «من عادة المجددين القدماء «رحمهم الله» أن يضعوا الأعلام على الجبال والشنايا، والمرتفعات الأخرى، أي على موضع واضح مرتفع، ولم يكن من عادتهم وضع الأعلام في الأرض السهلة الخالية من المرتفعات؛ لأن هذه الأراضي السهلة (الثمانية) غالبها أرض رملية، ولا تحفظ ما يُرضم أو يبني عليها من الأعلام، ولذلك تراهم يهملون الأراضي الواطئة والسهلة من وضع الأعلام فيها».

هذا ما أراده المؤلف في الفقرة العاشرة، إلماً أن كلامه فيها استوفيني، فقد رأيت فيه تهافتاً واضحاً أو اختلافاً عما ذكره بخصوص الأعلام، فإضافته إلى كونه:

أولاً: ذكر علّة وضع الأعلام على الجبال والمرتفعات والشنايا دون الأراضي السهلة...، وكأنّها هي العلّة الحقيقية لا غيرها.

ص: ٢٤٨

ونقول: ذكر في عدّة مواضع من كتابه هذا، كان آخرها الفقرة ٣ في الصفحة ٣٥٣، قال فيها: «إنّ تحديد حدود الحرم أمر توقيفي، لا مجال فيه للاجتهاد، فوجود الأعلام على الجبال، إنّما كان من وضع نبيّ الله إبراهيم عليه السلام بدلالة جبريل عليه السلام...».

فهنا يتضح لنا جلياً أنّ الأعلام أمر توقيفي، والأمر التوقيفي لا يمكننا الجزم بعلمته، ولكن يمكننا أن نضعها تحت دائرة الاحتمال دون القطع.

ثانياً: ذكر في هذه الفقرة (١٠) «من عادة المجدّدين القدماء «رحمهم الله» أن يضعوا الأعلام على الجبال والثنايا والمرتفعات...». ونقول: وقد أسند فيها وضع الأعلام إلى المجدّدين القدماء، في حين قال في أكثر من مكان منها في القول ٣ صفحة ٣٥٣-٣٥٤، «إنّ تحديد حدود الحرم أمر توقيفي لا مجال فيه للاجتهاد [بمعنى أمر السماء الذي لا دخل للإنسان فيه] فوجود الأعلام على الجبال، إنّما كان من وضع إبراهيم عليه السلام بدلالة جبريل عليه السلام».

وقال في الصفحة ٢٩٢ قولاً جميلاً: لو ترك مثل هذا الأمر للاجتهاد؛ لتغيّر اجتهاد اللّاحقين عن اجتهاد السابقين، وبالتالي تغيّرت حدود حرم الله وانهارت الحرمه والقدسيه لهذه الحدود التوقيفيه، وبالتالي صار الأمر لعبة بيد الذين قد يسخرون بعض الاجتهاد لصالحهم... وتتبع خطّ الحدّ حيث كان، قرب أو بعد من الحرم، سار بخط مستقيم أو بخط مائل...، فإنّما نتبع الحدّ، ونضع الأعلام على مواضع الأعلام، والأمر في هذا لله وحده، وليس للاجتهاد فيه نصيب...

اللهمّ إنّما أن يريد بقوله «من عادة المجدّدين القدماء أن يضعوا الأعلام على الجبال والثنايا والمرتفعات الاخرى... هم أولئك الذين ذكرهم في الفقرة ١١ و ١٢ وهم «المهندسون لأعلام الحرم»، كما سمّاهم الذين من ضمن ما فعلوه، ليضمنوا لمن بعدهم صحه المسار... أنّهم زادوا من عدد الأعلام على الجبل الواحد... وما فعله الأسلاف... وكان الأولى - دفعاً للالتباس - أن يسمّى ما فعلوه بالعلامات مثلاً

لا

ص: ٢٤٩

بالأعلام، التي هي ٩٣٤ علماً وضعها نبي الله إبراهيم عليه السلام، حتى صارت خاصة بها. أو أنه أراد بتعبيره شيئاً آخر غاب عن ذهني... قد يكتشفه القارئ الكريم.

(١١) إن مسار الأعلام على الجبال مسار واضح في أغلب مواضعه، لا يشته أمره على الباحث المتتبع... لأن أسلافنا- كما يقول المؤلف- لم يتركوا طريقة علمية ناجحة في توضيح مسار الحد لأفعالها. وبهذا نستطيع أن نقول- وما زال القول للمؤلف:- إن الباحث عن حدود الحرم، قد لا يحتاج إلى من يدلّه عليها إذا سار بنفسه، فدلّيله هي آثار هذه الأعلام الكثيرة، وهي أحسن وأصدق من كثير من الأدلاء.

(١٢) أغلب هذه الجبال، وعددها (٤٥) جبلاً تكون طويلة، والضابط الذي على ضوئه توضع الأعلام على الجبال هو اتجاه السيل في هذه الجبال؛ لأن كل جبل إذا تساقط عليه المطر بغزارة سال منه الماء بعدة اتجاهات، وقد وضعت عليها الأعلام، من قبل المختصين ومن لهم خبرة بذلك، وما وضعت- كما يقول المؤلف- إلا لتضبط اتجاه السيل، وبالتالي يستطيع الباحث بنفسه أن يخمن مواضع الأعلام، وقلما يخونه هذا التخمين.

(١٣) اشتهر عند بعضهم أن سيل الحرم كله يخرج إلى الحلّ، وسيل الحلّ لا يدخل الحرم، إلّا من موضع واحد عند التنعيم، وعن هذا يقول المؤرخ ابن دهيش: وهذه المقولة معترضة ومنقوضة بما قرره الفاكهي حيث أفرد مبحثاً عن (أودية الحلّ التي تسكب في الحرم) وذكر فيه عدّة مواضع. حيث إن كثيراً من سيل الحلّ يدخل الحرم مثل وادي عرنه وادي نعمان وغيرهما، وقد شاهدها المؤرخ ابن دهيش، وذكرها في مواضعها.

(١٤) إن الحد الشمالي ينتقل من (رياح الرحا) غرباً إلى (رياح المصانع) ثم غرباً إلى (رياح الغميز) ثم جنوباً إلى (رياح المرير)، وما بين (رياح رحا) و (رياح المرير) أحد عشر كيلومتراً تقريباً. وهذا كله خطأ- كما يقوله المؤلف- استقر في أذهان بعض

ص: ٢٥٠

الفضلاء المهتمين بهذا الأمر في سير الحد الشمالي من (رياح رحا) إلى (رياح المُرير).

ويحيل المؤلف سبب هذا الخطأ إلى مَنْ دَلَّ هؤلاء المهتمين على مواضع الحد.

أما الصحيح فهو ما وضحته هذه الدراسة كنتيجة من نتائجها، التي توصلت إليها. فمسار الحد الصحيح، هو بعد (رياح رحا) ينتقل إلى

(جبل الرضيعه) غرباً، ثم إلى (جبل أم القزاز) شرقاً، ثم إلى (جبل أم الشبزم) شرقاً، ثم إلى (رياح المُرير) غرباً.

وقد عثر المؤلف على مئة وسبعين علماً منبثه على هذه الجبال الثلاثة، وعليها آثار النورة البيضاء القديمة، بينما لا يوجد علم واحد، لا

على (رياح المصانيع)، ولا على (رياح العُمير)، ولا على الجبال المحيطة بها.

هذا وقد ردّ الدكتور ما توهمه بعض الفضلاء من أنّ حدود الحرم تبنى على المسامته قياساً على المواقيت، بقوله: إنّ المواقيت ورد فيها

نصّ بالمسامته... أما حدود الحرم، فلا يحتاج فيها إلى المسامته؛ لوجود الأعلام القائمة فيها بجميع الجهات.

(١٥) من الأخطاء التي صححتها هذه الدراسة خطأ آخر استقرّ أيضاً في أذهان بعض المهتمين بهذا الأمر وهو سير الحد الغربي من جبال

(النغيرات) أو (الحشفاًن) إلى جبل (الدومة الحمراء). فعندهم أنّ الحدّ بعد جبال (النغيرات) يأخذ بالاتجاه جنوباً حتى يعبر (طريق

الليث) إلى (جبال الموشحات) حتى يحاذي أرض (أم هشيم) ثم بعد ذلك يأخذ بالانحراف شرقاً ليخترق (أم هشيم) حتى يصل جبل

(الدومة الحمراء).

ويوعز المؤلف هذا الخطأ كسابقه إلى الدليل أيضاً، ثم يرسم المسار الصحيح للحدّ بقوله: إنّ الحدّ بعد (النغيرات) ينحرف نحو

الشمال الشرقي قبل وصوله إلى طريق الليث بنصف كيلومتر، يسير بين المقرح والرصيفه، يميل قليلاً إلى الرصيفه حتى يتصل بالرأس

الجنوبي لجبل (الدومة السوداء)، ثم يسير الحدّ على (الدومة

ص: ٢٥١

السوداء) جنوباً حتى يقطع (طريق الليث)؛ ليصل إلى (جبل نُعيلة) القريب من حجز السيارات على طريق الليث، وبعد جبل (نُعيلة) يتجه شرقاً، ليصل إلى جبل (الدومة الحمراء).

هذا وقد وجد الدكتور في مساره الصحيح هذا أربعين علماً تقع بين جبلي النغيرات والدومة الحمراء، وكاد الوهم المستقر في أذهان المهتمين أن يلغيتها كلها كما يصرّح به.

إذن فهذه هي أهم نتائج البحوث التي أجراها ابن دهب في رحلته الميدانية.

وقد سجلها في كتابه هذا الذي بين أيدينا كدراسة ميدانية، تتصف بالفرادة في اختصاصها.

وأنّ القارئ يجد في ثنايا هذا الكتاب استنتاجات وتنبهات لا أظنها تخفى على القارئ الكريم، والتي تعين القارئ على معرفة ما بذله الدكتور من جهود بدنية وأخرى نفسية وثالثة فكرية في سبيل إنجاز مشروعه الكبير هذا.

الاقتراحات: وتحت عنوان آخر سمّاه (الاقتراحات) راح الدكتور يسجل لنا أهم ما يراه من اقتراحات وتوصيات بشأن حدود الحرم الشريف وأعلامه، وقد دوّنها في سبع فقرات:

(١) نصب أعلام طريق جدّة السريع، على أن توضع على رأس (ريع الحمراء)؛ لأنّها توضع على رؤوس الثنايا لا على مسايلها.

(٢) وضع أعلام طريق الطائف السريع (طريق الهدة) بين جبلي عارض الحصن وقرن العابدية.

(٣) وضع أعلام الليث بين جبلي الدومة السوداء وجبل نُعيلة.

(٤) التحقق من الموضوع الصحيح لأعلام طريق الطائف السريع (طريق السيل) وهي (أعلام المجاهدين) بمراجعة السجلات والوثائق القديمة وكبار السن الذين أدرّكوا بناء هذه الأعلام. وهل وضعت هذه الأعلام في موضع الأعلام

ص: ٢٥٢

القديمة؟ فإن كانت في موضع الأعلام القديمة تركت بمكانها، وإلا هدمت ويجب إعادتها إلى رأس (ثنية خلّ الصفاح). فنصوص الأزرقى والفاكهى وغيرهما تثبت أنّ حدّ الحرم من هذه الجهة هو (ثنية خلّ الصفاح) في طرف جبل (المقطع) وهذه الثنية معروفة اليوم وأعلامها قديمة لا زالت فيها، وهي تبعد عن الأعلام القائمة خمسمائة متر غرباً، فلماذا أخرت هذه الأعلام عن رأس الثنية؟ الأمر يحتاج إلى تحقيق ورجوع إلى كبار السن.

(٥) ومن اقتراحاته أيضاً، إعادة بناء جميع الأعلام المهذمة، التي كانت قائمة على رؤوس الجبال والثنايا والمرتفعات، بناءً محكماً، مع الكتابة على كل علم عبارة تفيد أنّ هذا حدّ الحرم، واسم الأمر بالبناء، وتأريخ البناء، وأن يقام كل علم إلى جنب العلم السابق المنهدم الذي يبقى على حاله...

(٦) يوصى أيضاً بإنشاء دائرة خاصة لشؤون حدود الحرم الشريف، تضم أفراداً من أهل العلم والمعرفة بكل ما يتعلّق بحدود الحرم؛ لمتابعة أعلام الحرم وصيانتها وحمايتها من العبث والتلف.

(٧) تقرير فصل من فصول الجغرافية في المرحلة الدراسية المتوسطة أو الثانوية، موضوعه (حدود الحرم الشريف)، يدرسها الطلاب نظرياً وميدانياً... (١) ومن وصاياه الأخرى، التي راح يضيفها إلى كلّ ما قيّده من معلومات، وما يؤبه من مباحث، وما ذكره من ملاحظات، عبر رحلته هذه، التي تعدّ الدراسة الأولى في هذا الجانب، وقد أراد بها أن تكون خاتمة خير بين أيدي المهتمين والباحثين من أصحاب الدراسات الميدانية المنهجية العميقة.

فمن هذه الوصايا أنّ الأعلام نفسها يمكن أن تجيب عن كثير من الأسئلة، التي

ص: ٢٥٣

تعرض للقراء والمتابعين، فيوصى بزيادة البحث عن الأعلام وعن النورة حولها، فالنورة تختلف لونا وشكلاً من علم إلى علم، أو من جبل إلى جبل، فإذا ما حلت تحليلاً دقيقاً، تحصل منها معلومات أخرى.

وكذلك يوصى بتصوير جبال حدود الحرم وثناياه تصويراً تلفزيونياً، فهو ضروري لنشر كثير من العلوم.

ويوصى أيضاً بضبط القياسات والمسافات بين مواضع حدود الحرم ودراسة حجارة الجبال وصفاً وتركيباً وشكلاً ولوناً، ومعرفة الكيفية التي بها تم بناء هذه الأعلام بالصخر المنحوت والنورة، وأين هي مصانع النورة التي كانت تزودهم بالنورة. وما هو الطاقم المهيب لهذا العمل الشاق جداً؟ فهذا كله يحتاج إلى جهد علمي لدراسته، وبلاستعانة بأجهزة علمية دقيقة تجعل البحوث أكثر دقة واطمئناناً في نتائجها...

إذن فالبحث غزير ومتسع، لا بد له من لجنة علمية تقوم به، تضم بين صفوفها المحلل الخبري، والطيار والمصور ورسام الخرائط والخطاط والمساح والجيولوجي والمؤرخ...

ولهذا يتمنى المؤلف أن تلتفت المؤسسات العلمية إلى هذا الأمر وتوليه بعض عنايتها، لأهميته الكبيرة.

ولهذا يؤكد أن جهده هذه جهد فردي يضعه بين أيدي العلماء والباحثين، ولا يعتبر ما توصل إليه شيئاً نهائياً وهو عمل يتصف بالدقة والأمانة العلمية حقاً.

ومع أنه يعدّ جهداً فردياً، إلا أنه أتى بشمارٍ نافعٍ وفوائدٍ جمّة، وقطعاً لو كان جهداً مؤسساتياً لكان أكثر نفعاً وفائدةً وأكثر عطاءً.

ويضمّ هذا الباب أيضاً ملحقاً للخرائط، وعددها ثلاث وأربعون خارطةً للجبال والثنايا والأعلام، تتمدد على الصفحات ٣٦٧ حتى ٤٠٨ مع خارطة كبيرة مستقلة تحت عنوان (حدود وأعلام الحرم المكي الشريف).

ص: ٢٥٤

ثم يبدأ بعدها ملحق الصور الملونة وعددها أربع وستون صورة للأعلام والرضوم، وهناك صور للمؤلف وهو ينتقل من جبل إلى جبل باحثاً عن الأعلام وبعض مواقع حدود الحرم، وصورة لبعض فريق البحث، وهم يتجولون لتحري النورة بين حجارة الجبل في منطقة المشيطة.

*** شكر دائم ودعوة مخلصه!

وختاماً، ها أنذا قد انتهيت من تعريف كتاب الحرم المكي الشريف والأعلام المحطية به، للدكتور عبد الملك بن دهبش، ومما أتمناه أن أكون قد وقفت في عملي هذا، وإلا فإنني ألتمس العذر من الدكتور ومن اخوتي المهتمين بهذه البحوث ومن القراء جميعاً، سائلاً المولى تعالى أن يمن علينا جميعاً بالتوفيق لمزيد من الجهود العلمية النافعة، ولا يسعني إلا أن أخصّ الشيخ ابن دهبش بالشكر والثناء على ما تفضّلت به يداه من جهد علمي وعملي ثمين ومبارك، وليس هذا الجهد مثيراً للغرابة والعجب، بعد أن عودنا مؤرّخو هذه البلاد الطيبة أبناء الحرمين الشريفين على عطاءٍ وفير وجهد فريد فيما كتبوه وأرّخوه من أمثال المرحوم الشيخ حمد بن جاسر، والشيخ عاتق بن غيث البلادي والشيخ عبدالرحمن خويلد... وغيرهم.

وكان لهم حضور مبارك في مجلتنا هذه.

هذا وأرجو أن يسمحوا لي أن أبتهم بما يختلج في صدري من زمن بعيد، وهو أنني لم أجد - وطيلة هذه المدة بالذات، التي واكبت فيها مجلة ميقات الحج محرراً، وهي المختصة بالحج وبلاد الحرمين الشريفين وما يتعلّق بهما - فيما ألقوه على كثرته وسعته شيئاً يذكر عن مدرسة أهل البيت عليهم السلام أئمة وعلماء وآثاراً، وكأنّ الأقلام قد جفت، والأفكار قد نضبت، والجهود قد كُلت عن التعرّض لتاريخهم ومواقفهم الجليلة في خدمة الإسلام والمسلمين، ومعارفهم الحافلة بألوان من العلوم فقهاً

ص: ٢٥٥

وتفسيراً وآداباً... وعلى عظمتها وثرائها، ولما تعرّضوا له من ظلم وتعسف، انصبّ عليهم وعلى اتباعهم.. وحتى أنني لم أعر على إشارة أو إرجاع فضلاً عن التعريف بعلماء هذه المدرسة المباركة وبمؤلفاتهم وكتبهم، على كثرتهم وغزارة إنتاجهم وكثرته وعمقه... متمنياً أن لا يكون ذلك تغييباً لدورهم فهو أمر أربأ بأصحاب الكلمة المنصفه والفكر الواعي والقلم النزيه أن يتلبسوا به.

إنها دعوة صادقة مخلصه، ولا ريب في أنها نافعه في الدنيا والآخرة بما فيها من تطيب القلوب وتقريبها، ولما فيها من وفاء لرسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام والصالحين والشهداء... وهو بالتالي ما يجعل علمنا وأقلامنا في خدمة قرآنا العظيم وديننا الخالد وأمتنا المجيدة ونصرة رجالها ورموزها، وينأى بنا وبأفكارنا وأقلامنا عن الانغلاق والتعصب وخذلان الحق، والحقيقة، التي يجب أن تبقى ضالة المؤمن أينما وجدها التقطها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

ص: ٢٥٦

دور الحج في الوحدة الإسلامية

دور الحج في الوحدة الإسلامية

محمد ثمير الدين الغازي (١)

وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامرٍ يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير (٢)

هذه هي الآية التي ذكر فيها مقاصد الحج والزيارة: أولها: ليشهدوا منافع لهم والثاني: ويذكروا اسم الله والثالث: وأطعموا البائس الفقير أعنى شهود منافع المسلمين، وذكر الله وإطعام المساكين والفقراء، وقدم الله تعالى في آيته الكريمة بيان شهود منافع المسلمين فبدأ بالقسم الأول أي شهود المنافع لأنفسهم والمسلمين، فيجب على الحجاج أن ينظروا منافع الدنيا والآخرة لهم وللمسلمين في مؤتمر الحج العالمي الإسلامي، ومنافع المسلمين جميعاً هي منافعهم فرادى أيضاً؛ لأن الجماعة تتألف من آحاد الناس، فما ينفع الناس ينفع الفرد منهم.

وقد فسّر المفسرون «المنافع» بأنها شاملة لمنافع الدنيا والآخرة جميعاً،

١- أستاذ علوم الحديث والتفسير بجامعة الإسلامية- بنغلادش.

٢- الحج: ٢٧-٢٨.

ص: ٢٥٧

فقال المفسر محمد بن جرير:

(المنافع لهم) جميع ما يشهد له الموسم يأتي له مكة أيام الحج من منافع الدنيا والآخرة، ولم يخصص من ذلك شيئاً من منافعهم بخبر ولا عقل فذلك على العموم التي وصفت (١).

فعمم الإمام ابن جرير الطبري «المنافع» على قسمين: منافع الدنيا والآخرة وقال: إنَّ العقل والنقل لم يخصصها بإحدى المنافع الأخروية أو الدنيوية، فالآية على عمومها تدل على القسمين لا مخصص لها من عقل ولا نقل.

وقال الإمام أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص المتوفى سنة سبعين وثلاثمائة في توضيح الآية: قال الله تعالى: ليشهدوا منافع لهم روى ابن أبي نجيج عن مجاهد قال: التجارة وما يرضى الله من أمر الدنيا والآخرة.

وروى عاصم بن أبي النجود عن أبي رزين عن ابن عباس قال: أسواق كانت، ما ذكر المنافع إاللدنيا (٢).

ففسر ابن عباس «المنافع» بالأسواق التي تباع فيها الأمتعة، وما يحتاج الناس إليه في الموسم من متاع الحياة الدنيا فهي مخصوصة عنده بمنافع الدنيا، هذا ما رواه ابن عباس رضي الله عنه.

وهذا هو القول؛ لأنَّ منافع الآخرة ذكرت في الآية مستقلة تحت عنوان ويذكروا اسم الله في أيام معلومات وفي وأطعموا البائس الفقير فبقيت منافع الدنيا تحت عنوان: ليشهدوا منافع لهم وابن عباس ترجمان القرآن وحبر الامية، وهو إمام في التأويل على جميع الناس، وعنده كان علم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ودعا له النبي صلى الله عليه وسلم بقوله عليه الصلاة والسلام: «اللهم فقهه في الدين»

١- تفسير ابن جرير ١٧: ١٠١.

٢- أحكام القرآن للجصاص ٣: ٢٣٣.

ص: ٢٥٨

وعلمه التأويل» (١) فمن ردّ عليه بأن الآية ليست مختصة بمنافع الدنيا فقوله في معرض الخطر والرد. على أنّ جميع المفسّرين أدخلوا فيها منافع الدنيا مع ما فيها منافع الآخرة داخله فيها بلا خلاف، وعلى المنوالين يثبت المدعا بأن المنافع شاملة على منفعة الدنيا والآخرة كليهما.

وعلى هذا قال الإمام أبو بكر الجصاص في أحكامه:

فاقتضى ذلك أنهم دعوا وأمروا بالحج ليشهدوا منافع لهم (٢).

وبعد ذكر أحكام الحج وآداب الحج وما يتعلق به قال الله تعالى: ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم (٣) ، ان ليس على الحجاج جناح إن استفادوا وانتفعوا بفضل الله عليهم، والمراد من الفضل في الآية منفعة الدنيا وكسب الأموال وابتغاء الأمتعة وكراء المراكب وغير ذلك، على أنّ الفضل قد استفيد منه المنافع المادية والاستخدامية في القرآن والحديث، وجاء في الحديث حين يخرج المصلّي من المسجد يدعو بدعاء فيه: «اللهم وأسألك من فضلك».

وجاء في القرآن: فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله (٤)

وقال الإمام إسماعيل بن كثير المتوفى ٥٧٤ من الهجرة في تفسير الآية: إنّ المراد من «فضل الله» ابتغاء رزق الله وطلبه، وما نصّه: فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله لما حجر

١- راجع الاتقان في علوم القرآن، النوع الثمانون في طبقات المفسّرين ٢: ١٨٧ للإمام عبد الرحمن السيوطي المتوفى سنة ٩١١ من الهجرة.

٢- أحكام القرآن للجصاص ٣: ٢٣٣.

٣- البقرة: ١٩٨.

٤- الجمعة: ١٠.

ص: ٢٥٩

عليهم في التصرف بعد النداء وأمرهم بالاجتماع أذن لهم بعد الفراغ في الانتشار في الأرض والابتغاء من فضل الله، كما كان عراك بن مالك رضى الله عنه: إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال: اللهم إني أجت دعوتك وصليت فرضيت وانتشرت كما أمرتني؛ فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين - رواه ابن أبي حاتم (١).

فالمراد هنا من «فضل الله» رزق الله لعباده أمر بطلبه إذا قضاوا صلواتهم والانتشار له في أرض الله.

وقال الإمام إسماعيل بن كثير: وعن بعض السلف انه قال: من باع واشترى في يوم الجمعة بعد الصلاة بارك الله له سبعين مرة.. الخ (٢).

وقال الإمام ابن كثير في تفسير قوله تعالى: واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون (٣)

أى حال بيعكم وشرائكم وأخذكم وإعطائكم اذكروا الله كثيراً (٤).

فالمراد من «فضل الله» هو البيع والشراء وإعطاء الأشياء لغيرهم والأخذ منهم.

فضلاً من ربكم - على ضوء الرواية:

والآية التي ذكرناها من قبل واستشهدنا عليها بهذه الآية والحديث المزبور تدل على أن المراد من «فضل الله» رزق الله لعباده في أطراف الدنيا، قال الإمام ابن كثير في تفسيرها المبحوث عنها: إن المراد من ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم أى من الفضل التجارة في الأسواق في موسم الحج، وذكر الإمام ضمن تفسير لفظه فضلاً من ربكم أحاديث عديدة قوية لامجال للإنكار عنها، هو يقول:

١- تفسير ابن كثير ٤: ٢٦٧.

٢- ابن كثير ٤: ٢٦٧.

٣- الجمعة: ١٠.

٤- ابن كثير ٤: ٢٦٧.

ص: ٢٤٠

- (١) قال البخاري: حدّثنا محمد، أخبرني ابن عيينة عن عمر وابن عباس قال: كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقاً في الجاهلية فتأثموا أن يتجروا في الموسم فنزلت: ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم - في موسم الحج.
- (٢) وهكذا رواه عبد الرزاق وسعيد بن منصور وغير واحد عن سفيان بن عيينة به ول بعضهم: فلما جاء الإسلام تأثموا أن يتجروا فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأنزل الله هذه الآية.
- (٣) وكذا رواه ابن جريج عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال: كان متجر الناس في الجاهلية عكاظ ومجنة وذو المجاز، فلما كان الإسلام كأنهم كرهوا ذلك حتى نزلت هذه الآية.
- (٤) وروى أبو داود وغيره من حديث يزيد بن أبي زياد عن مجاهد عن ابن عباس قال: كانوا يتقون البيوع والتجارة في الموسم والحج يقولون: أيام ذكر، فأنزل الله: ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم.
- (٥) وقال ابن جرير: حدّثني يعقوب بن إبراهيم، حدّثنا هشام، أخبرنا حجاج عن عطاء عن ابن عباس أنه قال: ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم في موسم الحج.
- (٦) وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية: لا حرج عليكم في الشراء والبيع قبل الإحرام وبعده.
- أقول: فاستخرج ابن عباس من الآية أن إحرام الحج لا يحرم به البيع ولا الشراء بعده ولا قبله، ولا يحرم به اكتساب المنافع في الموسم.
- (٧) عن أبي أميمة قال: سمعت ابن عمر سئل عن الرجل يحجّ ومعه تجارة فقرأ ابن عمر: ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم.
- (٨) عن أبي امامة التميمي قال: قلت لابن عمر: أنا نكرى فهل لنا من حجّ؟
- قال: أليس تطوفون بالبيت وتأتون بالمعروف وترمون الجمار وتحلقون رؤوسكم؟

ص: ٢٤١

قال: قلنا: بلى، فقال ابن عمر: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه و سلم فسأله عن الذي سألتني، فلم يجبه حتى نزل عليه جبرئيل بهذه الآية: ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم فدعا النبي صلى الله عليه و سلم فقال: أنتم حجاج.

فهذه حجة قاطعة على جواز الانتفاع واكتساب المنافع والتجارة في الموسم على ما نص عليه النبي صلى الله عليه و سلم ونزل به القرآن- وعلم من الروايات السابقة أن التأثم بالاستفادة والانتفاع بمنافع الدنيا بالتجارة والبيع والابتياح وإكراء الدواب والمراكب في الحج كان دأب الكفار أيام الجاهلية، وبأن الحج ذكر وعبادة لا ينبغي التجارة والاشتغال فيه بأموال الدنيا، كان ظن الكفرة الفجرة الجهلة لا يرضى به الإسلام فأبطله ورد عليه وأوجب على المسلمين؛ ليشهدوا في الموسم منافع لهم فمن لم يشهد المنافع في الحج فاته معظم مقاصد الحج والزيارة؛ لأن حجه كان حج الجاهلية وقتئذ، ومثل هذه الروايات جاءت رواية أخرى كما تأتي الآن.

(٩) عن العلاء بن المسيب عن رجل من بني تميم قال: جاء رجل إلى عبد الله ابن عمر فقال: يا أبا عبد الرحمن! إنا قوم نكري، ويزعمون أنه ليس لنا حج، قال:

ألستم تحرمون وتطوفون كما يطوفون وترمون كما يرمون؟ قال: بلى، قال: فأنت حجاج.

(١٠) عن أبي صالح مولى عمر قال: قلت يا أمير المؤمنين! كنتم تتجرون في الحج؟ قال: وهل كانت معاشهم إلفى الحج؟ تلك عشرة كاملة يكفي لمن أراد الحق والحق يتبع (فراجع المصادر من النمرة الأولى إلى العاشرة في السورة ٢ الآية ١٩٨ في تفسير ابن كثير ج ١ ص من ٢٣٩ إلى ٢٤٠).

فلا مانع للامة أن تنظر في منافعها ومصالح المساكين والفقراء من المسلمين وفكها من شبكة الظلم والاضطهاد بأيدي أعداء الإسلام والمسلمين، فإن المنافع المبحوث عنها تعم كل المنافع من منافع الدنيا والآخرة على ما مر من الشواهد

ص: ٢٤٢

والحجج الباهرة لها، بل اكتساب منافع الدنيا هو المقصود المهم من إتيان مكة، كما قال ابن عباس في تفسير الآية آنفاً. وقد شاع في أذهان المسلمين اليوم الفكرة الشنيعة وليده أيام الجاهلية بأن الحج والزيارة، ذكر محض لا تلائمه التجارة واكتساب منافع الدنيا، فكأنهم يظنون ظن الجاهلية الأولى وهم المسلمون؛ ولأجل ذلك أطلنا الكلام في تفسير «المنافع» الواردة في الآية، وسوف نوضح بعض أنحاءها في المباحث الآتية.

وحدة المسلمين

ومن أهم منافع الحج أن نستفيد من الاحتفال السنوي طوال أيام الحج في الموسم؛ لتوسيع وحدة المسلمين في العالم، ونفتش عن سبيل تقريب المذاهب الإسلامية على ضوء مناسك الحج ومعالمه حتى نجتمع كما اجتمع المسلمون في صدر الإسلام الموسم، وانتفعوا به في مصالحهم الشخصية ومنافعهم الملية. فإن جمعاً غيراً منهم يحتفلون حول الكعبة كل سنة وهم من أهل الثروة والقوة ورؤساء الناس؛ ولذا قال تعالى: ليشهدوا منافع لهم بلفظ الجمع في صيغة الفعل ليشهدوا من الشهود وبضمير الجمع في لفظه لهم، والجمع ينبي عن وحدة الجميع ولفظ الشهود المأخوذ منه ليشهدوا ينبي عن معنى الحضور متوجهاً لأمر مهم؛ ولذا قيل في معنى الحج هو القصد إلى معظم لا إلى شيء هين لا يعاب به، بل راجع إلى معنى الحج لغة كما مر.

ولعمري إن الوحدة هي القوة والعزة والشرف والنصرة، والوحدة هي نعمة عظيمة من المسلمين لسائر العالم لا للمسلمين خاصة على اختلاف الجنس والدين والمنطقة، فإن المسلم يسلم وجهه لرب العالمين، ويقيم أحكام الله العادلة على الناس متجانفاً عن العصبية الجنسية ومخالفة الملة والدين، فقد قال الله تعالى أمرأ لمن آمن به وأسلم وجهه لله:

ص: ٢٤٣

يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون (١)

فهذه هي صفات المؤمن بالله مسلماً له وجهه، أمره الله تعالى أن يقوم بالقسط بين الناس ويعدل بينهم، وأن لا- يحيف عليهم ولا يجرمنه شنآن قوم على أن لا يعدل وحضه على العدل والإنصاف؛ لأن العدل أقرب للتقوى والله يحب المتقين. وأمرهم على أداء الشهادة بالقسط ولو كانت على أنفسهم والأقربين فقال تعالى: يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين (٢)

فاجتماع مثل أولئك الناس ووحدهم فيما بينهم رحمة ونعمة عظيمة للمجتمع الإنساني لاشك فيها، ومثل هذه الوحدة العادلة لا توجد في العالم الحالي الخالي من العدل والقسط حتى إن الأمة المسلمة قد فقدت مزاياها بأنها العادلة المقسطة فيما بين الناس وبين أنفسهم أيضاً، فيا للأسف! وقد قال الله تعالى موقظاً للأمة المسلمة متبهاً لها لفرائضها: مله أبيكم إبراهيم هو سمامكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس (٣)

فوحدة المسلمين نعمة لسائر العالم؛ لأن أبناء الأمة المسلمة شهداء على الناس بالقسط والعدل وفيما بينهم، وهذه الفريضة عليها وعليها أن تقوم بها بين الناس، فمبنى وحدة المسلمين هو القسط والعدل بين الناس، ولفقده فقدت الوحدة بين الأمة المسلمة ونشأت الفرقة وولدت أمها الخبيثة مفاسد لا تحصى ولا تعد.

١- المائدة: ٨.

٢- النساء: ١٣٥.

٣- الحج: ٧٨.

ص: ٢٦٤

ونيران فقدان الوحدة تضطرم في أكناف العالم الإسلامي الحالي، وقودها المسلمون المقتتلون بين أنفسهم، في أفغانستان وباكستان ومصر والجزائر، وإخراج الائمة المسلمة كان الهدف منه في بدء نشأتها أن يكون خير الامم قاطبةً اخرجت للناس ونفعهم بأمرهم بالخير ونهيهم عن المنكر وتؤمن بالله. قال الله تعالى في شأنها:

كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله... (١)

وأيما امة تقوم لنفع الناس بأن تأمرهم بالخير وتنهاهم عن المنكر وهي تؤمن بالله رب العالمين فهي خير لهم جميعاً، فإن إقامة الخير وإنهاء المنكر عن الناس عليه مدار العالم وأمن مجتمع الامم والناس جميعاً وهو مرسى السلامة والسكون. فلا ريب أن اتحدت امة لإقامة تلك المقاصد العالية فاتحادها ينفع الناس ويجعل حياتهم طيبة مرضية وكانت الائمة المسلمة المرحومة بصددتها أن اتحدت وتوحدت بصميم القلب، فتهب ريح السلامة والعافية على العالم الكئيب المصاب بمصائب شتى، ولنيل هذا المرام العالى حض الله تعالى المسلمين بقوله:

ولتكن منكم امة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم (٢)

وهذه الآية الكريمة ترشدنا إلى سبيل الرشاد والنجاة والوحدة والاخوة وإلى اجتناب الفرقة والخلاف فيما بيننا، وتحضنا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فتصل بنا إلى الفوز والفلاح الموعود بقوله وأولئك هم المفلحون وحذرنا الله تعالى من الخلاف والفرقة بعدما جاءنا البينات فيصينا عذاباً عظيماً فياللعجب: إن

١- آل عمران: ١١٠.

٢- آل عمران: ١٠٤ - ١٤٥.

ص: ٢٦٥

الائمة وقعت فيما حذر الله عنه وانتحلت نحلته الغي والضلال وتفترقت كل التفترقت فاستحقت عذاباً عظيماً، وفاتت الفوز والفلاح الموعود، وتركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الواجب المؤكد عليها فذاقت وبال أمرها عذاباً عظيماً كما حذر الله عنه، وأي عذاب أعظم من عذاب الرقة والضعه تحت سيطرة اليهود والنصارى والهنود والبوذيين في فلسطين وكشمير...؟ وليس الملجأ منها إلا بوحدته المسلمين في سائر العالم والتماسك يداً بيد متشابكين متناصرين كأنهم بنيان مرصوص.

اسس الوحدة بين المسلمين

المبنى الأول: وقد ذكرنا فيما مضى من بحوثنا المبني العظيم من مباني الوحدة هو العدل والقسط والعمل بهما، فإذا فات عنك العدل والقسط يعود حميمك عدواً لك، وإذا عدلت وقسطت فعدوك كأنه ولي حميم؛ ولذا قال الله تعالى: وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين (١)

وقال تعالى: ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم (٢)

ونرى الخلاف بل الشقاق بين المسلمين والمحاربة فيما بينهم كما في أفغانستان ومصر والجزائر من المنافسات والمنازعات التي وصلت إلى المحاربة والمقاتلة، وقد قال لهم نبيهم صلى الله عليه وسلم: «لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض.» وفي رواية: «لا ترجعن بعدى ضللاً يضرب بعضكم رقاب بعض» (٣).

وهذا هو أمر نبيهم وقد خالفوه. وقد عجز المسلمون عن منع إطلاق النيران

١- المائدة: ٤٢.

٢- فصلت: ٣٤.

٣- مسلم ١: ٥٨ باب معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض. مسلم ٢: ٦٠ باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال.

ص: ٢٦٦

فما شجر بفنهم وما هو السبب؟ لعل السبب التفتب أو عدم إقامة القسط والعدل بفن الفرفقفن المتحاربفن أو عدم وحدة المسلمفن ضد طائفة باغفة بعت على الاخرى، فقد قال الله تعالى فف الصلح بفن الفرفقفن المتحاربفن أن فسلك المصلحون طرفق العدل والقسط ففنا أرادوا الإصلاح بفنهما فقال تعالى:

وإن طائفتان من المؤمنفن اقتتلوا فأصلحوا بفنهما فإن بعت إحداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغف حتى تففء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بفنهما بالعدل وأقسطوا إن الله فحب المقسطفن إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بفن أخوفكم واتقوا الله لعلكم تُرحمون (١).

فإذا نظرنا فف تلك الآفات نرى أن رفع النزاع وإيقاف النفران والإصلاح بفن المسلمفن واجب على الأمة، وعليها أن تقاقل الطائفة الباغفة التي بعت على الاخرى حتى تففء إلى أمر الله، فإذا فاءت فعلى الأمة أن تصلح بفن الطائفتفن المتحاربتفن بالعدل والقسط لأن المؤمنفن كلهم إخوة. فنهتدى من هنا إلى أن العدل والقسط أمر واجب ولازم للإصلاح بفن الناس وعلى المصلحن أن فبحازوا إلى الطائفة المظلومة وبقاقلوا التي تبغف وتجرها حتى تففء إلى أمر الله أى الصلح ومنع إطلاق النار، وإلى ما فراه المصلحون المقسطون، ففجب على الأمة أن تكون فداً واحدة ضد الطائفة الباغفة، ولعل هذا الشرط معدوم فف مصالحة الأعداء من الكفر المحاربفن وهم لا فقسطن ولا فعدلون فف الإصلاح بفن المتحاربفن، أو فقدت الوحدة ضد الطائفة الباغفة العنفدة الناشزة، فالقسط والعدل هو المبنى الأول للوحدة والاتحاد بفنهم.

والمبنى الثاني: الاعتصام والتمسك بجل الله المتفن، فإن الوحدة الجنسية والشعبفة واللغوفة والنسلفة وحتى الاقلفمفة فف طبعها تدعو الأمة إلى عدم التفرقة

ص: ٢٤٧

والشقاق والتشتت على ما تقتضيه النزعة القومية والعصبية والحمية حتى إن العصبية إلى فئه تلقى عصا الوحدة والتوحيد والتوحد في الامّة، فلا يقبل الإسلام عصبية إلا العصبية الدينية المحضة حينما تضرب العصبية المذهبية والحزبية بوحدة الامّة على الجدار، وتنقض عصا الوحدة عنها فيقتل التحدي الوهابي أهل التسنن وأهل التسنن يقتلهم (كما جاء في فتاوى الشامي بن عابدين في باب البغاء ص ٢٤٣).

وطالما قتل الحنفي شافعيًا أو مالكيًا أو حنبليًا وعكس ذلك كما يعتة التاريخ تاريخ التفرقة بين المسلمين في الغابر- وفي زماننا نرى التقاتل والأعمال الإرهابية بين الشيعة والتسنن يقتل بعضهم بعضاً وهم مسلمون- قد هيا بعض منهم منظمة إرهابية فتأكد للقتل، يا للغوث على تلك المنظمة الفتاكة المسماة باسم معصوم مثل «جند الصحابة» أي سپاه صحابه و «جند محمد» أي سپاه محمد، وهم يقتلون امّة محمّد ولا يشعرون، وذلك لعدم تمسكهم بحبل الله المتين وأمروا وفق قول نبيهم: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضهم رقاب بعض».

وقال: «من حمل علينا السلاح فليس منّا»، «القاتل والمقتول كلاهما في النار» (١).

ان ينفكوا عن القتل بعضهم بعضاً، كلّها حمية جاهلية أو عصبية لا يرضى به الإسلام ونبيّه صلى الله عليه و سلم.

وقال النبي صلى الله عليه و سلم في العصبية والحمية الجاهلية ولدعوة السيف: «من دعا بدعوى الجاهلية فإنه من جثى جهنم. قال رجل: يا رسول الله وإن صام وصلّى؟

قال: نعم وإن صام وصلّى. وفي رواية «وزعم أنه مسلم» (٢).

فكلّ الدعوات سوى دعوة الإسلام والدين دعوة الجاهلية والعصبية

١- مسلم ١: ٤٩، البخارى ٢: ١٠٤٩.

٢- تفسير ابن كثير ٣: ٢٣٦.

ص: ٢٤٨

المحرمة. ولذا دعا القرآن إلى الاعتصام بحبل الله لا غير، فقال تعالى: واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمه الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون (١)

فالآيات الكريمة هذه تهدينا إلى ما نعتصم ونتمسك به وكيف نعتصم جميعاً أو أشتاتاً، وليتنبه القارئ أن الأخذ والاعتصام بينهما فرق، الأخذ بالقوة بحيث لا انفصام له هو الاعتصام، فلأخذ الموثق به هو المأمور بصيغة الأمر واعتصموا ولا يكفينا إن أخذنا بحبل الله فرادى، بل يلزم علينا أن نأخذ به بقوة ومكنة جميعاً لا فرادى وأشتاتاً.

وحبال الجنسية والشعبية واللغوية حتى الاقليمية ليست بحبل الله المتين، وحتى النزاعات المذهبية والنزاع الفروعى الدينى ليست داخله فى حبل الله، بل هى حبال الفرق الإسلامية وسبلها، وحبل الله هو الآيات المحكمات والسنة المتواترة التى أجمعت الامة على قبولها، وما أخرجت من الأحكام المستنبطة فهى ثمرات الاجتهاد لا يجب العمل بها على جميع الامة بل يجب على مقلدى المجتهد المعهود فقط على اعتقاد وجوب التقليد الشخصى المتكلم فيه- وليس لأحد أن يجبر أحداً على العمل بالامور المجتهده فيها- فالمقلدون أحرار فى تقليد أحد من الائمة المجتهدين، وفيه بحث طويل لا مجال له فى المقالة الراهنة.

فإذا تمسكت الامة بحبل الله المتين نشأت فيها وحدة وثيقة واجتمعت عليه بحيث تنجىها من العراقيل فى داخلها وخارجها، وتقويها ضد عدوها، ولإنشاء الوحدة الإسلامية وحدة الامة الاحتفال السنوى احتفال الحج يقدم بين أيدى الامة فرصة ثمينة أن تشاور فى الامور السياسية والثقافية والتجارة تدير بينها،

ص: ٢٦٩

والامور الافرافرففة وإطفاء الففن الداخلية والخارجفة وإعداد القوة الحربفة الجوففة والبرفة والبحرففة على منوال جفد يففضفه العصر الحاضر وأن تففكر فى شؤون الوحدة وإفلاف الامة، فافففال الحج السنوى افففال عظمى حرى لإنشاء الوحدة العالمفة للامة المسلمة. المبنى الفالف: لوحدة الامة المسلمة وإنشاء الاخوة والمودة بين المسلمين، قال الله تعالى: إنفا المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخوفكم وآفقوا الله لعلكم فرفمون (١).

فالمؤمنون كلهم إخوة والفرفقان المافاربان أخوا المصلحفن على السواء ففنبغى أن فحكموا بفنهما بالعدل والقسط على السواء فظناً منهم بأنهما إخوان لهم فلا فمفلون مفلئاً إلى أحدهما دون الآخر زفغاً وظلماً، كما روى عن معاذ بن جبل أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «فكون فى آخر الزمان أفوام إخوان العلانفة أعداء السررفة، فقفل:

فا رسول الله! فف فكون ذلك؟ قال: ذلك برغبة بعضهم إلى بعض ورهبة بعضهم من بعض» (٢).

هذا الففدث هو مرآة الامفة المسلمة المرحومة المففونة فاقدة القسط والعدل فى زماننا الحاضر، هى فمفل إلى جانب إذا فحكم بين الفرفقفن المافاربفن القائففن على شفا حفرة من النار. فلا فطقق ففقق المسلمفن من أزماتهم الحالقة الراهنفة، كما نرى هذا فى أزمة أفغانستان وفلسطين والجزائر وفغيرها، هذا لرغبفهم إلى بعضهم ورهبفهم من بعض، وهم إخوان علانفة وأعداء سراً لا فحكمون بالعدل ولا فققمون القسط وقد امروا به. فصدق الله ورسوله بأنهم إخوان العلانفة وأعداء السررفة فمفلون إلى بعض وفرفبون عن بعض، ففاله من ضففاع!

١- الحجرات: ١٠.

٢- مشكاة المصابفح، باب الرؤفا والسمة الفصل الفالف: ٤٥٥.

ص: ٢٧٠

معالم المحبة في صدر الإسلام:

وأعلن الله تعالى معالم المودة والمحبة أسوة للامة المسلمة كما كانت الصحابة عليها، فمدحهم الله تعالى في القرآن العظيم، فقال تبارك وتعالى:

محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم... (١)

فأصحاب الرسول عليه وآله وصحبه ألف ألف صلوات وسلام كانوا رحماء رفقاء بينهم لا يخذلون إخوانهم المسلمين تحت سيطرة الأعداء والكفرة الفجرة، ذوى مودة صادقة ومحبة صافية، وكانوا أشداء على الكفار عكس ما كنا أحناء الكفار وبغضاء المؤمنين. وقال الله تعالى في معالمهم أيضاً:

والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون (٢)

الأزمة الفظيعة هي فقدان معالم الصحابة الكرام رضوان الله عليهم من الامة، وهم كانوا يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، وكانوا متحابين لا يحسدون إخوانهم المسلمين بما أوتوا، ولا يجدون في صدورهم حاجة بما أعطاهم الله من فضله وهم مفلحون، ونحن المسلمين المسلوبين تلك الأخلاق السنية الخاسرين وخسراننا بين أيدينا اليوم وفي الآخرة يتزايد إلى ما لا نهاية له، فخسرنا في الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين.

وبين النبي صلى الله عليه وسلم صفات الاخوة والمودة بين المسلمين فقال:

«إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا، ولا تنازروا ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً. وفي رواية:

١- الفتح: ٢٩.

٢- الحشر: ٩.

ص: ٢٧١

ولا تنافسوا متفق عليه (١).

إذا لاحظنا الصفات المسرودة في الحديث نجدها كالآتي: اجتناب ظنّ السوء فإنه أكذب الحديث، اجتناب التجسس والتحسس، اجتناب التناجش، اجتناب التحاسد، اجتناب التباغض، اجتناب التدابر، اجتناب التنافس، والأمر بكون المسلمين عباد الله اخواناً. قد ذكر في الحديث التحسس والتجسس، التجسس ظاهر المعنى وهو طلب الخبر خفياً ومنه الجاسوس، والتحسس هو تطلب العلم بحاسة بأن يسترق السمع أو يبصر شيئاً بحاسة العين خفياً، والتناجش هو عمل السمسرة- السمسار هو الساعى بين البائع والشارى- ربما يغلى الثمن أمام المشتري بأن يساومه بأعلى الثمن فيخدع الشارى بأن يشتري المتاع بثمن غالٍ، هذا العمل ينشئ الفرقة والشحناء بين الناس، الحسد تمنى زوال نعمة الغير والبغض امتلاء النفس من العداوة والشحناء والتدابير، قال العيني: هو التقاطع والتنافس والمسابقة في كسب النفيس لنفسه (٢).

فيالهي على فوات الصفات الطيبة وحلول هذه الصفات المذكورة! فبعضنا يتحسس بعضاً ويتجسس المعايير ويتناجش ويتحاسد ويتباغض ويتدابر ويتنافس، فصرنا كأننا الأعداء البغضة لسنا إخواناً ولا- عباد الله المخلصين، بل عباد الشياطين المردة من الجن والإنس، فيتحامل بعضنا على بعض كأننا حمر مستنفرة فرت من طاعة الله المستنكرة فغضب الله علينا كأننا المغضوب عليهم والضالون سبيل السلام والعافية، وكأننا كلاب عاوية في الطرق الضيقة المسالك والسلوك القذرة، أو كأننا وحوش ينهش بعضنا بعضاً ويصول بعضنا على البعض

- ١- مشكاة المصابيح باب ما ينهى عنه من التهاجر والتقاطع واتباع العورات، الفصل الأول: ٢٧ طبع داكا
- ٢- مأخوذ من الطيبي شرح المشكاة ومن حواشى المشكاة المصابيح ومن لغات شتى وابن كثير ٤: ٢١٣.

ص: ٢٧٢

فياكل لحمه وشحمه ويخمش الوجوه يسيل منها الدم، فجسد الامة يتقاطر منه الدماء. ثم الأسف كل الأسف أن هذا النزاع لا ينفع الامة شيئاً بل هو في نفع أعداء الامة يلقون بيننا العداوة والبغضاء ويمزقون به وحدة الامة المسلمة تمزيقاً، فيفلحون بطرح برامجهم للاستثمار من أموال المسلمين في حقهم فهو الاستعمار المتسلط على بلدان المسلمين قاطبة. المبنى الرابع: الاجتناب عن سوء الظن.

الظن السيئ هو الداء العضال للامة ووليد التنافس والتدابير والشحناء بينهم، وسوء الظن ينشأ منه صغار الدهاء وكباره، ومنها ما يضر الامة بجرح لا يندمل حتى يصبح ناسوراً لا يعود برءاً ويشفى شفاءً فلذا قال النبي صلى الله عليه وسلم كما مر: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»، وقال تعالى: يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا... (١)

فإن بعض الظن إثم فيلزم أن يجتنبوا كثيراً من الظن بلا- برهان يقطع الشك والوهم كما يزعمون، فالظن واجب الاجتناب عنه مهما كان، حتى يصير يقيناً برهاناً، وقال المفسر عماد الدين إسماعيل بن كثير في الظن: وهو التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس غير محله (٢).

وقد شاع سوء الظن في المسلمين وكان عليهم حسن الظن بإخوانهم المسلمين، فصار سوء الظن عندهم أولى الأمر من حسن الظن بالمأمور به فعكس الأمر بين المسلمين فأنكسوا رؤوساً ودلّوا بأيدي أنفسهم، وجاء عمر بن الخطاب

١- الحجرات: ١٢.

٢- ابن كثير ٤: ٢١٢.

ص: ٢٧٣

قال: ولا تفنن بكلمة من أءفك المؤمن إلاءفراً وأنت ففء لها مءلاً (١).

وهذا هو الأصل الأصل لسلك المسلمف ففما بفنفهم من القول والفعل والففة والفعل ولكن عكس الأمر فصار سوء الظن كأنه الأصل المأمور به وحسن الظن بالمؤمنف مأم لا فافى به فف المعاملات والمناقشات إلاءفلاً، فمرضت الأمة بمرض سوء الظن بفعضهم بفعض وانشقت عصا الوحدة منه، ففطن السنف بأففه الشففى أن عمله وقوله مشوب بالكذب والءءاع، وكذلك فظن الشففة أن السنف لا فعمء فله فف القول والفعل ففشا الوهن والاففن فف قلوب المؤمنف ظناً بفعضهم ظن السوء بل ظن الجاهلفة، فهم ففءاربون فسفكون دماء بفعضهم بأءنى الظن منهم وففقتلون.

فالمشكف إلف الله المءعالى وإلف رؤساء المسلمف وقاءفهم وساسة الأمة المففونة، وعلفنا أن لا نطن السوء بفعضنا بفعض ونحمل الأقوال والأعمال على ففر مءل افءرازاً من سوء الظن بالمسلمف وأن نففن للأقوال والأفعمال مءتملاً حسناً، ولا نأفء الأقوال ففما أراد به القائل والأعمال فلاف ما نوى به العامل، فهذه هف الجنافة أو الفءفة المءذولة أعاءنا الله منها- وكفراً ما نرى فف الفءاور السفاسف والءبلوماسف ففلب على الفءاور سوء الظن وبطالة الفقفن ففءوء المءاوره فشلاً، كما نشاهد فف الطائففن المءءاربفن فف افغانسفن لا ففءان فعمءان على الفرفق المءالف ففشلف المءاوره بفنفهم مراراً، وحب الرئاسة ففرف فف البءء والءءلان، فنشبت الفروب وكبف الظروف لا- ففءا فمسك شفئاً، والمؤامرة الأمريكية ففءق وءءة الأمة بفن الففرفن الفففلن وفسفك الفماء دماء المسلمف، فمن إفءاءها الشفطائفه مره إلف هؤلء ومره إلف هؤلء، وما زاءفهم

١- ففسفر ابن كففرف ٤: ٢١٢.

ص: ٢٧٤

إلاً خبالاً.

مضرة العمل بالظن

لما أسلم الوليد بن عقبه بن أبي معيط بعثه النبي صلى الله عليه و سلم عاملاً على صدقات بني المصطلق وكان النبي صلى الله عليه و سلم وقت لهم وقتاً يبعث إليهم عاملاً عليهم ليأخذ صدقاتهم فتأخر الأمر، وظن الحارث بن ضرار سيد بني المصطلق أن التعويق في إرسال العامل إليهم حدث لأمر، فخرج هو وقومه يريدون المدينة ليلقوا رسول الله صلى الله عليه و سلم، وخرج الوليد بن عقبه من المدينة عاملاً على بني المصطلق يريدهم، وقطع عليهم الطريق فلما رأهم مستقبلين إليه بأسلحتهم، ظن الوليد بأنهم خرجوا للقتال معه وما كان العتاد معه للقتال فرجع على الطريق وقال للنبي صلى الله عليه و سلم: إن بني المصطلق ارتدت عن الإسلام وخرجت تقاتله، فغضب النبي صلى الله عليه و سلم وغضب المسلمون وبعث إليهم بعثاً حتى جاء الحارث بن ضرار وقومه إلى النبي صلى الله عليه و سلم فوضح الأمر بأنه نشأ من سوء الظن بهم، فكادت الحرب أن تقوم بين المسلمين لأجله، وأنزل الله الوحي على النبي صلى الله عليه و سلم وحدث المؤمنين أن يعملوا بالظن بلا- تبيين وتحقق، قال تعالى: يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسقٌ بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالةٍ فتصبحوا على ما فعلتم نادمين (١)

الحرص والزعيم قبل التبين لا- يكون إلاًظناً وهو كثيراً ما لا يثبت فمن عمل على الظن يندم ولا تنفعه الندامة إلاًحسرةً فتضرر به القوم بجهالةٍ و يندم من يصيبهم على ما فرط منه في حق إخوانهم و نحن نشاهدها يوماً بعد يوم ولا شبهة له يالللغفلة!

وإليكم نصّ الحادثة التي حدثت بين الوليد والحارث بن ضرار على ضوء الرواية:

(١) وأخرج الإمام أحمد بن حنبل في مسنده: أن الحارث بن ضرار الخزاعي يقول: قدمت على رسول الله صلى الله عليه و سلم، فدعاني للإسلام فدخلت فيه

ص: ٢٧٥

وأقررت به، ودعاني إلى الزكاة فأقررت بها وقلت: يا رسول الله! أرجع إليهم فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة فمن استجاب لي دفعت زكاته وترسل إلي يا رسول الله رسولا ابان كذا وكذا، ليأتيك بما جمعت من الزكاة.

فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له وبلغ الابان الذي أراد رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أن يبعث إليه احتبس عليه الرسول ولم يأت، وظن الحارث أنه قد حدث فيه سخطة من الله تعالى ورسوله فدعا بسروات قومه فقال لهم: إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم كان وقت لي وقتاً يرسل إلي رسول الله ليقبض ما كان عندي من الزكاة وليس من رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم الخلف، ولا أرى حبس رسول الله من سخطة، فانطلقوا بنا نأت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة إلى الحارث؛ ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة، فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فرق أي خاف، فرجع حتى أتى رسول الله فقال: يا رسول الله، إن الحارث قد منعني الزكاة وأراد قتلي؛ فغضب رسول الله وبعث البعث إلى الحارث وأقبل الحارث بأصحابه حتى إذا استقبل البعث وفصل عن المدينة لقيهم الحارث فقالوا: هذا الحارث فلما غشيهم قال: إلى من بعثتم؟ قالوا: إليك، قال: ولم؟ قالوا: إن رسول الله بعث إليك الوليد بن عقبة، فزعم أنك منعت الزكاة وأردت قتله، قال: لا- والذي بعث محمداً بالحق ما رأيته بتة ولا أتاني، فلما دخل الحارث على رسول الله قال: منعت الزكاة وأردت قتل رسولي؟ قال: لا- والذي بعثك بالحق ما رأيته ولا أتاني، وما أقبلت إلا حين احتبس على رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم خشيت أن يكون كانت سخطة من الله تعالى ورسوله فنزلت الحجرات: يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ... إلى قوله حكيم (١).

ص: ٢٧٦

فانظروا أيها القراء الكرام! فأين ظنّ الوليد وأين الحارث منه؟ والحارث مؤمن صادق، وظنّ الوليد ظنّ كاذب كاد أن يفتن المؤمنين المخلصين لولا- نزول الوحي وحضور الحارث بن ضرار المدينة بقومه قادمين؛ لقامت الطامة الكبرى بين المؤمنين، ومثل هؤلاء المصيبة الكبرى نقيمها نحن بجهالة منّا في ساحة الائمة.

خلو أننا اجتمعنا في مؤتمر الحج كل سنة ففاحصنا أمورنا ونتبين أحوالنا ولا نعتد على الدعاية الأجنبية والبوقه الصهيونية المذيعه بيننا أنباءً تسود بها ظنوننا فيسطو علينا الجنون والشرّ يضرّ بنا وبمنافعنا، ويغري العداوة والبغضاء بين المسلمين، كما فعل الحارث بن ضرار وقومه بعد حضوره المدينة مع قومه لإزالة الشبهات الناشئة، فأطفأ نار الحرب المشتعلة بعد كشف الواقع وانجلاء الواقع إلى الحرب لحفظنا مصالحنا وما تضرّرتنا بالظن السوء وإثارة الفتن من الأجانب، فتيقظوا أيها الاخوة ولا تناموا عن الغي والغواية واجتنبوا عن الدعاية العادية الأجنبية.

(٢) وواقعة أخرى هي واقعة خالد بن الوليد في بني خزيمه كما ذكره محمد بن إسماعيل البخاري في كتابه صحيح البخاري ما نصه: عن ابن عمر قال: بعث النبي صلى الله عليه و سلم خالد بن الوليد إلى بني خزيمه فدعاهم إلى الإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا: «أسلمنا» فجعلوا يقولون: «صبأنا صبأنا»، فجعل خالد يقتل ويأسر ودفع إلى كل رجل منّا أسيره حتى إذا كان يوم أمر خالد أن يقتل كل رجل منّا أسيره فقلت: والله لا أقتل أسيرى ولا يقتل رجل من أصحابى أسيره، حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه و سلم فذكرناه له فرفع النبي صلى الله عليه و سلم يده فقال: اللهم إني أبرأ إليك ممّا صنع خالد مرتين (١).

فخالد بن الوليد قد أخطأ حينما ظنّ أنّهم لم يقولوا: «أسلمنا» بل قالوا:

«أصبأنا» ومعناه أى تركنا ديننا، ولم يقولوا دخلنا في دين الإسلام فهم ليسوا

١- البخاري ٢: ٦٢٢ باب بعث النبي صلى الله عليه و سلم خالد بن الوليد إلى بني جذيمه.

ص: ٢٧٧

بمسلمين، وكان عليه أن يتبين منهم المراد من قولهم «صبأنا» ولم ينتظر التبين بل جعل يقتلهم ويأسرهم، فإذا بلغ الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تبرأ منه واستعاذ فقال رافعاً يديه إلى السماء: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد وقال هذه الكلمة مرتين، فظهر أن العمل بالظن خطأ حتى يتيقن الأمر، ويجب البراءة منه والاستعاذة إلى الله تعالى بالاستغفار والدعاء كما تبرأ النبي صلى الله عليه وسلم.

(٣) وأصرح منه قصة أسامة بن زيد حبيب النبي صلى الله عليه وسلم حين قتل كافراً قال: لا إله إلا الله خوفاً من سيفه، كما روى مسلم في كتابه الصحيح عن أسامة بن زيد قال:

بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية فصبحنا الحرفاف بن جهينة فأدركت رجلاً فقال: لا إله إلا الله، فطعنته فوقع في نفسه من ذلك فذكرته لنبي الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أقال لا إله إلا الله؟ وقتلت؟ قال: قلت: يا رسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح قال: أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟ فما زال يقررها علي حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ (١).

فعلم أن قتل الكافر بعد قوله لا إله إلا الله حرام ولو قالها خوفاً من السلاح، فأين يحل قتل المسلم القائل من صميم قلبه لا إله إلا الله؟ وأما الشبهة لا مجال لها في المسألة لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال في جواب أسامة رضى الله عنه: أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟

فالأحكام تجرى على الظاهر ولا تجرى على الباطن، لا يكلف الله أحداً أن يفصح الأمر عن القلوب بعد شقها، ونحن نقتل المسلم بأدنى ريب عصبية لمذهب أو حمية لحزب سياسى وقد قال الله تعالى: ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً (٢).

١- مسلم ١: ٦٨ باب تحريم قتل الكافر بعد قوله لا إله إلا الله.

٢- النساء: ٩٣.

ص: ٢٧٨

فحرم الله قتل المؤمن عمداً وأوجب لقاتله: أن يخلد في النار، وغضب الله عليه ولعنه، وله عذاب عظيم في الآخرة والآجلة كما نشاهده في الدنيا على صورة القصاص أو الدية إن عفى عنه، أو القتل بأيدي الأعداء وسيرى في الآخرة جزاء جهنم خالداً فيها، فهذه نجمات خمس لمن قتل المؤمن متعمداً بلا وجه شرعى.

المبنى الخامس: التعاون على البر والتقوى وعدم التعاون على الإثم والعدوان، ونحن المسلمين يجب أن نكون عاملين على ذلك الأساس السامى، إلاً أننا كثيراً ما نعاون على الإثم والعدوان قليلاً ما نعاون على البر والتقوى الذى أمرنا به، فعملنا اليوم على عكس ما أمرنا به، وضد ما قال الله تعالى لنا أمراً لعباده المؤمنين حيث يقول: وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب (١)

عمقوا النظر أيها القراء الكرام! إنا أمرنا بالتعاون على البر والتقوى وعدم التعاون على الإثم والعدوان، وأمرنا أن نتقى الله باثتمار الأمر واجتناب المناهى، فمن خالف الأمر حذر الله تعالى بشديد العقاب والعقاب منه أشد من العذاب كأنه العذاب الغرام والعقاب يعم في الدنيا فيعاقبنا فيها إذا خالفنا أمره كما أمر.

يقال: «إن الحق مرّ ولو كان درّاً» فالحق أقول وبه أصول ولا نخاف في الله لومة لائم كائناً من كان ولو كره المبطلون: إن العالم الإسلامى ورؤساء المسلمين فى العالم قد مسّهم العقاب كما وعدوا فى الآفة بمخالفتهم إياها، ومسّتهم المذلة والمسكنة والضعف؛ لأنهم يعاونون على الإثم والعدوان وكان عليهم أن يعاونوا على البر والتقوى، ولا يتقون، فهم ينصرون الظالم على المظلوم ويخذلون المظلوم تحت ضغطة الظلمة الطغاة.

بل يقال: «الدول المسلمة» لا تعامل على أسلوب البر والتقوى بل تسلك

ص: ٢٧٩

على منوال التجنب أو الانحياز في ميدان الشهوات والميدان إليها سياسة لا ديانة فتفرق السبيل بهم وتباعدا بعضهم من بعض، فنشأ البعد بينهم بعد المشرقين والمغربين تنقطع عنق النوق في سيره، فأصبحت الدول الإسلامية كأنهن الضرات لا هن الأخوات تعشن حياة طيبة مرضية فازدادت المنافرة والمناقشة، ووصلت إلى النهاية وتبدلت المودة عداوة والمعونة مخالفة، وتضررت الأمة مضرّة لا يكافئها اسم الإسلام ورسم الأمة الدبلوماسية، فعل الدول المسلمة أن تتعاون عون الأخوات في مصالح الأمة المسلمة على البر والتقوى، وأن تترك الإثم والعدوان، والعدوان هو عدوان بعض الدول على الأخرى والنصرة لفئة متحاربة نفاقاً تحت الأستار وظلماً وعدواناً وهو أشدّ إثماً وأزيد معرفة لأزمات الأمة المفتونة، أنقذها الله تعالى منها وصانها من الفتن ووفق قادة الأمة وسادتها أن يرجعوا عن الغي والضلال، ويفعلوا ما هو ينفعها وفيه منافع المسلمين ومنافع أنفسهم جميعاً لو كانوا يعلمون.

المبنى السادس: هو عدم الانحياز إلى الطغاة الظلمة.

الوحدة تقوم على ساقها وتوتى أكلها كل حين إذا كان الوضع موافقاً لها فتترعرع يوماً فيوماً في البيئة المسلمة وتنشعب من جذورها إلى فروعها كالشجرة الطيبة المظلة على اللاجئين تحت ظلها الظليل فإن فسد الوضع وانفسخ الجوّ تصير الوحدة فيه ضئيلة لا تستطيع أن تقوم على ساقها وتوتى أكلها حتى ضاقت عليها الحياة فتموت مصفرة فقيدة الخضرة والطراوة وتعترىها البيوسة والجفوف فتندم كأنها لم تكن، ولذا علينا أن لا ننحاز إلى الظلمة الطغاة من الساسة، فإنّ وحدة الأمة تذهب ضد الظلمة الطغاة فلا يجوبونها ولا صبر لهم عليها، فمن أطاع الطغاة أعان على هدم بناء الوحدة الإسلامية، فعدم التعاون مع الطغاة أساس مهمّ لوحدة الأمة.

فلذا حذر نبي الرحمة والوحدة عليه الصلاة والسلام عن التعاون ونصرة

ص: ٢٨٠

الطغاة، كما جاء في الأحاديث مراراً.

فعن أوس بن شرحبيل أنه سمع رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: من مشى مع ظالم ليقويه وهو يعلم أنه ظالم فقد خرج من الإسلام (١).

وهذا الحديث يدل صريحاً على أن من يقوى الظالم على ظلمه يخرج من الإسلام والدين والايمان، وهذا الحديث مثل ما قال النبي صلى الله عليه و سلم: لا- يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن، فمن يقوى الظالم لا يبقى حين يقويه مسلماً. وبعبارة اخرى: لا يقوى أحد ظالماً حين يقوى وهو مسلم (٢).

المبنى السابع: هو عدم الانحياز إلى القوى الأجنبية.

الأجانب أجنب ليسوا كالأقارب والأنفس فى الواقع، ومنه يتفاوت الميلان طبعاً فيبكي الأقارب عند موت الأقارب، والأجانب لا تدمع عيونهم وإن كانوا أعداء يفرحون بموت أعدائهم، والأجانب للأمة المسلمة هم اليهود والنصارى وغيرهم من الذين لا يؤمنون بالنبي الامى العربى محمد صلى الله عليه و سلم ولا يصدقون بدينه الحنيف.

والقوى الكبرى تكونت بتلك الفرق الأجنبية الكافرة على رأسها أمريكا وفرنسا وبريطانيا وهم نصارى، ويتبعهم اليهود والقوة الروسية والصينية وغيرها من القوى العالمية الأجنبية تابعة للقوى الكبرى العالمية والهنود غير المسلمين فى الهند أجنب أعداء للمسلمين سياسةً وعقيدةً، والبوذية فرع من الهنود خلطوا التوحيد مع الشرك، وهم والهنود يتحلون نحلة الشرك من عبادة الأوثان والمظاهر والهيكل، وبعض الكفار لا- يقرون بالاله والخالق للعالم فكلهم أجنب عن الامية المسلمة المؤمنة بالدين الحنيف ورساله سيد الكونين إمام المرسلين

١- مشكاة المصابيح: ٤٣٦ باب الظلم، الفصل الثالث.

٢- راجع الترمذى ٢: ٩٠.

ص: ٢٨١

رسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم.

يدعو الله تعالى المسلمين إلى عدم الانحياز إليهم فقال تعالى:

ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملّتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم

مالك من الله من ولى ولا نصير (١)

فجذب الرضا من النصارى واليهود لا يدخر إلا بعدما نتبع ملّتهم كما قال الله تعالى فى كتابه ومن اتبع ملّتهم بعدما جاءه الحق أى العلم

بأن الإسلام هو الحق، فليس له من ولى يحفظه من عذاب الله ولا من نصير ينصره فى المصائب والبلايا النازلة منه تعالى.

والحمد لله رب العالمين

ص: ٢٨٢

معجم ما كتب في الحجّ و الزيارة

معجم ما كتب في الحجّ و الزيارة (١٣)

٢٠٨٦- كتاب المزار

رضى الدين على بن طاووس الحلّي ت ٦٦٤ هـ.

ظ: الذريعة ٢٠ / ٣١٩.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ١٠ / ٩٠.

٢٠٨٧- المزار

كاظم الكلبايگانی، فرغ منه سنة ١٢٨٣ هـ

خ: الرضوية، في ٦٦ ورقة

ظ: الذريعة ٢٠ / ٣٢٣.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ١٠ / ٩٠.

٢٠٨٨- كتاب المزار

أبو جعفر محمّد بن أحمد بن يحيى بن عمران بن عبد الله بن سعد بن مالك الأشعري القمّي

ظ: رجال النجاشي ٣٤٩.

الذريعة ١٢ / ٧٨، ٢٠ / ٣٢٠.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ١٠ / ٩٠.

٢٠٨٩- كتاب المزار

أبو الحسن محمّد بن أحمد بن داود بن علي القمّي ت ٣٦٨ هـ.

ظ: رجال النجاشي ٣٨٤.

فهرست الطوسي ١٣٦.

الذريعة ٢٠ / ٣٢٠.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت

ص: ٢٨٣

صلوات الله عليهم ١٠ / ٩٠.

٢٠٩٠- كتاب المزار

أبو جعفر محمد بن اورمه القمي

ظ: رجال النجاشي: ٣٣٠.

الذريعة ٢٠ / ٣٢٠.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ١٠ / ٩٠.

٢٠٩١- المزار

محمد بن جعفر بن علي بن جعفر المشهدي المعروف بابن المشهدي

خ: مكتبة السيد المرعشي، برقم ٤٩٠٣، في ٤٨٢ ورقة.

ظ: الذريعة ٢٠ / ٣٢٣، ٣٢٤.

فهرس المرعشي ١٣ / ٨٤.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ١٠ / ٩١.

٢٠٩٢- كتاب المزار

محمد بن الحسن بن فروخ الصفارت ٢٩٠ هـ

ظ: رجال النجاشي ٣٥٤.

الذريعة ٢٠ / ٣٢٠.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ١٠ / ٩١.

٢٠٩٣- كتاب المزار

أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ت ٤٦٠ هـ.

ظ: الذريعة ٢٠ / ٣٢٠.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ١٠ / ٩١.

٢٠٩٤- كتاب المزار

أبو المفضل محمد بن عبدالله بن المطلب الشيباني

ظ: فهرست الطوسي ١٤٠.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ١٠ / ٩١.

٢٠٩٥- كتاب المزار

أبو الفرج محمد بن علي بن محمد بن محمد بن أبي قرّة العيناتي.

ظ: الذريعة ٢٠ / ٣١٧، ٣٢٠.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ١٠ / ٩١.

٢٠٩٦- كتاب المزار

محمد بن محمد بن النعمان الشيخ المفيد ت ٤١٣ هـ.

تصحيح وتعليق: مدرسة الإمام الهادي عليه السلام

قم: مدرسة الإمام الهادى عليه السلام ١٤٠٨ هـ.

٢٠٩٧- كتاب المزار

ص: ٢٨٤

أبو النضر محمّد بن مسعود بن محمّد بن عياش السلمى السمرقندى
ظ: رجال النجاشى ٣٥٢.

الذريعة ٢٠ / ٣٢١.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ١٠ / ٩١ - ٩٢.
٢٠٩٨ - المزار

(يشتمل على بايين يضمان آداب زيارة النبي صلى الله عليه وآله والصدّيقه الزهراء البتول وأمير المؤمنين والأئمّة الأحد عشر من ولدتهما صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

للشهيد الأول أبو عبد الله شمس الدين محمّد بن مكّي الجزينى العاملى المستشهد سنة ٧٨٦.
تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام.

قم: ١٤١٠ هـ.

٢٠٩٩ - كتاب المزار

أبو عبد الله الديلى محمّد بن وهبان بن محمّد بن حماد بن بشر الأزدي
ظ: رجال النجاشى ٣٩٧.

الذريعة ٢٠ / ٣٢١.

إيضاح المكنون ٢ / ٣٣١.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ١٠ / ٩٢.
٢١٠٠ - كتاب المزار

محمّد باقر بن محمّد مؤمن السيزوارى ت ١٠٩٠ هـ.

ظ: الذريعة ٢٠ / ٣١٧.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ١٠ / ٩٢.
٢١٠١ - المزار

(فى زيارات الرسول صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام).

محمّد الحسنى الطباطبائى، فرغ منه فى كربلاء سنة ١١٤٠ هـ.

خ: المرعى، ٣٣٣١، ١٥١ ورقة، سنة ١٣٥١ هـ.

ظ: فهرس المرعى ٩ / ١٠٨ - ١٠٩.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ١٠ / ٩٢.
٢١٠٢ - كتاب المزار

محمّد صالح بن عبد الواسع الحسينى الخواتون آبادى الاصفهانى ت ١١١٦ هـ.

ظ: الذريعة ٢٠ / ٣١٩.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ١٠ / ٩٢.

ص: ٢٨٥

٢١٠٣- كتاب المزار

المير محمّد مهدي

خ: الرضوية

ظ: الذريعة ٢٠ / ٣٢١.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ١٠ / ٩٢.

٢١٠٤- كتاب المزار

يونس الجبعي العاملي

ظ: الذريعة ٢٠ / ٣٢١.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ١٠ / ٩٢-٩٣.

٢١٠٥- كتاب المزار

يونس بن علي القطان

ظ: رجال النجاشي ٤٤٨.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ١٠ / ٩٢.

٢١٠٦- مزار الآقا باقر

الوحيد البهبهاني بن محمّد أكمل ت ١٢٠٦ هـ.

ظ: الذريعة ٢٠ / ٣٢١.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ١٠ / ٩٣.

٢١٠٧- مزار بقيق

(بالفارسية)

علي أكبر حسني

مقيقات حج س ١: ع ١ (پائيز ١٣٧١ ش) ص ١٥٣-١٣٧.

٢١٠٨- مزار قديم

استظهر الكفعمي أنه مجموع الدعوات لأبي محمّد هارون بن موسى التلعكبري، تاريخ كتابته (٧٤٦ هـ) وصرّح في أول البحار أنّ كتابته سنة ٥٧٦ هـ.

ظ: الذريعة ٢٠ / ٣٢٣.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ١٠ / ٩٣.

٢١٠٩- مزار اللباني

(بالفارسية)

حسين بن حسن الجيلاني

الاصفهاني اللباني ت ١١٢٩ هـ.

ظ: الذريعة ٢٠ / ٣٢٣.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ١٠ / ٩٣.

٢١١٠- مزار المولى إسماعيل الطهرانى

(بالفارسية)

مطبوع

ظ: الذريعة ٢٠ / ٣٢١.

ص: ٢٨٦

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ١٠/٩٣.

٢١١١- مزارات

(رسالة في مرآة أبناء الأئمة المعصومين في العراق وخراسان ومازندران وآذربايجان، كتبت أيام عباس الأول الصفوي (٩٩٥-١٠٣٧ هـ)، بالفارسية).

نور الدين محمد بن أبو القاسم حبيب الله واعظ خطيب مدرس اصفهاني
ظ: نشره ٨/ ١٢٥.

فهرستواره منزوی ١/ ٢٤٨.

٢١١٢- مزارات الأئمة

غلام حسين الهندي الموسوي

النجف الأشرف: ٢١ ص.

النجف الأشرف: المطبعة المرتضوية، (د. ت)، ٢١ ص، ٢١ سم، حجرية.

٢١١٣- مزارات أهل البيت

محمد حسين الحسيني الجلالی

بيروت: ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م.

٢١١٤- مزارات إمامان وإمام زادگان

(في ذكر مرآة الأئمة وأبنائهم، بالفارسية)

معين الدين علي بن نصير قاسم انوار

(٧٥٧-٨٣٧ هـ)

ظ: الذريعة ٩/ ٨٦١ «ديوان قاسم انوار».

سنا ١/ ٧٤ [في مجموعة واحدة تشمل على رسائل عرفانية له ولنعمت الله كرماني].

فهرستواره منزوی ١/ ٢٤٨.

٢١١٥- مزارات خراسان

(بالفارسية)

كاظم مدير شانه چي

١٣٤٥ ش.

٢١١٦- مزارات الطالبين

شهاب الدين المرعشي النجفي

(١٣١٨-١٤١١ هـ)

ظ: الموسم مج ٢: ٥ (١٩٩٠ م- ١٤١٠ هـ) ص ٢١٤.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ١٠/٩٤.

٢١١٧- مزيج الاحتياج في حكم منسك المحاج

(ارجوزة في الحج)

ميرزا علينقى بن حسن ابن السيد محمد المجاهد الطباطبائي ت ١٢٨٩ هـ

ظ: الذريعة ٢٠ / ٣٢٨، ٢٢ / ٢٧٦.

ص: ٢٨٧

٢١١٨- مسألة في زيارة القبور وقبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

صالح بن عبدالله الغماس، كان حياً سنة ١٣٤٠ هـ مخطوط، في: جامعة الملك سعود برقم ٤٠٠١، في ٥ ورقات، بخط المؤلف، تاريخها سنة ١٣٤٠ هـ.

٢١١٩- المسائل الاتفاقيه بين الأربعة من علماء الإمامية (قسم الحج)

منصور الحبشي

طهران؛ المؤلف، ط ١، ١٣٧٢ ش، ٣٩٢ ص، ١٧ س.

٢١٢٠- مسائل اجرايي حج- گفتگو با محمد حسين رضايي مسؤول سازمان حج و زيارت (بالفارسيه)

مقيقات حج س ١: ع ١ (بائيز ١٣٧١ ش)

ص ١٩١-١٨٥.

٢١٢١- مسائل حج

(بالفارسيه)

أحمد بن محمد مهدي بن أبي ذر

خ: فرهنگ مشهد، (ش: ٥ ب).

٢١٢٢- مسائل حج

(بالفارسيه)

الإمام الخميني

طهران: انتشارات الزهراء، ط ١، ١٣٦١ ش.

٢١٢٣- مسائل الحج

الشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ت ٣٨١ هـ

ظ: رجال النجاشي ٣٩٢.

٢١٢٤- مسائل وأجوبة في أعمال عمره وحج التمتع الواجبه

محسن الطباطبائي الحكيم

النجف: مط النعمان، (١٩٦٣ م)، ٤٠ ص.

٢١٢٥- مسائل ورهنماي حج

(بالفارسيه)

محمد شفيع عثمانى، محمد حسن بيجارزمي.

الحوزه العلميه المركزيه، ط ١، ١٣٦٤ ش، ١٦٠ ص، ٢١ سم.

٢١٢٦- مساجد تاريخي مدينه منوره (بالفارسيه)

عبد الرحمن خويلد، يوسف غروي قوچاني

مقيقات حج: ع ٢٠ (تابستان ١٣٧٦ ش) ص ١١٥-١٣٠.

ص: ٢٨٨

٢١٢٧- مساجد في السيرة النبوية

سعاد ماهر محمّد

القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧ م، ١٢١ ص، ١٩ لوحة، ٢٤ سم

٢١٢٨- المساجد المأثورة في مكّة المكرمة

حسين عرب

المنهل (جدة) مج ٥١: ٤٧٥ ع (٣-٤ / ١٤١٠ هـ) ص ٥٢-٥٥.

٢١٢٩- مساجد مدينة منوره (بالفارسية)

طهران: ١٣٥٩ ش، ٤٠ ص (گروه بررسی و تحقیق مسایل حج، ٣)

٢١٣٠- المساجد والأماكن الأثرية المجهولة لزائر المدينة المنورة الميمونة

عبد الرحمن خويلد

مقات الحجّ ع ٣ (١٤١٦ هـ) ص ٢٧١-٢٨٠.

ع ٤ (١٤١٦ هـ) ص ٢٥٣-٢٦٤.

ع ٥ (١٤١٧ هـ) ص ٢٢٨-٢٣٦.

ع ٦ (١٤١٧ هـ) ص ٢٦٧-٢٧٥.

ع ٧ (١٤١٨ هـ) ص ٢٦٧-٢٨٠.

٢١٣١- المساجد والجوامع في العالم الإسلامي:

المسجد الحرام والكعبة الشريفة.

شريف يوسف

العاملون في النفط (بغداد) س ٩: ع ٩٤

(نيسان ١٩٧٠ م) ص ٢-٥.

٢١٣٢- مساحت كعبة / أوصاف مكة / احوال مكة

(رسالتان في خصوص طول وعرض وارتفاع الكعبة وبيان مقام المسجد الحرام، بالفارسية)

مجهول المؤلف

ظ:

نسخهها ٣٩٨٢ / ٦ «مساحت كعبه»، مشترك ٤٥ / ١٠، الذريعة ٢٤١ / ٣ «تاريخ بناء الكعبة»، نشریه ٧٧ / ٩ «ذراع مكة»، آصفیه ٤١٤ / ١

«رسالت مساحة طول وعرض وارتفاع خانه كعبه» الرقم ٨٢ ورقم ٨٣، ازبکستان طاشقند ٦٣ / ٨ «رساله در بیان فضایل مكة مبارکه»

بلوشه ٣١٧ / ١ «رساله در بیان فضایل مكة»، طاجیکستان دوشنبه ٢٢٨ / ١ «ذراع مكة» و ٢٢٩ «ذراع مكة» و ٢٣١ «وصف الحرمين» و ٤ /

١٥٥ «رساله»

ص: ٢٨٩

فضائل مكة»، خضر نوشاهی ٣٨٥ «مكة: ذراع مكة معظم»، راجستان ١/ ٢٦٤ «رساله در ذراع مكة»، گنج ٤/ ١٩٣٩ «مكة: اوصاف...»،
فهو ستواره منزوی ١/ ٢٥٠ و ٢٥٥ العرب. س ٣٢، ج ١، ٢ (٧، ٨/ ١٤١٧ هـ. ١٢٠٧/ ١٩٩٦ م) ص ٣٦.

٢١٣٣- مساحة الكعبة والمسجد الحرام (رسالة)

حسين بن محمد قاضي الديار بكرى ٩٦٦ هـ ..

ظ:

المنهل (جدة) س ٥٦: ع ٤٧٥ (٣- ٤/ ١٤١٠ هـ. ١٠- ١١/ ١٩٨٩ م) ص ٢٠٨

٢١٣٤- مسارات السلوك في الحج

جاد الحق على جاد الحق

المجاهد (القاهرة) س: ع ١٢٨ (٦/ ١٩٩١ م)

ص ١٠- ١١.

٢١٣٥- مسالك الحج (بالفارسية)

ابو محمد آيتي بروجردي

١٣٥٢ ش، ١٠٠ ص، ٢١ سم.

٢١٣٦- مستحبات الحرمين يا خلاصة المناسك (بالفارسية)

محمد دانشيار شوتشري، محمد علم الهدى خراساني

طهران: صدر، ١٣٩٤ هـ، ٣٥٠ ص، ١٧ سم.

٢١٣٧- المُستشرقون والأماكن المقدسة

محسن جمال الدين

بغداد: دار الثقافة الإسلامية، ١٩٦٢ م

بغداد: ط ٢، ١٩٦٧ م.

٢١٣٨- المُستطابة في نسب طابة

بدر الدين الحسن بن علي بن شدم الحسيني

ظ:

طبقات الناسيين ١٦٦، العرب. س ٣١: ج ٧، ٨ (١، ٢/ ١٤١٧ هـ.) ص ٤٦٦.

٢١٣٩- المصباح الكبير في الزيارات والأدعية

أحمد بن حبيب بن حمد آل زوين النجفي

ظ:

معارف الرجال ١/ ٦٨.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ١٠/ ١٠٣.

٢١٤٠- مصباح الزائر وجناح

ص: ٢٩٠

المُسافر

ابن طاوس، رضى الدين أبى القاسم على بن موسى بن جعفر ت ٦٦٤ هـ ..

(يشتمل على جملة كبيرة من آداب السفر ومستحباته، ثم آداب زيارة رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، ذاكراً فضائل تلك الزيارات)

خ: مكتبة السيد المرعشى فى قم برقم ٤٩٤٦، تاريخها ١٠٢٤ هـ. و ١٦٠، تاريخها ١٠٨٧ هـ، و ٥٩٧. تقوم مؤسسة آل البيت لإحياء التراث بتحقيق الكتاب بالاعتماد على النسخ الخطية الثلاث الآنفه الذكر.

٢١٤١- مصباح الزائر

(فى جملة من الزيارات المطلقة والمخصوصة والجامعة وآدابها، والأخير فى زيارة أولاد الأئمة عليهم السلام وأعمال مسجد الكوفة) مهدي اليزدى الحائرى النجفى

بمبى: ١٣٠٢ هـ ..

٢١٤٢- مصباح الزائر

محمّد على اللواسانى

النجف الأشرف: مطبعة الغرى الحديثة، ١٣٨١ هـ، ٨١ ص، حجرية.

٢١٤٣- مصباح الحرمين فى تاريخ مكّة والمدينة ومناسكها

عبد الجبار بن زين العابدين الشكونى ت ١٣٢٦ هـ.

ظ:

معجم مصنفى الكتب العربية ٢٤٣.

العرب. س ٣١: ج ٧، ٨ (٢٢١/١٤١٧ هـ). ص ٤٦٦.

٢١٤٤- المصادر العثمانية لتاريخ الجزيرة العربية

وليام ليو أو كسوالد

فى: الندوة العالمية الاولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية (الرياض: ١٣٩٧ هـ / ٤ / ١٩٧٧ م).

٢١٤٥- مصادر تاريخ العرب قبل الإسلام

منذر البكر

مجلة كلية الآداب (البصرة) س ٥: ع ٦ (١٩٧٢ م) ص ١-٥٧.

٢١٤٦- مصادر تاريخ الجزيرة العربية فى وثائق دار السجلات الحكومية فى بومباى

عبد الأمير محمّد الأمين

فى: الندوة العالمية الاولى لدراسات

ص: ٢٩١

تاريخ الجزيرة العربية (الرياض: ٥/ ١٣٩٧ هـ - ٤/ ١٩٧٧ م)

مصادر تاريخ الجزيرة العربية: ج ٢ (١٩٧٩ م) ص ١٨٥ - ١٩٦.

٢١٤٧- مصادر تاريخ الجزيرة العربية في المجالات المتخصصة

ميشال نبطي

في: الندوة العالمية الاولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية (الرياض: ٥/ ١٣٩٧ هـ / ٤/ ١٩٧٧ م).

٢١٤٨- مصادر تاريخ الجزيرة العربية: عرض وتقديم لدراسات عالمين عراقيين

محمد بهجت الأثرى

في: الندوة العالمية الاولى لدراسات الجزيرة العربية (الرياض: ٥/ ١٣٩٧ هـ / ٤/ ١٩٧٧ م).

٢١٤٩- مصادر الأخبار في العصر النبوي في المدينة

أحمد محمد المزعني

الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المعهد العالي للدعوة الإسلامية، ١٤٠٤ هـ. (رسالة ماجستير).

٢١٥٠- مشكاة الزائرين من كتاب المزار (بالفارسية)

ابراهيم بن أبي الحسن الحسيني

ظ:

الذريعة ٥٧/٢١.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ١٠/ ٩٩.

٢١٥١- مشعل المحمل (رسالة في سير الحج المصري من يوم خروجه من مصر الى يوم عودته)

محمد صالح

القاهرة: مطبعة وادي النيل، ١٢٩٨ هـ، ٦٠ ص.

٢١٥٢- مشروع الافادة من لحوم الهدى والأضاحي

البنك الإسلامي للتنمية

جدة: دار الفنون للطباعة والنشر، ط ١، ١٤٠٤ هـ ..

٢١٥٣- المستشسار، أم القرى

محمد البسنوسي

المنهل (جدة) حج ١٦: ج ١ (١- ٢/ ١٣٧٥ هـ / ٨- ٩/ ١٩٥٥ م) ص ٧٨ - ٨٠.

٢١٥٤- مشاهدات من مكة القديمة

ص: ٢٩٢

ويوم التروية

عبد العزيز الرفاعي

المجلة العربية (الرياض) س ١٥: ع ١٧٠ (١٠/ ١٩٩١ م)، ص ٣٩-٤١، ع ١٧١ (١١/ ١٩٩١ م) ص ٢٤-٢٦.

٢١٥٥- المشاهدات المعصوميّة عند قبر خير البريّة في المدينة الطيبه

محمّد سلطان المعصومي الخجندی

القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى بابي الحلبي، ط ١، ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م، ص ٤٨.

٢١٥٦- المشاهد المقدّسه في العراق

كاظم الدجيلي

ظ:

الذريعة ٢١/ ٤٩.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ١٠/ ٩٧.

٢١٥٧- مشاهد العترة الطاهرة وأعيان الصحابة والتابعين

عبد الرزاق كمنونه الحسيني (١٣٢٤- ١٣٩٠ هـ).

النجف الأشرف: مطبعة الآداب، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٨ م).

بيروت: مؤسسه البلاغ، ١٩٨٨ م، ص ٣٥٢، افسيت على طبعه النجف (قدّم له ووضع فهارسه: محمّد سعيد الطريحي).

٢١٥٨- مسيره حيث سار رسول الله صلى الله عليه و آله بين مكّه المكرّمه والمدينه المنوره

محمّد طنطاوي

العربي ع ١٥٨ (١/ ١٩٧٢ م) ص ٥١.

٢١٥٩- مسير الحرمين يا حالات الحرمين (بالفارسيه)

رفيع الدين بن فريد الدين مراد آبادي هندي

منزوي ظ ٣٩٩٩.

٢١٦٠- المسيحيون في مكّه في عصر الرسول صلى الله عليه و آله

محمّد خليفه التونسي

العربي: ع ١٩٩ (يونيو ١٩٧٥ م) ص ٤٨.

٢١٦١- مسوده تاريخ مكّه

[قال صاحب الاعلام: إن هذه المسوده تقع في جزأين في مجلد واحد وهي مجهوله المؤلف رآها ضمن كتب ارامكو بالقاهرة].

ص: ٢٩٣

ظ:

المنهل (جدة) س ٥٦: ع ٤٧٥ (٣- /٤ /١٤١٠ .هـ /١٠ - /١١ /١٩٨٩ م) ص ٢٠٧.

٢١٦٢- مسلك المحتاج إلى مناسك الحاج

علي بن موسى بن طاووس الحسيني العلي (٥٨٩-٦٦٤ هـ).

ظ

الذريعة ٢١ / ٢٢ - ٢٣ ، ٢٢ / ٢٢ . ٢٧٦

٢١٦٣- المسح الإحصائي للأضاحي (تقرير مبدئي)

غازي عبد الواحد مكّي

جدة: جامعة الملك عبد العزيز، ١٤٠ ص.

٢١٦٤- المسجد النبوي عبر التاريخ

محمد أحمد الوكيل

جدة: دار المجتمع للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٠٩ هـ، ٢١٥ ص.

٢١٦٥- المسجد النبوي الشريف ومزارات أهل البيت

اسماعيل أحمد اسماعيل، والنبوي جبر سراج

القاهرة: دار الشعب، ١٩٧٤ م، ٢٤٠ ص.

٢١٦٦- مسجد نبوي در گذر تاريخ (بالفارسية)

محمد باقر حجتي

ميفات حج: ع ٢٥ (پاييز ١٣٧٧ س) ص ١٢٠-١٣٧. ع ٢٦ (زمستان ١٣٧٧ ش) ص ١٤٨-١٥٨.

٢١٦٧- المسجد النبوي بعد التوسعة

الرابطة (مكة المكرمة) س ٢٦: ع ٢٨١ (٧ / ١٩٨٨ م) ص ٩- ١٠.

٢١٦٨- المسجد النبوي أول عمارة في الإسلام

عبد المجيد وافي

منار الإسلام س ٤: ع ٣ (٣ / ١٣٩٩ هـ).

- ١٩٧٩ / ٢ م) ص ٣٤- ٥٨.

٢١٦٩- مسجد المدينة وأثره في مساجد العراق

سليمة عبد الرسول

بغداد: جامعة بغداد، ١٩٦٥ م، ٢٥٠ ص (ماجستير).

٢١٧٠- مسجد المدينة في حدائق الكتب الثمينة

رشيد بو رويبة

ص: ٢٩٤

في: الندوة العالمية الاولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية (الرياض: ١٣٩٨ هـ / ٤ / ١٩٧٧ م).

دراسات تاريخ الجزيرة العربية: ج ١ (١٩٧٩ م) ص ١٨٣-١٩٧.

٢١٧١- مسجد الرسول عليه السلام وداره

عبد الغنى عبد الله

الوعى الإسلامى س ١٢: ع ١٣٥ (١٣٩٦ هـ). ص ٤٥-٥١.

٢١٧٢- مسجد الحرام و كعبه (بالفارسيه)

كاظم مدير شانه چي

مشهد: ط ١، ١٣٤٧ ش.

٢١٧٣- المسجد الحرام فى ضوء الكتاب والسنة

محمد فريد الدين راشد

مكة المكرمة: جامعة ام القرى، كلية الشريعة (رسالة ماجستير).

٢١٧٤- المسجد الأول فى العالم الإسلامى: المسجد النبوى الشريف فى المدينة المنورة

شريف يوسف

الرسالة الإسلاميه (بغداد) ع ١٤٥ (١٤٠١ هـ). ص ٤٢-٥١.

٢١٧٥- المستوطنات اليهودية على عهد الرسول صلى الله عليه و آله

أحمد على المجدوب

القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٢ م، ١٨٧ ص

٢١٧٦- المشارق المنيرة فى ذكر بنى ظهيره

ابن فهد القرشى، صاحب اتحاف الورى.

ظ المنهل (جدة)، مج ٥١، ع ٤٧٥ (٣-٤ / ١٤١٠ هـ)، ص ١٩٩

٢١٧٧- مصباح الناسكين فى أحكام الحجاج و المعتمرين

محمد ميرزا الخرسى

قم، ط ٣، ١٣٧٣ ش، ٤١٢ ص، ٢١ سم

٢١٧٨- مصباح الناسكين و مشكاة الحجاج و المعتمرين (بالفارسيه)

شهاب الدين المرعشى النجفى

قم، ١٣٥٥ ش، ٣١٩ ص، ٢١ سم

٢١٧٩- مصحف مكة المكرمة

محمد طاهر الكردى

المنهل (جدة) مج ١٠، ج ٢ (٢ / ١٣٦٩ هـ).

١٠ / ١٩٤٩ م) ص ٨٤-٨٧

٢١٨٠- مصنع كسوة الكعبة المشرفة

ص: ٢٩٥

(استطلاع)

جاسم على الجاسم

تصوير: عبدالله يوسف الديس

القافلة، مج ٤٠، ع ١٢ (١٢/١٢) ١٤١٢ هـ.

١٩٩٢ م) ص ٢-٨

٢١٨١- مطلوب الزائر (بالفارسية)

طبع بايران منضمّاً إلى «تحفة الزائر» في خمسة أبواب و فصول و خاتمة في الزيارات و الأدعية

ظ: الذريعة، ٢١: ١٥٨. معجم ما كتب عن الرسول و أهل البيت، ١٠/١٠٦

٢١٨٢- مطلوب الزائر

(في الزيارات، بالفارسية)

جواد بن مجتبي الحسيني الموسوي الحائري المعروف بروضة خوان

طبع عام، ١٢٦١ هـ.

٢١٨٣- مطلوب الناسك من أحكام المناسك

زيد بن مبارك بن رشود

جدة، رئاسة هيئات الأمر بالمعروف، ط ١

٢١٨٤- مظاهر التخفيف على العباد في الصلاة و الحج في الشريعة الاسلامية

سميرة بيومي

القاهرة، دارالهدى للطباعة، ١٩٨٦ م، ١٤٣ ص

٢١٨٥- المظاهر الحضريّة للمدينة المنورة في عصر النبوة

خليل إبراهيم السامرائي و ناثر حامد محمد

الموصل- العراق، مكتبة بسام، ١٤٠٥ هـ.

٢١٨٦- مع ابن السلام في رحلته:

في رحاب الحرمين من خلال كتب الرحلات إلى الحج

العرب، س ١٠، ج ١، ٢ (٨-٩/١٩٧٥ م)

ص ٤٤-٧٠

٢١٨٧- مع الاستعداد لأداء الحج الوقاية خير من العلاج

التوحيد (طهران) س ٩، ع ٩١ (٧/١٩٨٨ م)

ص ٤٢-٤٣

٢١٨٨- مع الرسول في حجة الوداع

عطية محمد سالم

المدينة المنورة، مكتبة دارالتراث، ١٩٨٨ م، ص ١١٢

٢١٨٩- مع الرسول في حجة الوداع

ص: ٢٩٦

على حامد عبدالرحيم

الأزهر، س ٦٣، ع ١٢ (٦/ ١٩٩١ م)

ص ١٣٥٤-١٣٥٧

٢١٩٠- مع الرسول في المدينة المنورة

عبدالعزيز غنيم

القاهرة، دارالإعتصام للطبع و النشر، ١٩٧٣، ص ١٣٢

٢١٩١- مع الفرزدق في مشاعر الحج

أحمد على

المنهل (جدة)، مج ٢٢، ج ١٢ (١٢/ ١٣٨١ هـ. ٥/ ١٩٦٢ م) ص ٨٣٣-٨٣٥

٢١٩٢- معارف الحج و معالمه

عبدالصاحب الحسيني

بيروت، مطبعة دارالكتب، ط ١، ١٣٨٧ هـ. ص ٤٠٨، سم ٢٤

٢١٩٣- معالم دارالهجرة

يوسف عبدالرزاق

المدينة المنورة، المكتبة العلمية، ١٩٨١ م، ص ٣٠٦، سم ٢٤

٢١٩٤- معالم الدعوة الإسلامية في عهد الملك

خليفة حسين العال

القاهرة، دارالطبعة المحمدية، ط ١، ١٩٨٨ م، ص ٤٥٨

٢١٩٥- المعالم العمرانية في مكة المكرمة في القرنين الأول و الثاني

صالح أحمد العلي

مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ٤٠، ج ٢، (١٩٨٩ م)

٢١٩٦- معالم مكة التاريخية و الأثرية (معجم جغرافي)

عاتق بن غيث البلادي

مكة المكرمة، دار مكة للنشر، ١٤٠٠ هـ. ص ٣٨٨

مكة المكرمة، دار مكة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٠٤ هـ. ص ٤٠٠، سم ٢١

٢١٩٧- معالم الوحي أو الرحلة الحجازية المقدسة

محمد أحمد عساف

مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، مج ٢١، ص ٧١ (عبدالقادر المغربي)

٢١٩٨- المعاني الانسانية في حج بيت الله الحرام

أحمد عبدالستار الجوارى

الرسالة الاسلامية (بغداد) ع ١١٩- ١٢٠ (١٣٩٨ هـ.) ص ٣-٤

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
جاهدوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/٤١).
قال الإمام علي بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرًا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ
كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بناذر البحار - في تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عيون أخبار الرضا(ع)، الشيخ
الصدوق، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصفهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - رَحِمَهُ اللَّهُ - كان أحدًا من جهابذة هذه
المدينة، الذي قد اشتهر بشعفه بأهل بيت النبي (صلوات الله عليهم) ولاسيما بحضرة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) و
بساحة صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ ولهذا أسس مع نظره و درايته، في سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠
الهجرية القمرية)، مؤسسه وطريقه لم ينطفئ مصباحها، بل تتبّع بأقوى وأحسن موقف كل يوم.
مركز "القائمية" للتحري الحاسوبى - بأصفهان، إيران - قد ابتدأ أنشيطه من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)
تحت عناية سماحه آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - ومع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلمية و طلاب
الجوامع، بالليل والنهار، في مجالات شتى: ديتيه، ثقافته و علميه...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافته الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و
عموم الناس إلى التحرر الأذق للمسائل الدينيه، تخليف المطالب النافعة - مكان البلايتي المتبدله أو الرديئه - في المحاميل
(=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضيه واسعة جامع ثقافته على أساس معارف القرآن و أهل البيت
-عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعه ثقافته القراءة و إغناء أوقات فراغه هواه برامج العلوم
الإسلاميه، إناله المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة في جامعه، و...
- منها العداة الاجتماعيه: التي يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثه متصاعده، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات -
في آكناف البلد - و نشر الثقافه الاسلاميه و الإيرانيه - في أنحاء العالم - من جهه أخرى.
- من الأنشطة الواسعه للمركز:

(الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبه، نشره شهريه، مع إقامة مسابقات القراءة

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيه و مكتبيه، قابله للتشغيل في الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثيه الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركه و... الأماكن الدينيه، السياحيه و...

(د) إبداع الموقع الانترنتي "القائمية" www.Ghaemiyeh.com و عدده مواقع أخرى

(ه) إنتاج المنتجات العرضيه، الخطابات و... للعرض في القنوات القمرية

(و) الإطلاق و الدعم العلمى لنظام إجابة الأسئلة الشرعيه، الاخلاقيه و الاعتقاديه (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائى و اليدوى للبلوتوث، ويب كشك، و الرسائل القصيره SMS

(ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعيه و اعتباريه، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميه، الجوامع، الأماكن الدينيه كمسجد
جمكران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع "ما قبل المدرسه" الخاص بالأطفال و الأحداث المشاركين في الجلسه

(ي) إقامة دورات تعليميه عموميه و دورات تربية المربى (حضوراً و افتراضاً) طيله السنه

المكتب الرئيسي: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد" / ما بين شارع "پنج رمضان" ومفترق "وفائي" / "بناية" القائمية

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الإلكتروني: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الإلكتروني: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٢-٢٣٥٧٠ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية والمبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزاتية الحالية لهذا المركز، شعبيته، تبرعته، غير حكومية، و غير ربحية، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنها لا توافي الحجم المتزايد والمتسع للامور الدينية والعلمية الحالية و مشاريع التوسعة الثقافية؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمة) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحة بقيه الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفق الكل توفيقاً متزائداً لإعانتهم - في حد التمكن لكل احد منهم - إيانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله ولي التوفيق.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
الغمامة اصححان

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

